الجمهـــــــورية الجزائريـــــــة الديمقـــراطيـــة الشعبيـــــــة

جـــامعـــة الجـــزائـــر

* معـهـد علـم الأجتمـاع *

**********الموضوع **********

الوظيـفـة السوسيولوجية للسـحـر
عبر الأسطـورة القبـائليـة

دراسة سوسيولوجية

****

أطروحة ماجستير

من إعداد الطالبة :

بداك شابحة

تحت إشراف :

الدكتور : معربي عبد الغني

السنة الجامعية : ١٩٩٢ - ١٩٩٣

- بسم الله الرحمن الرحيم -

الإهـــــــــداء

الى مـــن علمنـــي معنـــى الحيـــــاة ..... أبـــي

والى مـــن علمنـــي معنى الصبـــــــر ..... أمـــي

و الى من علمنـــي معنى العمل و التعاون ..... أخـوتي

أخـــواتـــي و أصـــدقائي و أساتذتـــي.

و الى مـــن علمتنـــي معنى الصداقة و المحبـــة .....

رفيقـــة درب ـــــي ..... علجيـــة

والى من علمني سر البحث عن الحقيقة العلمية

لادارة البشرية ..... الاستاذ المشرف ..... عبـــــــــد

الغني مغربـــي ـ أهـــدى ثمـــرة جهـــدي ـ

ـ شـــا بحـــــة ـ

كلمـــــة شـــكـــر و تقـدير

أ توجـــه بتشكـــراتـــي الجزيلة و الخالصـــة للمفـــكـــر العميـــق الا ستـــاذ المشرف : عبـــد الغنـــي مغـــربـــي ، الذى أ فـــاد نـــي كثـــيرا فـــي انجـــاز هـــذا البحـــث المتـــواضـــع و الذى شجعنـــي دائمـــا على الكشـــف عـــن الحقيـقـــة العلميـــة أ ينمـــا كانـــت، كمـــا أ توجـــه بالشـــكـــر الـــى والداى و اخوتـــي الذيـــن و فـــروا لـــي الجـــو المناســـب لا نجاز هـــذه الدراسة دون أن أ نســـى كل الا صـــد قـــاء و الصديـقـــات الذيـــن أ مـــدوا لـــي و لو بقســـط ضئيـــل مـــن المعلومات لا ثراء فكـــرة مـــن الا فكـــار هـــذا بالا ضافـــة الى كـــل انسان ساعدنـــي بطريقـــة غيـــر مباشرة فـــي تـــذ كيـــرى بـــشـــيء كـــا د النســـيـــان يلتهمـــه .

الـــطـــالبـــة : شابحـــة بـــداك.

- الفـــهـــــرس

الا هـــــداء

كلمـــة الشـــكـــر

المقد مـــــة

		الصفـــحـــة
الفصـــل الا ول :	الجانب المنهجي للدراســـة	
	- مقـد مـــة الفـصـــل	5
	- أ سبـــاب اختيار الموضوع	6
	- الهدف مـــن الموضـوع	8
	- الا شـــكـــاليـــــة	9
	- الفـــــر ضـيـــات	11
	- تحديد المفاهيم السوسيولوجية	12
	- و صـف المنهجية المستعملة	15
	- وصف المدونـــة (LE CORPUS)	16
	- صعوبات البحث	17
	- ملخص الفصـــــل	18
الفصل الثانـــي :	الجانب السوسيو - ثقافي للدراسة (النظرى)	
	- مقد مـــة الفـصـــل	21
	- سوسيولوجية الفن و الا دب	22
	- التراث الشعبي الشفوى	23
	- الا سطورة كشكل تعبيرى	24
	- مراحل تطور الفكر البشرى	25
	- معنى السحر و أ نواعـــه	26
	- تقديم بعض التصورات حول ظاهرة الممارسات السحرية (احشكولن).	29
	1) - الموقف الوظيفـــي	30
	2) - الموقف البنيـــــوى	31
	3) - الموقف الخلـــــدوني	32

4) الموقف الا سلا مي 33

ملخص الفصل 36

الفصل الثالث : الجانب التحليلي للدراسة (الميداني) أو التطبيقي

ـ مقدمة الفـــصـــل 38

1 ـ البنية الا جتماعية للمجتمع القبائلي : الاسرة 39

تاجمعت 41

2 ـ البنية الا قتصادية للمجتمع القبائلي القرية 42

3 ـ بنية الا سطورة القبائلية و علا قتها بالواقع في :

1) المحور الاول : صورة المرأة و الرجل في

المجتمع القبائلي. 43

ـ التحليل و التأويل السوسيولوجيين 46

2) المحور الثاني : و لوع المرأة بالسحر في المجتمع

القبائلي. 48

ـ النقد وا لتعليق السوسيولوجيين 56

3) المحور الثالث : المرأة القبائلية و الممارسات

الطقوسية السحرية 60

ـ النقد و التحليل السوسيولوجيين 66

4) المحور الرابع : الزواج و العلا قات الا جتماعية

في المجتمع القبائلي. 75

التعليق و التأويل السوسيولوجيين 80

5) المحور الخامس : الطلا ق و المشاكل الاسرية

في المجتمع القبائلي . 82

ـ النقد و التعليق السوسيولوجيين 86

6) المحور السادس : العلا قات الجنسية و قيمة

العذرية في المجتمع القبائلي . 88

ـالتأويل السوسيولوجي 91

7) المحور السابع / تعدد الزوجات في المجتمع

القبائلي . 94

- التأويل السوسيولوجي 97
8) المحور الثامن : التضامن و التماسك الا جتماعيين في المجتمع القبائلي 100
- التحليل السوسيولوجي 103
9) - المحور التاسع : تاريخ واصل الساحر في المجتمع القبائلي. 105
- النقد السوسيولوجي 107
10) - المحور العاشر : المكانة الرمزية للحيوان في الذهنية القبائلية 108
- التأويل السوسيولوجي 112
4) المدلول السوسيولوجي للا سطورة السحرية القبائلية 113
5) الوظيفة الا جتماعية للسحر عبر الا سطورة القبائلية 117
6) ملخص الفصل 121
الفصل الرابع : الجانب التأويلي والاستنتاجي للدراسة
1) - تقديم بعض الا راء حول ظاهرة (احشكولن) الممارسات السحرية
- رأى رجال الدين والفقهاء 126
- رأى الا خصائيين في طب التسمم (INTOXICATION) 129
2) التحقق من الفرضيات
- التحقق من الفرضية الجزئية الاولى 131
- التحقق من الفرضية الجزئية الثانية 133
- التحقق من الفرضية العامة (الام) 135
3) الخاتمة 138
4) ملخص الفصل 140
5) الملخص الشامل 141
6) الملحق
7) نموذج من استمارة الا ستبيان
8) البيليوغرافيا (المراجع)

بـاســـــم اللـــــه الـــرحمـــن الـــــر حيـــم

" لا يفـلـــح الســـا حـــر حـيـــث أ تـــــــــــــــــــى "

(سورة طـــه الا يـــة 69)

" L'etude des traditions permet d'atteindre à tout le moins la conception que les groupes ont d'eux - mêmes, et mieux le devenir de cette conception "

-Jacques - Berque -

المقـــد مـــــة :

لعل من الا بتلا ءات الخطيرة التي ابتلى بها المسلمون، هي ذهاب نفر منهم الى الكهنة و السحرة، حتى أن بعضهم ينذر و يذبح و يستعين بغير الله سبحانه و تعالى، بل وصـــل الا مر ببعضهم الى الطواف حول الا ضرحة و التمسح بها و شد الرحال اليها، و اعتقاداتهـــم بان أ صحاب هذه القبور يتصرفون في الكون.

و الشيء الذى يثير الدهشة فعلا ، هو كون هؤلاء المترددين عليها رجال سياسة و محامـــون و أ طباء و رجال الفكر عامة ، فكل قرية و لكل مدينة بل و لكل فئة اجتماعية معتقداتهـــا السحرية .

و تبعا " لروجيه باستيد " (1975) فانه حتى الاروبيين و الا كثر انخراطا الى حد كبيـــر من الجزائريين في دوامة التقدم والتكنولوجيا يبدون كذلك متأ ثرين بالخرافة و بازالة العقد بواسطة السحر. فمنذ وقت ليس ببعيد ، برهن " بوتييه " " BCUTEILLIER " (1950)، في بحث شامل كيف بقيت فرنسا رغم أ نها بلد قوى التصنيع ، في بعض من مناطقها قريبـــة من الشامانية بشكل قد يصعب تصديقه ظل فيها الطقس السحرى أو الممارسة السحرية مختلطة مع مجموعة من النشاطات الدينية .

و من المعروف ان الا بحاث التي تتناول السحر لا حصرلها، و باعتباره يمثل نموذجا للحركـــة الشاملة بالذات، و يجهل حدود زمان الحضارات و مكانها، فكانت الممارسات السحريـــة دائما و لا تزال موضوع أ بحاث عديدة في العلوم الا جتماعية، و كونها تشكل موضوعا منفصـــلا في الا ثنولوجيا التي تنزع الى القاء الضوء على الفروقات الثقافية، كان من المفروض أن يتسارع السحر للا فادة من علم الا جتماع الذى راح يحاول تفسير مدلولاته ضمن اطار الثقافات. فالسحر اذا صح القول هو استجابة لنزعة جماعية في الحفاظ على الماضي و القيم المرتبطـــة به ، و يفسر بالتالي على هذا الا ساس استدامته عبر تاريخ الحضارات الا نسانية .

لكن انتشاره في المجتمع الجزائرى عامة والقبائلي خاصة، و حتى عبر أ شكال تعبير هذا الشعب كالحكاية و المثل الشعبي و الا سطورة ، شيء خارق للعادة، خاصة وان المتخصصين في القانون الا سلا مي يستنكرونه باعتباره نوعا من الشرك، و هو تعبير قرآني يحدد مخاطر الا عتقا دات بأى اله غير الله، اى المعتقدات المستوحاة من المذهب الا حيائي المعادى للا سلام، وعلـــى هذا الا ساس يجعل القرآن من الشرك حراما ممنوعا بل هرطقة و كفر و لهذا نريد التعرف على الارضية السوسيولوجية التي تتم فيها هذه الممارسات السحرية من جهة عبر الا سطـــورة القبائلية و التعرف على الوظيفة التي قد تؤديها في المجتمع المتداولة فيه خاصة اذا علمنـــا

أنها قد تخلق نوعا من التشوش الثقافي و سببا تفسيريا للشعوذة التي تزيف صورة العالم الواقعي بطريقة ساخرة مما يجعلنا نعتبر هؤلاء المتخلفين عن التطور الاجتماعي وكأنهم مؤشرا عن الفوضوية " L'ANOMIE " حسب تعبير "اميل دوركايم" (1969) اى و كانهم المثال المميز للخلل الوظيفي " DYSFONCTION ".

- الجانب المنهجي للدراسة
- مقدمة الفصل
- أسباب اختيار الموضوع
- الهدف من الموضوع
- الاشكالية
- الفرضيات
- تحديد المفاهيم
- وصف المنهجية المستعملة
- وصف المدونة (LE CORPUS)
- صعوبات البحث
- ملخص الفصل

مقدمة الفصل الاول :

سوف نتناول بحول الله في هذا الفصل الجانب المنهجي للدراسة من أسباب اختيار الموضوع والهدف منه ، ثم نتطرق الى الاشكال المطروح فالفرضيات المقترحة في البحث و بعد ذلك نحدد المفاهيم المستعملة ليتسنى للقارىء الكريم فهم الموضوع أكثر، و بعدها نصف المنهجية المتبعة في هذه الدراسة و المدونة (CORPUS) الخاصة بالاساطير التي تم جمعها من مختلف المصادر و اخيرا لا بأس أن نذكر الصعوبات او العراقيل التي واجهناها عند محاولة انجاز هذا البحث البسيط.

1) أ سباب اختيار الموضوع :

مما لا شك فيه أن وراء كل ظاهرة متناولة من طرف أى باحث و في كل تخصص، أ سباب و دوافع موضوعية و ذاتية، فمن بين العوامل المساعدة على اختيار الموضوع والذاتية منها أ ذكر :

- كوني (قبائلية) و من منطقة ثرية جدا بالممارسات السحرية الخطيرة على البشرية، وكوني نشأت في محيط مدني و (عربي) أى بعيدة عن مسقط رأسي ببلدية أو قرية " عقوني يغران " بولاية تيزى وزو لمدة طويلة جدا (منذ طفولتي) ، الشيء الذى جعلني غريبة عن تراثي الثقافي (باستثناء حسن و فهم اللغة القبائلية)، كل هذا جعلني و بطريقة غير مباشرة أميل الى مثل هذا النوع من المواضيع للتقرب أكثر من الممارسات الموجودة في قريتي و المجتمع القبائلي و لفهم كيفية او طرق تفكير سكانها من جهة، و للتأ كد من مدى صحة تأثير هذه المعتقدات التي يؤمن بها أ هل قريتي بشدة خاصة وان لي أقارب وزميلات حدثت لهم أ شياء من هذا القبيل من جهة أخرى.

- كوني لا أمن شخصيا ولا أصدق مفعول هذه الممارسات كل الا شخاص جعلني أ ختار هذا الموضوع على أ جد نوعا من المصداقية فيها.

- كوني تناولت الا سطورة القبائلية كموضوع في مذكرة نهاية الليسانس كوسيلة تعبير عن هذا المجتمع ، جعلني أ ختار موضوع السحر عبرها، خاصة وان رواياتها مشوقة و لا تثير أى ملل في أنفس القراء .

أما الا سباب الموضوعية فهي متمثلة فيما يلي :

- لقد سمحت لي الرحلة التي قمت بها في بداية سنة 1991، وفي اطار الملتقى الشعرى الجزائرى و المغاربي الى مدينة (غرداية) - بملا حظة نوعا من الشبه بين المجتمع الميزابي و المجتمع القبائلي من حيث الايمان بالممارسات السحرية، وهذا من خلال الحوار الذى أ جريته مع بعض النساء و بعض المسؤولين هناك(LES GUIDES) مما أثار في نفسي نوعا من حب الاستطلا ع أ كثر.

- كون الثقافة أو التراث الشعبي الشفوى الجزائرى و بالتالي القبائلي يعاني من مشكل التهميش ، جعلني أو أثارني الى احياء بعض عناصره و محاولة استنطاقها بتحليل مدلولاتها السوسيولوجية و رموزها، فاخترت الا سطورة كشكل من هذا التعبير للتطرق الى ظاهرة السحر و دورها.

- التناقض الذى يعيشه المجتمع الوطني بين ممارسة الدين الا سلامي من جهة بالدعوة الى الرجوع الى مبادئه و الصحوة الا سلا مية خاصة في هذه الفترة 1990 - 1991 من نشو ء الا حزاب الدينية ، و بين ذهاب الناس الى السحرة من جهة ثانية ، جعلني مند هشـــة للوضع السائد و طرح أسئلة كثيرة و محيرة في هذا المجال.

- استمرارية وجود السحر و ممارسته في العالم جعلني اختار هذا الموضوع لمعرفة الوظيفة التي يؤديها في مجتمعنا.

الهـــدف مـــن الموضوع :

الهدف الرئيـــــي مـــــن دراســـــة هـــذا الموضوع، هو محاولة الوصول فـــي نهايـــــــة المطاف الى الدور الحقيقي الذى تؤديه ظاهرة السحر " احشكولن " في المجتمع القبائلـــي فهل هي تخلـــق نوعا من الا ندماج الا جتماعي بين الا فراد أم تؤدى وظيفة التشوش الثقافـــي و بالتالي الصراع بين الا فراد في هذا الميدان ؟.

الا شكاليـــة :

لما كان الا نسان البدائي يعيش في عالم مملوء بأ لغاز محيرة ، ولم يكن في امكانه ادراك كنهها ، أطلق لخياله العنان ليفكر و يبتدع، فكانت الا ساطير تنفجر بطبيعة الحال مـــن هذه المخيلة الخصبة . و لكن الشيء الذي يجب الا شارة اليه هو أن هذا النوع من التعبير الشعبي الذى هو أكثر دلالة على روح الشعب و أ عماقه ، و أ صدق تصويرا لافكاره و معتقداته الراسخة ، لم ينل حظه من العناية و التنقيب و البحث، وهذا راجع بدون شك الى التهميش الذى تعاني منه الثقافة الشعبية الجزائرية عامة و القبائلية و كذا الامازيغية خاصـــــة اذا لا تجد في ببليوغرافية هذا الموضوع الا بعض الكتب المحصورة جدا أ ذكر : " الديـــن و الطقوس و التغيرات " للدكتور " نورالدين طوالبي " ، و كتاب " عناصر العادة الشفوية " للدكتور " يوسف نسيب " بالا ضافة الى تلك الدراسات التي أقيمت من طرف الا جانـــب لاغراض استعمارية بحتة " كالبرابرة " لـ : " BOUSQUET (J)" و كتاب "J.M.DALLET" حول " برابرة وادى الميزاب " هذا و " A.MOULIERAS" في كتابه عن"الا ساطير القبائلية " مع نخبة أخرى من المؤلفين الفرنسيين خاصة الذين حاولوا تشويه هذا الميراث الشعبي بشتى الوسائل. الا ان الجدير بالذكر هنا هو أن هذه الرواية اى الا سطورة التي تبدو تافهة و سريعة العطب والزوال، قد أ صبحت اليوم وسيلة للتعبير الحر عن آراء الا نسان في الحياة و في الناس اذ مـــن الممكن ان يظهر فيها الا نسان ما يخفيه من عواطف و ميول و كره أو حب و نقد للظالـــم و أ فعاله الرديئة ، كما ينتقد أ خلا ق المجتمع السيئة بطريقة رمزية من خلا ل ما تعالجـــه هذه الروايات من مواضيع ، و لعل الممارسات والطقوس السحرية جزء لا يتجزء من هذا المضمون العام . و هكذا اذن نقول ان هذه التطبيقات انبثقت من فهم المرء و تصوره وخياله متأثرا بالظروف المكا نية والزمانية و الا جتماعية التي كان و ما زال يعيشها ، فقد حفظهـــا الناس من النسيان و أ بقاها في أسلوب مصطنع تصلنا عبر الا ساطير و الحكايات الشعبيـــة و الا مثال و القصائد، و آثار الشعب و تصوراته للحياة و الكون و الطبيعة كي تؤكد استمرار التواصل بين الا جيال في نقل التراث و اعطاءه صبغة خاصة حسب البيئة و اللهجة والجمهور. تلا قي ظاهرة " احشكولن " اى السحر بالقبائلية كواقعة اجتماعية رواجا كبيرا في مجتمعنـــا الجزائرى و منه القبائلي بـل و ايمانا شديدا في انفس افراده ، و لعل تمسكهم الكبير هـــذا بها الى درجة الا عتقاد الا عمى هوالذى جعلها تزداد انتشارا واستمرارية حتى صارت تفسر و تحدد على أ ساسها سلوكاتهم و أ دوارهم الا جتماعية .

لكن رغم خطورة هذه الا فة التي ابتلى بها نفر من الناس بذهابهم و ترددهم الى المنجمين و العرافين على المجتمع كله لما تحمله من ضرر، لم تلق اهتماما كبيرا كظاهرة سوسيولوجية تلعب عدة وظائف، خاصة وانها قد تخلق ما يسمى بالخلل الوظيفي حسب تعبير"اميل دور - كا يم " و صراعا في النسق الا جتماعي الشامل باعتبارها شعوذة من وجهة نظر الدين كما أشار الى ذلك العلا مة ابن باديس (عبد الحميد)، الذى كان يرمي الى تخليص الاسلا م من كل العوامل المساهمة في تقهقره، وهذا أساس المعركة الثقافية التي قادها عام (1925) و التي ترجمها بتأسيس جمعية العلماء المسلمين (1931)، فيصرح تحت أحد عناوين مجلة " الشهاب " (1938) : " ان مثل هذه المعتقدات لشديدة الخطورة فعلا على الدين الحنيف" و لذلك سنحاول بقدر الا مكان في بحثنا هذا تناول هذه الظاهرة عبر الا سطورة القبائلية من جهة و من الوجهة السوسيولوجية والانثروبولوجية لمعرفة الدور الفعلي الذى تؤديه في المجتمع المتداولة فيه، والا فما الجدوى و السر من بقائها ضمن البنية السوسيوثقافية لهذا الا خيرمن جهة أخرى.

فنتساءل هنا : هل تؤدى هذه الممارسات السحرية " احشكولن " و ظيفة الا دماج والتماسك الا جتماعيين كما يقر بذلك الادب الشعبي أو الفولكلور بالدفاع و الحفاظ عليها كوسيلة تعبير المجتمعات و كذلك بعض المدارس السوسيولوجية ؟ ام هي مجرد خرافة و شعوذة و بدعة لماتسببه من خلل وظيفي و صراع ايديولوجي بين الا فراد من المنظور الديني ؟

الفـرضـيـات :

الفرضيـــة العامـــة :

تؤدى ظاهرة الممارسات السحرية (احشكولن) وظيفة ما يسمى الا ندماج الا جتماعي بيـــن الا فراد في المجتمع القبائلي.

الفرضيات الجزئيـــة :

- يظهر هذا الا ندماج الا جتماعي في التلا وُم بين الا فراد في المجتمع القبائلي.
- يظهر هذا الا ندماج الا جتماعي في التعاون الا جتماعي بين الافراد في المجتمع القبائلي.

تحديد المفاهيم السوسيولوجية :

- السحر أو الشعوذة :

يقصد به الا ستعانة بالارواح الشريرة على أ ساس الا عتقاد بأن لها قوة خارقة بهدف تحقيق شر أو ضرر ضد الا فراد او المجتمع [1] مع العلم ان " احشكولن " " SORTILEGES "بالفرنسية تعني الحل او الخروج المختار (2).

- الممارسات الا جتماعية : يقصد بالممارسة الشيء الذى لا يبقى منحصرا في النظرى ، وأما الممارسة الا جتماعية فهي تعني التطبيق على مستوى المجتمع وهي في الغالب الروابـــط الا جتماعية (3) مثال : الممارسات السحرية .

- وظيفـــة : " FONCTION" : هي كلمة جارية تستخدم في معاني مختلفة جدا يقترب مـــن " منفعة شيء ما " و هي لغويا نوع من العمل الذى يمكن للبناء أداؤه بوضوح لتحقيق أ هـــداف معينة . ان وظيفة عرض اجتماعي خاص هي المساهمة التي يؤديها للحياة الا جتماعية و الوظيفة مفهوم ينتمي الى المدرسة الوظيفية في علم الا جتماع و يقصد بها نتيجة موضوعية لظاهرة اجتماعية يلمسها الا فراد و الجماعات و قد تكون ظاهرة او كامنة حسب آراء أحد أعظاء الوظيفيين " روبرت مرتون " (R.MERTON)، واما حسب مالنوفسكي "B.MALI NOWSKI" زعيم المدرسة ، فيرى ان الوظيفة هي المساهمة التي يأتي بها النشاط الجزئي للنشـــــاط الكلي الذى هو جزء منه ، والوظيفة تعني دائما اذن تلبية حاجة معينة (4)، وهذا هو التعريف الا جزائي الذى سوف نستعمله في هذا البحث لا قترابه أكثر من المعنى الذى نريده و نقصده .

- الا سطورة " LA LEGENDE" : الا سطورة باللا تينية (ليجندا) هي أ شياء تقرأ مـــن كلمة سهلة التي تعني "قراءة" او الشيء الذى يجب ان يكون مقروءا ، وهي رواية ذات طابع رائع نجد الا حداث التاريخية حولها الخيال الشعبي. و الا سطورة هي المعتقدات المشبعة او المحملة بالقيم و المبادىء التي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها او من اجلها و يرتبط كل مجتمع بنسق من الا ساطير يعبر على الصور الفكرية المعقدة التي تتضمن فـــي

---

(1) بدوى (أ.ز) : معجم مصطلحات العلوم الا جتماعية : مكتبة لبنان 1978 ص 404

(2) معجم لاروس باريس : مكتبة لاروس 1980 - ص 734 و 864

(3) Tourraine(A): Production de la societe ed seuil coll point Paris 1973.

(1) MENDRAS(H):Elements de sociologie.Paris ed:arnaud 1975P262

الوقت نفسه كل نواحي النشاط الا نساني (1)"

التعريف ا لا جرائي :

استعملت هنا التعريف المنتمي الى المدرسة الوظيفية أى التعريف الذى تقدمه هذه المدرسة للا سطورة .

" وهي معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الميتافيزيقية او اصول الكون أو المنظمات (المؤسسات) الا جتماعية او تاريخ شعب من الشعوب (2).

- القبائل : " KABYLES " : الكلمة مشتقة من العربية (KBAIL) و من اللاتينية أيضا و بالنسبة للبعض فهي تشير الى القبيلة عند الحضريين و مرادفة لمصطلح (ARCH)وان (KBAIL) (قبائل) هو جمع قبيلة (KEBILA) و البعض الا خر يشير الى الفعل (QBEL) الذى يعني يتقبل . و يبرهن لنا التاريخ الحديث ان اسم القبائل اعطى لاول مرة من طرف الرومان وربما من طرف الفيلسوف و العالم الا جتماعي (ابن خلدون). ولكن يبدو أنهم معروفين باسم (امازيغن) بمعنى الرجال الا حرار والصرحاء (3). و عندما نتحدث عن القبائل فهو دائما حسب مفهوم HANOTEAU (L.G) ، و LE.TOURNEUX (A) و يطلق في الجزائر على الشعوب ذات الجنس القبائلي التي تقطن الجبال الـ ساحلية للبحر الا بيض المتوسط و بني ميسرا و بني عزون الذين تصل حدودهم الى متيجة هم قبائل ، كذلك الى جانب جبال جرجرة المسماة بمنطقة القبائل الكبرى، أما الصغرى فيقصد بها غـالبا المنطقة الساحلية للشمال القسنطيني، هذا بالا ضافة الى الصحراء الجزائرية التي تحوى على عدد لا بأس به من القبائليين المسمون توارق (4).

- الا ندماج الا جتماعي : ان المصطلح الفرنسي لا يميز بين كلمتين ادماج واندماج، فالادماج يساوى او يقابل كلمة (INTEGRATION)، و المعنى هو ترابط أجزاء الكائن الحي او أجزاء المجتمع، وهو عملية التنسيق بين الطبقات و الجماعات المختلفة السلا لة و غيرها من أ نماط المجتمع في وحدة متكاملة (5) و يستعمل "الالات" " LALATE "كلمة ادماج في قاموسه الفلسفي حيث يقول بأنه ذلك الترابط الوثيق الموجود بين اعضاء الكائن او عناصر المجتمع ، وهو ذلك العمل الفردى الذى يقوم به الشخص للا حساس بالانتماء للجماعة .

---

(1) الدكتور بدوى (أ.ز) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . مكتبة لبنان 1978 ص 244

(2) Malinawski(B) : Mythe in primitive psychology 1926.

(3) KHELLIL (M) : La kabylie ou l'ancetre sacrifié pais: ed l'harmattan 1984

(4) Hanoteau (L.G) et letourneux(A): La kabylie etles coutumes kabyles. challamel paris : 1872 - 1873 3 vol ed augustin (2e ed 1893)

(5) بدوى (أ.ز) معجم مصطلحات العلوم الا جتماعية مكتبة لبنان : 1978 ص 221.

- التلاؤم : هو احد مظاهر التفاعل الاجتماعي و هي الحالة التي يتفق فيها المتصارعون على اخفاء صراعاتهم ووقف التنافس بينهم مؤقتا، و يلجأ الفرد أو الجماعة الى التراضي المتبادل بتأثير ادراك الموقف و تبني استحالة تحقيق فوز على العزيم، ولا يلغي التراضي المتبادل الصراع أو ينهيه بل هو يؤجله فقط و يخفيه على الظهور (1).

- التعاون : وهو أيضا أحد مظاهر التفاعل الاجتماعي ونمط من أنماط السلوك الانساني وعملية التعاون هي التعبير المشترك لشخصين أو أكثر في محاولة لتحقيق هدف مشترك. و التعاون قد يكون مباشرا أي التعاون على القيام بانشطة مترابطة و متشابهة في صورة جماعية أو غير مباشرا اى التعاون الذى يقوم على انجاز انشطة غير متشابهة تكمل بعضها البعض،و هي تؤدى جميعا هدفا مشتركا، والتعاون المباشر يتضمن تقسيما للعمل و أداء مهام متخصصة (2).

- التراث الشعبي : "FOLK.TRADITION" : التراث هو العناصر الثقافية التي تلقاها جيل من جيل ، و مفهوم التراث كما يستخدمه علماء الا تنولوجيا الاروبيون و الفولكلوريون أيضا قريب من مفهوم الثقافة ، و يشمل التراث الشعبي المعتقدات الشعبية و العادات كما يشمل الا بداع الشعبي، وهو بصفة عامة يمثل الموضوعات التي تنتمي الى الفولكلور (3).

- الثقافة : توجد تطبيقيا عدة تعاريف للثقافة واكثر من (160) واحد. و كل واحد يحاول أن يعطي للمفهوم الوجه الذى يراه او يبدو له ان يخدم انشغالاته الخاصة. و لكن التعريف او المعنى الا جرائي الذى نستعمله في هذا البحث هو تعريف تايلور (TYLOR) E.B : و هي ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة، المعتقدات ،الفن، الا خلا ق القوانين. العادات و كل سلوك او تعودات اخرى يكتسبها الفرد كعضو في المجتمع (4).

- الدين : هو مجموعة من المبادىء التي يؤمن بها شعب من الشعوب التي تؤدى الى توحيد السلوك، و كما أن هناك ديانات وضعية و ديانات منزلة . قال(مالك بن نبي) الذى ولد بقسنطينة سنة (1905) و واصل دراسته الجامعية بفرنسا : " ان الثقافة لا تستطيع ان تكون اسلوب الحياة في مجتمع معين الا اذا اشتملت على عنصر يجعل كل فرد مرتبطا بهذا الاسلوب، فلا يحدث فيه نشوزا بسلوكه الخاص وهذا العنصر هو المبدأ الا خلاقي" والدين هو مجموعة من المعتقدات والممارسات التي تحوى كموضوع لها علاقات الانسان بالشيء المقدس او الروحاني (5).

---

(1) OP.CIT الصفحة 6
(2) OP.CIT الصفحة 86
(3) العنتيل (ف): الفولكلور ماهو ؟: القاهرة ، دار المعارف 1965 ص 36 ـــ 43.
(4) Megherbi (A) : culture et personalite algerienne (de massinissa à nos jours) Alger: ENAL - OPU 1986 . P. 13.
(5) Grand dictionnaire encyclopedique, larousse: Paris, librairie, larousse T 3 1980 P.787.

وصف المنهجية المستعملة :

اعتمدت في هذا البحث على منهجية خاصة بالموضوع وهذا نظرا لملا ئمتها به . و وفقا للمبدأ القائل ان لكل موضوع و لكل دراسةمنهجيتها الخاصة . ففي أول الا مر تابعت طريقة المطالعة الشاملة للكتب المتداولة للا ساطير و الا دب الشعبي من جهة والمجتمع الجزائرى و منه القبائلي و ظاهرة السحر عبره و عبر العالم من جهة أخرى . لكنني لما رأيت الموضوع متشعبا اضطررت في الا خير لحصره في مجال معين و هو المجتمع القبائلي المندرج ضمن المجتمع الا مازيغي الكبير، فرأيت ان أتناول قضية او ظاهرة الممارسات السحرية فيه عبر نصوص لا ساطير متداولة و شائعة بين افراده ، و الذاكرة الجماعية وحاولت تحليل محتواها لمعرفة اولا و قبل كل شيء عما اذا كانت لها علا قة بالواقع المعاش و عما اذا كانت تعكس بنية هذا المجتمع السوسيو ثقافية . و بعد ذلك حاولت دراسة هذه الظاهرة اى السحر من خلا ل الوظيفة التي تؤديها في هذا المجتمع.وأما التقنية المستعملة فهي تحليل المحتوى الكيفي منه فقط ذلك لانني لا يهمني نص الاساطير بقدر موضوع السحر، فالاسطورة هنا عبارة فقط عن نقطة انطلا ق للدخول في الموضوع و لذلك فالجانب اوالنوع الكمي منالتحليل مستبعد هنا حسب خدمة الموضوع كما استعملت تقنية استمارة الا ستبيان لغرض جمع المعلومات، و الاستمارة هنا عبارة عنوسيلة جمع بعض الا راء الخا صة بالظاهرة والتي تم الحصول عليها من طرف الشيوخ خاصة اى المسنين و المسنات.

كما استعملت تقنية الرسم هنا لغرض توضيحي و كوسيلة للتعبير عن صور بعض المشاهد المجهولة ربما عند البعض. أ ما العينة و ان كانت التسمية لا تعبر عن الجماعة المعنية بالامر فهي تكاد تكون عرضية (1) ، لان العدد منحصر ا فقط في بعض الا شخاص الذين تم استجوابهم و معرفة اراءهم حول الموضوع، وهذا العدد يكاد يحصى على الاصابع ذلك نظرا للصعوبات التي وجدتها للعثور على المسنات اللواتي لهن علا قة و طيدة و مباشرة بالموضوع سواء المتعلقة بعدم التحدث والتصريح بمثل هذه المعلومات السحرية الخطيرة او من حيث صعوبة التنقل الى أية قرية قبائلية ، و لذلك فان دراستي هذه و ثائقية منها اكثر من ميدانية والعينة هنا لا تظهر فائدتها كثيرا اذ لم تكن ممثلة ،خاصة وان ظاهرة السحر او الممارسات السحرية تمس كل افراد المجتمع و النساء المسنات اكثر اقترابا منها من كل الفئات الا جتماعية الاخرى لانها هي التي تمارسها في اغلب الحالات.

---

(1) بوحوش (ع) :د ليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية ،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985 (العينة العرضية هي التي تتم بالصدفة أي استجواب الافراد عن طريق الصدفة لجمع المعلومات).

و صـف المدونة (LE CORPUS) :

لقد اعتمدت في هذا البحث المتواضع على جمع عشرة اساطير متداولة في المجتمـع القبائلي ككل لانه و كما هو معروف ليس للا سطورة زمان و لا مكان، ولهذا فهي متداولـة من السلف الى الخلف عبر عدة قرون، ولقد جمعتها من مختلف ألسنة العجائز والشيـوخ والطلبة و بعض المؤلفات الخاصة بالتراث الشعبي الشفوى القبائلي(مولود معمـرى مثلا) و لقد اخترت منها التي تتناول موضوع السحر فقط و ذلك لتماشيها مع الموضوع المختـار الذى هو الممارسات السحرية، والذى احاول البحث فيه عن وظيفة هذه الظاهرة فـي المجتمع القبائلي وارى عما اذا كانت هذه الا ساطير تعكس الواقع المعاش حاليا مـن خلا ل ظاهرة السحر ام هي فقط مجرد نصوص مستقلة عن الا فكار و البنية الخاصة بالمجتمع القبائلي ولا تلعب بذلك اى دور اجتماعي . و لقد طرحت هذه الا ساطير كلها عدة مواضيع ثانوية او عناصر عند علا جها الموضوع أو المسألة الرئيسية الشاملة المندرجة فيها (السحر)، وانبثقت منها عشر قضايا سوف نحللها بحول الله في هذه الا طروحة و هي كالتـالـي: صورة المرأة و الرجل في المجتمع القبائلي ، ولوع المرأة بالسحر في المجتمع القبائلـي، المرأة القبائلية و الممارسات الطقوسية السحرية، الزواج و العلا قات الا جتماعية فـي المجتمع القبائلي ثم الطلا ق و المشاكل الا سرية في المجتمع القبائلي، مشكل العلا قـات الجنسية و قيمة العذرية في المجتمع القبائلي، تعدد الزوجات في المجتمع القبائلـي، التضامن الا جتماعي، أصل الانسان و الساحر القبائليو اخيرا القيمة الرمزية للحيـوان في المجتمع القبائلي .

و بعد هذا تناولت النقد والتأويل السوسيولوجي بعد كل قضية او محور للتحليل كمنهجيـة منطقية الغرض منها التسلسل و التتابع في الا فكار و الا حداث.

صعوبات البحث :

كما هو معروف في كل الدراسات، فان الباحث يصادف في مشواره العلمي عراقيل عديدة سواء نظريا أو ميدانيا ، فمن بين هذه الصعوبات التي واجهتها أ ذكر :

- عدم توفر المراجع المتناولة للا سطورة الشعبية القبائلية عامة و السحرية منها خاصة، هذا بالا ضافة الى وجود مراجع محدودة جدا في موضوع الممارسات السحرية في هذه المنطقة الجبلية (القبائل) وان وجدت فهي تحمل في طياتها دائما أغراض استعمارية مزيفة تبعا لاصحابها الا جانب و بالتالي الغرباء عن هذا المجتمع .

- استحالة اجراء المقابلا ت بصفة أو بصورة مفتوحة جدا سواء مع المبحوثين من جهة نظرا لتخويفهم من الا باحة بالمعلومات الخاصة بترددهم على السحرة و سواء من النساء اللواتي يقمن بعملية السحر لا بل حتى الا ستقبال مرفوض من طرفهن في منطقة القبائل الكبرى نظرا لعدم تردد المهتمين بمثل هذه المواضيع من قبل (الصحافيين مثلا)، كما وصل الامر الى ان اصبحت الكثير من النساء العجائز تعطي لي نصائح بالابتعاد عن مثل هذه الدراسات و البحوث نظرا لشدة خطورتها على حياتي معتقدات انني سوف اصاب بجنون او بشي ء من هذا القبيل، و صارت كل واحدة منهن تخيفني من العفاريت التي قد تمتلكني بين الحين و الا خر.

- عدم التصريح بمعلومات دقيقة حول الموضوع سواء من طرف المبحوثين الذين مروا ببعض التجارب في هذا المجال و كذلك من طرف المترددين على الشوافات و العرافات نظرا لخجلهم من هذا و خوفهم بل ان لا احد يصرح بذهابه اليها رغم كونه معروفا بذلك.

- الى جانب كل هذا و اجهتني صعوبات أساسية في التصوير اذ حاولت اثراء البحث ببعض الصور لكن الزائرات و العرافات رفضن اخذ ولو صورة واحدة رغم انني حاولت ان أؤكد لهن انها مجرد صور تذكارية . و لذلك لجأت الى الصور المأخوذة من بعض المؤلفات للتفسير و التوضيح لا أ كثر.

ملخص الفصل الاول :

أهم ما يمكن قوله في هذا الفصل المنهجي، انه قد ساهمت عدة عوامل في اختيار الموضوع المعالج سواء الذاتية او الموضوعية و ذلك كله كدوافع مباشرة أحيانا و غير مباشرة أحيانا اخرى في الميل نحو السحر و الشعوذة عبر الاسطورة التي مازالت متداولة في المجتمع القبائلي في كل العصور و المهددة بالزوال و التهميش كغيرها من عناصر التراث الشعبي الشفوي، و ذلك لهدف معرفة الدور السوسيولوجي و الحقيقي الذي تؤديه ظاهرة السحر في بنية مجتمعنا المحلي.

ولقد طرحت هذه القضية عبر اشكال من خلال السؤال الاساسي الذي يتمحور حول الوظيفة الرئيسية التي تؤديها ظاهرة الممارسات السحرية في بنية المجتمع القبائلي لمعرفة عما اذا كانت تخلق ما يسمى بالاندماج الاجتماعي بين الافراد الذي يظهر في التلاؤم بينهم من ناحية و بالتالي التعاون فيما بينهم من ناحية ثانية امر هي مجرد شعوذة و جب القضاء عليها، خاصة وان هناك تضارب مستمر بين عدة مدارس و تيارات سوسيولوجية في هذا المجال، و بعد استنباط فرضية البحث هذه و مؤشراتها اي الاندماج الاجتماعي و التلاؤم والتعاون، حددنا المفاهيم السوسيولوجية المستعملة في البحث منذ البداية، فعرفنا السحر و الشعوذة ثم الممارسات الاجتماعية التي تندرج ضمنها الممارسة السحرية بطبيعة الحال، فمفهوم الوظيفة حسب المدرسة التي ينتمي اليها المتمثلة في الوظيفية فالاسطورة بما فيها المفهوم الاجرائي المستعمل في الدراسة، ثم عرفنا القبائل تاريخيا فالاندماج الاجتماعي بما فيه التلاؤم و التعاون الاجتماعيين كتضامن و تماسك اجتماعيين و تراضي متبادل بين الافراد، هذا بالاضافة الى تعريف التراث الشعبي مع الثقافة عامة و الدين منها خاصة نظرا لاهميتهما في خدمة الموضوع، هذا و لقد وصفنا المنهجية المتبعة في البحث والتي تمثلت في المطالعة الشاملة و حصر الموضوع نظرا لتشعبه و ذلك من خلال تناول مدونة أساطير و تحليلها عبر تحليل المحتوى الكيفي فقط نظرا لخدمة هذا النوع و مسه للموضوع بطريقة مباشرة و فعالة ، ثم انه لا يهمنا هنا نص الاسطورة لغويا بقدرما تهمنا تقنية السحر عبرها و هذا كله لهدف معرفة اقتراب هذه الروايات من الواقع و تعبيرها عنه في ظاهرة الممارسات السحرية، هذا مع استعمال تقنية استمارة الاستبيان لجمع المعلومات الهامة ، مع الرسم لغرض توضيحي مع ذكر نوع العينة المتمثل في العرضية حسب (عمار بوحوش) و المعتمدة على استجواب الناس عن طريق الصدفة و الذين لهم علاقة بالموضوع بطبيعة الحال ثم و صفنا للمدونة الخاصة بالاساطير العشر التي تناولت قضايا ثانوية كالزواج

و الطلا ق و الا صل القبائلي و تعدد الزوجات و غيرها بالاضافة الى الموضوع أو المحور الرئيسي المتمثل في السحر، هذا و لقد تطرقنا الى أهم العراقيل التي تحول بيننا وبين الوصول الى بعض النتائج بطريقة غنية و ثرية، من بينها عدم توفر المراجع الكافية واستحالة الوصول او الحصول على معلومات دقيقة نظرا لخطورتها.

الجانب السوسيو - ثقافـــي للدراسة (النظرى) :

- مقـدمـــة الفـصـــل
- سوسيولوجية الفن و الا دب
- التراث الشعبي الشفوى
- الا سطورة كشكل تعبيرى
- مراحل تطور الفكر الا نساني
- معنى السحر و أنواعه
- تقديم بعض التصورات حول الممارسات السحرية :
  - التصور الوظيفـــي .
  - التصور البنيـــوى .
  - التصور الخلـــدوني .
  - التصور الا سلا مـي .
  - ملخـــص الفصـــل .

مقدمة الفصـــل :

سوف نتناول في هذا الفصل الذى ارتأيت ان أ سميه بالسوسيوثقافي عوض مصطلح النظرى نظرا لشموله على عناصر ثقافية و سوسيولوجية للموضوع سواء المتعلقة منها باطار النصوص الشفوية (الاساطير) من سوسيولوجية الفن و الادب و التراث الشعبي الشفوى، او بالموضوع الذى طرحته هذه الا خيرة (الممارسات السحرية) من مراحل تطور الفكر الانساني، وتقديم بعض التصورات الفكرية حولها من جهة و موقع أو مكان هذه الظاهرة بينها بعد تقديم او التعريف بالسحر وانواعه .

سوسيولوجية الفن و الا دب :

ان كون الفن يجسم قسما كبيرا من التجربة البشرية من عواطف و معتقدات وافكار ،جعل بعض المفكرين و العلماء يهتمون به اهتماما بالغا ضمن دراسة حديثة العهد و هي سوسيولوجية الفن، غير ان هذا لا يقف في وجه من يعتبر هذه المعارف أو الوسائل التعبيرية انتاجا ذهنيا ثانويا لا يستحق الدراسة وهذا طبعا انطلا قا من الفكرة الداعية الى أنه عملا فرديا مستقلا عن الجماعة . و يعرف (علياء شكرى) و (محمود الجوهرى) ميدان هذا العلم قائلين : " انه و جهة نظر او موقف اتجاه الفن اكثر منه ميدان معترف به من ميادين الدراسة يتضمن موضوعا مستقلا و يستخدم مناهج بحث معترف بها ، و يستند الى اطار مرجعي مستقر " (1).

و هو ليس نتاج انسان واحد بل اجتماعي مرتبط بالمجتمع كله و يعبر عن عبقرية افراده .

اما سوسيولوجية الادب فهي حديثة العهد ايضا و تمتازبالتأكيد على وعي المجتمع و تتناول الا دب بالدراسة العميقة كنتاج اجتماعي ، و يشير (روبرت اسكاربت) (R.ESCARPIT) في كتابه " سوسيولوجية الا دب " قائلا : " ان وجود افراد مبدعين يطرح مشاكل في التأويل النفساني و الا خلا قي و الفلسفي ، كما تطرح الا ثار نفسها مشاكل جمالية و اسلوبية ولغوية و تقنية .

اما وجود الجماعة فيطرح مشاكل ذات طابع تاريخي و سياسي واجتماعي، بل واقتصادى (2) واما (مدام دوستال) فتعرف هذا العلم (سوسيولوجية الا دب) بأنه البحث في مدى تأثير الدين و العادات و القوانين في الا دب و مدى تأثير الادب في الدين و العادات و القوانيين " (3). و نفهم من خلال كل ما ذكرنا ان الا سطورة كوسيلة تعبير المجتمعات الا نسانية ماهي الا شكل من اشكال الفن من جهة و بالتالي تنتمي دراستها الى سوسيولوجية الفن و شكل من أشكال الادب البشرى كرواية من جهة ثانية و ينتمي أيضا الى سوسيولوجية الادب، فالاسطورة اذن فن وادب معا .

---

(1) شكرى (ع) و الجوهرى (م) نظرية علم الا جتماع . القاهرة : دار المعارف 1980.

(2) اسكاربت (ر) : سوسيولوجيا الادب : تر : (آمال انطوان عرموني) بيروت ؛ باريس منشورات عويدات 1976.

(3) دوستال (مدام) : في الا دب وعلا قته بالمؤسسات الا جتماعية الخطاب التمهيدى.

الفنون الشعبية الشفوية (التراث الشعبي الشفوى) :

يقسم بعض المختصين في سوسيولوجية الفن و الادب و بعض المهتمين بالبحوث الانثرولوجية ، الفنون الشعبية الى قسمين : البدائية التي نشأت قبل مرحلة التاريخ وقبل ظهور الكتابة، والمتحضرة التي يبدو فيها تأ ثير التعليم المدرسي والتفكير العلمي واضحا والتي تختلف فيها النظرة عن التفكير الشعبي المتسم بالسطحية المعتمدة على الحواس والشفوية من جهة ، و قدرته على التطور و مسايرة العصر من جهة ثانية . غير أن الا تفاق الوحيد بين علماء الا جتماع في هذا الميدان هو كون هذه الفنون كلها شفوية . ولقد ظهرت هذه الكلمة لاول مرة في الولايات المتحدة وأوروبا و انجلترا وأطلق اسم الثقافة الشعبية من طرف (دورسون) و كان يعني بها القيم و العادات و التقاليد، و قد تستعمل كلمة (فولكلور) للدلالة عليها و هي التي و ضعها (W.J THOMAS) عام 1846 و تعني (معرفة الشعب) واما الشفوية حسب (C.LACOSTE DUJARDIN.) فهي " كل التعابير الغير مكتوبة التي ينتجها فرد أو جماعة اجتماعية أكدت في محتواها و شكلها و انتجت لكي تتكرر و تنتقل في وسط نفس الجماعة و تكون هكذا جزء من ثقافتها " (1) وهي تحتل مكانا كبيرا في مجتمعنا و تشمل القصص والا ساطير والوقائع و الرقصات و الا مثال و الالحان و الموسيقى الشعبية والطب التقليدى. وأصبح اليوم هذا الشكل من التعبير و نظرا لتطور الكتابة يستعمل الوسائل التقنية كمسجل الصوت للدفاع على وجوده و لتعويض الوظيفة التقليدية للذاكرة . و الا سطورة كعنصر من عناصر هذا التراث الشعبي الشفوى ضرورة اثنولوجية واجتماعية لفهم المجتمع و عقليته لما تحويه من معتقدات و حوادث ظلت حية على الرغم من تقادم العهد بها ، و لعل أ صدق دليل هو قول الدكتور (عبد الحميد يونس) : " ما من أثر من آثار الا دب الشعبي الا ووجدنا فيه رواسب نفسية و اغلة في القدم تعود الى عهد العشائر البدائية ، و هو أ صدق في الدلالة على النفسية الشعبية من الوثائق وروايات أصحاب التاريخ (2).

---

(1) La coste du-jardin(c)'Litterature orale et l'histoire(fonctions historiques d'un corpus de l'itterature orale pay sanne algerienne)
C.R.A.P.E . OPU Alger·1982.

(2) أ حدى مذكرات نهاية اليسانس .

الا سطورة كشكل تعبيرى :

مما لا شك فيه أن الا سطورة طور من تاريخ أطوار فكرة الا نسان و هي فكرة ذات نطاق واسع و تنوع في المعنى يستحيل حصره في كلمة،و لذلك اختار العلماء أغلبية العناصر فيالاساطير و سموها و نسبوها اليها، كالدين و العادات والشعائر فمثلا نرى (رابرتسن سميت) يقول أن :

" The Myth was derived from the rituel and not the rituel from the Myth ".

بمعنى أن الا سطورة هي المنبثقة من العادات و الطقوس و ليس العكس، ونحن يستمر قائلا نثق كل الثقة عندما نقول انها قد استخرجت من العادات و التقاليد لتؤول و تفسر بها التقليد ولكن الا صح أو المهم هنا انها تنبعث من حالة ذهنية يلعب فيها الوهم والوسواس بالنفوس الدور الفعال . ان التفكير في العلا قة بين الا سطورة و المجتمع يستلزم الكشف علميا عن أسباب الوجود و ضرورة الحركة المضاعفة للتاريخ فالنسبة (لبرونسلومالنونسكي) زعيم المدرسة الوظيفية فانه لمن البديهي ان يكون لكل مجتمع فكره و ان الا سطورة مهماكانت تعتبر انتاج شعب من الشعوب وهي ذلك التعبير الصحيح عن فكره بل و تاريخه لان الشعب لا يجد الا الا سطورة ليعبر عن كل ما يختلج في فؤاده من عواطف و كل ما يجيش في نفسه من أ حاسيس و مشاعر فيختار هذه أو تلكاو يخلق أخرى تناسب الواقع الذى يعيشه في ذلك الوقت .

انطلا قا مما سبق نقول أن الا سطورة عرفت في انتقالها عبر الزمن من بقعة الى أخرى و من فرد لا خر حوادث و مشاهد ، و جدت فعلا بقدر ما تدل عليه تصاوير مغارات العصر الحجرى فليس بكثير ان تكون هذه الا سطورة هي تلك الصياغة الاولى للتاريخ و الاجتماع معا .

ان الا سطورة كرواية تعتبر فعلا احدى وسائل تفسير و تحليل الكون و الواقع والتاريخ و تسمح بالتعرف العميق على أهم الخصائص الثقافيةوالانتروبولوجية للمجتمعات التي تتداول فيها لما تأ خذه من شكل التحدث عن موقف تعيدنا به الى سياق الماضي باتصالها بتجارب اجتماعية عن طريق الرواية ، مما يجعلنا نقر انها لم تتولد منالعدم والصدفةبل تبعتها ارهاصات و تجارب تاريخية ثابتة .

مراحل تطور الفكر الا نساني:

لقد مر العقل البشرى بعدة مراحل عبر التاريخ و ذلك في تكوينه و تطوره تماشيا مع مجالات العلوم و المعارف . و التفكير العربي كجزء من هذا التفكير البشرى الشامل لم يندج بدوره من المرور على الا طوار التي يسميها علماء الميتولوجيا بطور ما قبل المذهب الحيوى ثم الحيوى، فالطوطمي ثم تعدد الا لهة و اخيرا فكرة وحدة الاله ، وكل هذه الا طوار تمهد السبيل لتوزيع الا ساطير في أبواب وفق لنوعيتها .

فأما المرحلة الاولى فلقد سعى فيها الا نسان الى قضاء الضروريات من الحياة المستقرة والمحصورة في العادات والتقاليد و ذلك لكثرة اندهاشه امام تقلبات الدهر و مظاهر الطبيعة ، فاكتفى عقله البسيط بارجاعها الى أ شخاص مثله ، و بعد كل ذا قرر هذا المخلوق ان يقدس بعض الموجودات كالشمس و القمر و ذلك حفظا على كرامة الا جداد، وهذا هو أقدم شكل مر به الا نسان في الميدان الديني و الذى يعود مصدره الى التصور القائل بعيش كائن غريب في نفسه يدعى الروح، هذا ما يقوله الا نتروبولوجي (تيلور) (Tylor) في اصل نظريته المذهب الروحاني.

و بعد هذه المرحلة انتقل الفكر البشرى الى الطوطمية، هذا المصطلح الذى دخل الى اللغة الا نجليزية عام (1791) اذ يعتقد في خصمها كل فرد من القبيلة ان له علا قة نسب بينه و بين احد الكائنات الحية و يسميها طوتمه (نبات ، حيوان ...) و احسن شاهد على هذه المرحلة تسمية بعض القبائل العرب (بنوكلب، بنو أسد ...) وانتقل اثر هذه المرحلة مباشرة الى مرحلة تعدد الا لهة الطبيعية كالاوثان و الا صنام ، فالمرحلة الحالية (الاله الواحد).

نلا حظ مما ذكر ان هناك تطابقا نوعا ما بين هذه النظرية و بين قانون الحالات الثلا ث (لاوقست كونت) اذ يرى هذا الا خير ان التفكير البشرى في المرحلة الاولى كان لا هوتيا ، و كان يعني بالبحث في كنه الموجودات و أصلها و مصيرها لا بالعقل الا ستدلالي المنطقي وانما بالخيال فكان الا نسان في هذه المرحلة يبحث عن ربه في الا ودية الخفية وكان ينسج الا ساطير حول الجبال والا شجار ثم انتقل الى المرحلة الميتافيزيقية التي تعتبر همزة وصل بين الاولى و الا خيرة والتي اختلط فيها الواقع بالخيال، واخيرا ارتقى الا نسان الى المرحلة العقلية التي اصبح فيها قادرا على التفرقة بين الا له و بين الموجودات، وفهم أنه يمتاز بجوهر العقل وانه يستطيع ان يعمل مالا يستطيع الحيوان فعله او اداءه و اصبح ايضا يرى الا شياء بفكره العلمي و يفسرها باسبابها الحقيقية و المنطقية .

معنى السحر و أنواعـــه :

السحر في اللغـــة : السحر بفتحتين و بسكون ثانية مع ضم أوله او فتحه هو الرئة يقال كـــل ذى سحر يتنفس و يتطلب الغذاء، ثم قد يطلق على الغذاء نفسه و على آخر الليل لانـــــه متنفس الصبح . و كل هذا فيه معنى الخفاء، فان الرئة خفية في ذات الحيوان و النفـــــس ألطف شيء فيه ، و الغذاء تخفي مجاريه في البدن و يدق تأثيره . و يطلق السحر بمعنـــــى التعليل و التلهية . و قوله تعالى : (انما أنت من المسحرين) : فسر بالمعللينو بمن خلـــق ذا سحر(1)، و يطلق بمعنى الخداع : تقول : سحرت الصبي اذ خدعته . قال في القامـــو س: معناه : و الله أعلم - انه يمدح الا نسان فيصدق فيه - حتى يصرف قلوب السامعين اليـــــه و يذمه فيصدق فيه حتى يصرف قلوبهم أيضا عنه - والسحر في الشرع يرجع في معناه الـــــى الخفاء و اللطافة والى الخداع والتمويه والى التلهية والتعليل والى الصرفوالاستمالـــة . و عرفه الجصاص في أحكامه فيقول : كل أمر خفي سببه ، و تخيل على غير حقيقتهو جرى مجرى التمويه و الخداع .

و قال ابن العربي في أحكامه : حقيقته انه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، و تنســـب اليه فيه المقادير و الكائنات . و مما ذكر انفا نقول أن :

- الساحر : هو الذى يأتي بأعمال شيطانية فيها الخفاء والخداع .

- المنجم : هو الذى يدعى التنجيم من علم الكوائن و الحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الريح .

- الكاهن : هو الذى يخبر عن المغيبات في المستقبل فقط .

- واما الشواف : فهو يقرأ الماضي والحاضر و يعطي النصائح (حسن اختيار أمور المستقبـــل) وله علاقة بالجن والا رواح .

ان السحر اذن يقصد به اللجوء الى وسائل خرافية سواء من حيث الكنه أو الاستعمال أو المعالجة و الاستناد على قوى غيبية سواء كانت قوى خيرة كالملائكة او قوى شريرة كالشياطين او محايدة كالجن المجهول اتجاهها و كذلك الاعتقاد بتأثير قوى غيبية على الانسان من حيث الصحة ، اوالمرض او المحبة اوالكره كالشياطين و الكواكب والعين الشريرة او اللجوء الـــى

---

(1) ابو بكر بن محمد بن الحنبلي : - علاج الامور السحرية من الشريعة الاسلامية :
قسنطينة : دار الهداية ط 2 1990.

و سائل مادية لمجابهة هذا التأثير المفترض للقوى الغيبية . و حسب هذا المفهوم ندرج كتابة الحجب والرقي والحسد و تحضير الا رواح و استحضار الجان و التبخير، و تسخير الشياطين و البحث عن الكنوز .

التولة : شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة الى زوجها أوالعكس .

أنواعه :

قسم (الراغب الا صفهاني) في مفرداته السحر الى ثلا ثة أنواع ، و قسمه (الفخرالرازى) في تفسيره الى ثمانية تدخل فيها أنواع (الراغب) و نحن نلخصها فيما يلي : توضيحا لمعناه و تفصيلا لا حكامه :

- النوع الا ول : سحر البابليين : سحر البابليين من الكلدان الذين كانوا يعبدون الكواكب و يرونها مديرة هذا العالم ، فيستميلونها اليهم او يصرفون ضررها عنهم بالرقي، وكل ما يتناسب الكوكب و يقرب منها في رأيهم .

- النوع الثاني : سحر أ صحاب الا حوال :

سحر أ صحاب الا حوال ذوى النفوس القوية المؤثرة عندهم يعملون لتقويتها بتقليل الغذاء والعزلة عن الناس و قطع المألوفات والمشتهيات و يستعينون على تأثيرها بالرقي . قال ابن كثير في" تفسيره" : والتصرف بالحال على قسمين : تارة يكون حالا صحيحة شرعية يتصرف بها في أمر الله و رسوله (صلعم) و يترك ما نهي الله تعالى عنه و رسوله ، فهذه الا حوال مواهب من الله و كرامات للصالحين من هذه الا مة (وتارة اخرى توجه للشر) ولا يسمى هذا اى الا ول سحرا في الشرع لان اصحابها طلا ب و بالتالي فهو أكثر صفاءا من سحر النساء لانه يستعمل الكتابة و يعتمد على الكتب و النظريات و يرفض الطلا ب خدمة الممارسات السحرية التي تصنع لعمل الشر للا نسان او يرمي الى زرع الـ خلا ف في البيوت و يتوقفون فقط عند عزم الشياطين واعادة التفاهم و جمع من جديد الرجل أو المرأة المنفصلة ، و علاج الا مراض أو المشاكل النفسية اوالجنسية كالعجز الجنسي، كل هذه الممارسات هي جزء من السحر المأجور (المحمود) المتحملة من العادة الاسلا مية و لكنه لا يختلف عن سحر النساء من حيث الا دوات المستعملة : بيض ، حشائش ، اعضاء الحيوانات في حين عندما يحضر الطالب المادة المسحورة يقرأ عليها صيغا مأخوذة من الكتب الدينية و بعض هذه المواد هي أوراق مكتوبة بحبره الخاص (زفت سائل مخلط بصوف محترق) وتذوب في الماء و يشرب فتلبي الضحية كل الاوامر المكتوبة عليها .

النوع الثالث : سحر أ صحاب العزائم : وهو سحر عبدة الشياطين و خدمة الجان و يتقربون اليهم بالرقي و العزائم و يزعمون عن خيال ووهم زعما لا يشهد له عقل و لا اثارة من علم ان ما يعزمون به أسماء الله تعالى التي كانت الملا ئكة تتصرف بها في الجن على عهد سليمان (عليه السلا م)، فمتى ذكرها المعزم انقاد ت له الجن في السحر و استخراج الخبايا، وهذا ما يسمى بالفرنسية " LA MAGIE NOIRE"، القائم على تسخير الجن لايذاء الا نسان كتعطيل بعض أ عضاء البدن و ايقاف المشاريع و المواهب و ايقاف القدرة الزوجية واحباط المساعي و يفرقون اصحابه الا زواج و يزرعون الكراهية في القلوب بادخال المرض و ذلك بخلط المادة المسحورة في الا كل او الشراب (قهوة - ماء) أو وضع الحجاب في أماكن معينة (تحت العتبة - تحت الباب .... - في غرفة النوم ،تحت السرير - في المخدة) بالطلا سم (الكتابات السحرية - البطاقات) .

النوع الرابع : سحر أ صحاب التخيل :

صرح الهيثمي (في الفتاوى الحديثة) بان من السحرة او في معناهم من تجتمع عليه الخلق في الطرقات لا لهاء الناس بأ شياء عجيبة كقطع رأس الا نسان واعادتها و نداءهم للا نسان بعد ذلك فيجيبهم ، و جعل نحو دارهم من التراب و غير ذلك مما هو مشهور عندهم . و هذا ما يسمى بالفرنسية " MAGIE BLANCHE " (السحر الا بيض) .

النوع الخامس : سحر النمام : سحر النميمة ، بالسعي بين الناس من وجوه خفية لطيفة . ولم ينفرد الرازى بادخال النميمة في السحر بل سبقه أبو بكر الجصاص في أ حكامه .

النوع السادس : سحر أ صحاب التنويم .

سحر التنويم عبر عنه (الرازى) بتعليق القلب، و هو أن يهول الساحر على ضعيف العقل،قليل التمييز و يوهمه انه يتصرف في الجن حتى يؤثر عليه فيصدقه و يتعلق قلبه به و يسلب شعوره من الرعب فيكون معه كالنائم و هنالك يفعل الساحر به ما شاء ، و عامتنا تعبر عن هذا السحر بالمصروع،و عن حركاته بالتهوال .

تقـــد يم بعض التصورات حول الممارسات السحرية :

مما لا شك فيـــه ان الممارسات السحرية تندرج ضمن موضوع الخرافة من وجهة النظر العلميـــة و العقلية ، فاذا عرفنا هذه الا خيرة بأنها الا فكار و الممارسات و العادات التي لا تستنـــــد الى اى تبرير عقلي ولا تخضع لاى مفهوم علمي سواء من حيث النظرية او التطبيق فان الذهنيـــة الخرافية هي تلك التي تسيطر على الفرد أو الجماعة بحيث يكون للخرافة فيها مكانا بارزاسواء في نقل المعلومات او تمثيلها و في تفسير الا حداث او تعليلها . "و الذهنية الخرافية بهـــــذا الصدد هي أ يضا تلك الذهنية التي تحاول الوصول الى أ هداف الفرد اوالمجتمع على أســـــس لا تستند الى العلم او العقل" (1) فان السحر كجزء من هذه الذهنية قديم قدم الحضـــــــارة الا نسانية ذاتها من حيث انه كان و مازال شكل متضاءل في ايامنا هذه تقنية (تكنيـــــــك) ساذجة و خرافية لتفسير الظواهر و تحقيق الرغبات و حل المشاكل التي يواجهها الا نسان، وفي معظم بقاع العالم، وارتبط السحر كاحد مظاهر الجهل ارتباطا و ثيقا بالدين لان السحر والدين يشكلان في الوسط الديني جزءا من ذات بنية الا تصال مع المقدس، وهذا يطابق أو يـــــــلائم المصطلح (التوفيقية الدينية) لباستيد (1970) ، الذى يعني تقابل او تدامج توفيقي و غير متمايز بين المعيار الديني و المقدس البدائي او السحر .

ان العديد من علماء الا جتماع و الد يانات و الا تنروبولوجيا قد كتبوا عن ظاهرة السحر وأكدوا ارجاعها الى أصول دينية و ميتولوجية منبثقة من الواقع الا جتماعي و الحضارى للا نسان وخاصة في بداية تحضره . وهذا ما يجعله يدخل في اطار المعتقدات و الممارسات الثقـــافيـــة و الا جتماعية . و نظرا لا ختلا ف الا راء و تصارعها، لا بأس ان نورد البعض منها .

1) ـ الموقف الوظيفي " FONCTIONNALISME "

قبل التطرق الى موقف المدرسة الوظيفية حول الممارسات السحرية سوف نعطي لمحة خاطفـــة عن هذا الا تجاه .

ان مفهوم الوظيفية عام و شامل ، و قد استعمل في علوم كثيرة و مختلفة (الرياضيات، البيولوجيا، علم النفس، علم الا جتماع ..)، و معناه يختلف من علم لاخر و يستخدمه كل واحـــد حسب المهمة و الحاجة اليه ، ففي علم النفس مثلا يعبر عن تلك العمليات العقلية التي يقـوم بها الكائن الحي سعيا للتكيف مع محيطه ، أ ما في علم الا جتماع فان مفهوم الوظيفية يتمحور حول كل العناصر التي تحمل معاني اجتماعية (الاسرة ،المدرسة ،الشارع،وسائل الاتصال،التنشئة

(1) Malinowski (B) magic, science and religion glengoe pressillinois :1948

الا جتماعية ، السلوكات، القيم ، المعتقدات) التي يؤمن بها أعضاء المجتمع و مدى ضروريتها لتحقيق التوازن الا جتماعي و الا نضباط الا خلا قي و ما هو دور كل عنصر في هذه العمليـــــة .

يعرف الدكتور (زكي بدوى) في كتابه (قاموس العلوم الا جتماعية) : الوظيفة بأنها اتجاه نظرى يؤكد على وجوب دراسة الظواهر الا جتماعية والثقافية من حيث الوظيفة التي تؤديها .

و لقد دخل مصطلح وظيفة الى علم الا جتماع و ثبت فيه عن طريق رواد الا نثروبولوجيـــــــا الا جتماعية أ مثال : (بروسلو ما لنوفسكي) ، (راد كليف براو ن) ، (هربرت سبنسر)،(تالكوت بارسنس) ، (روبرت مرتون)، و (اميل دور كايم).

يبدو رأى الا تجاه الوظيفي واضحا فيما يخص الممارسات السحرية فيماعبر عنه زعيمه مالنوفسكي (ب) بقوله " ينطلق التحليل الوظيفي للثقافة (بمفهومها الواسع)(1) من مبدأ ان لكل نموذج حضارى و لكل تقليد و لكل شيء ملموس ولكل فكرة او اعتقاد وظيفة حيوية و دور يقـــوم به و يمثل جزء من كل عضو شامل وان كل حركة او فعل او نشاط يعتبر وظيفيا،ليس للمجمـــوع الثقافي فحسب بل بالنسبة لاى فرد من افراد المجتمع اى ان لكل فعل محتوى هادف، و مـــن هنا فان حتى تلك الحركات البهلوانية التي تبدو تافهة هي في الحقيقة تعبيرات في خدمـة الا رتياح البيولوجي و الذهني للا فراد بكيفية غير مباشرة كما انها وسائل لزيادة التماســك و الا ندماج الا جتماعيين (2)"

وبالتالي فان الممارسات السحرية كتقليد مستمر في كل المجتمعات و في كل العصور تلعب دورا أ ساسيا في الحياة الا جتماعية لانها تحدد اهداف الفعل الفردى و الجماعي في انواحد.

تقر هذه المدرسة كاتجاه سوسيولوجي ان لكل الممارسات السحرية كمعتقدات رواسب محددة في وجدان الشعب لانها فكر انساني عقلاني واجتماعي ثقافي، فلا تجد فيها الا قوة ثقافيـــة تدخل أ كثر في الحياة القبلية البدائية الخاصة بالجماعات الا جتماعية وهينمو ذج لقيمهـا الا خلا قية و أوامرها السوسيولوجية وكذا بقايا معتقداتها الشعبية و ان اصل جذور ما يروى عن السحر ما هو الا واقعة حدثت بالفعل في ماضي بعيد و تاريخ محدد و لذلك فهو يؤدى وظيفة ضرورية في المجتمع من حيث انه يلبي الحاجات الثقافية و الا جتماعية و الدينيـــة من تماسك و تضامن و اندماج اجتماعيين .

و اما (اميل دور كايم) فانه يرى ان للمعتقدات و الطقوس و التقاليد بما فيها الممارســـات السحرية تساهم كثيرا في الذماج افراد المجتمع الواحد و خلق ما يسمى بالتضامن الا لـــي، و لكنه يقول أنها تؤدى هذه الوظيفة فقط في المجتمعات البدائية و يوافقه (روبرتمرتون)

---

(1) الثقافة هي : ذلك الكل المركب الذى يشمل العادات و التقاليد والقانون و الاخلا ق و الفن و كل شيء او عنصر اخر يكتسبه الفرد من المجتمع(مفهوم تايلور) الموجود او المذكور في تحديد للمفاهيم .

(2) القول مأخوذ من محاضرة وحدة الاتجاهات الرئيسية للاستاذبوزيدصحراوى السنة الثانية علم الاجتماع.

الى حد بعيد في هذه النقطة اذ يرى ان ظاهرة المعتقدات و الدين تلعب أو تساهم كثيرا في عملية الدمج الا جتماعي في المجتمعات البدائية و لكنها تكون عامل او سبب للـ فكك في البنيات الا جتماعية في المجتمعات المتحضرة و المتطورة . (لعل هذا ما يعبر عنه (اميل دور كايم) بمفهوم " الخلل الوظيفي " DYSFONCTION "

الموقف البنيـــــوى : (Le Structuralisme) :

تعتبر المدرسة البنيوية مدرسة ذات رواجاكبيرا في علم الا جتماع ، وهي تتناول النسق الا جتماعي اوالمجتمع و العلا قات ا لاجتماعية على انها بنية تترابط أعضاؤها ترابطامتينا و يؤثركل واحد منها على الا خر بطريقة او بأخرى ، وان زعيم هذا الا تجاه او النظريـــة هو المتخصص في (اللسانيات) (كلود لفي ستروس)، و يعرف البنية على " انها مجموعة علا قات التناسب او التعارض التي تعطي لنظام النسق صبغة عقلا نية و تعبر عن خصائصه الا ساسية (1). مما لا شك فيه بالنسبة لزعيم هذا الا تجاه،فانه لمن البديهي جدا ان يكون لكل مجتمع تاريخه و فكره وان المعتقدات و العادات مهما كانت تعتبر انتاج شعب من الشعوب و انها تعبر عنه في وقت معين و تؤدى بالتالي وظيفة في النسق الا جتماعـــي الذى يعبر عنه اى عندما تكون حية و مترددة و ممارسة تكون في الحقيقة جزء مندمج في بنية التمثلا ت الخاصة بالفوج ، ولكن سرعان ما تصطدم هذه الممارسات بالواقع عندما يتغيـــر المجتمع و تولد أ شكال جديدة للتنظيمات السياسية و الا قتصادية او تتطور فلا يكـــون مصيرها الا الزوال لانها تفقد الوظيفة التي كانت تؤديها ضمن هذا المجتمع و لا تصبـــح الا شكلا من أ شكال الفولكلور . يقول (ك.ل ستروس) موضحا هذه الفكرة : "ان الطقوس و المعتقدات تبدو كأنها لغة موازية يمكن استخدامها بشكلين مختلفين فهي تقدم للانسان بالتزامن او بالتناوب و سيلة لتعديل و ضع عملي او لتعيينه و وصفه فقط . و غالبا مـــا تتكامل الوظيفتان او تعبران عن مظهرين متكاملين لعملية واحدة و لكن حيث يضعـــف تأ ثير الفكر المشعوذ وهو البدائي الوحشي حسب تعبيره و عندما تأخذ الطقوس والمعتقدات طابع اثار متبقية،و حدها الوظيفة الثانية (أى الوصف) تبقى متجاوزة الاولى (2).

و لذلك تصبح هذه الممارسات عبارة فقط عن فولكلور مستقل عن المجتمع و الجماعات الانسانية في العصر المتطور وذات وجود مستقل عن الواقع و التاريخ و لا يلعب بالتالي اية وظيفة

---

(1) Levi strauss (C) Pensée sauvage : Paris : librairie plon 1962.
(2) Levi strauss (C) Le cru et le cuit Paris : 1964 P 343.

محددة لانه يخفي التناقضات الا جتماعية و سوف يستعمل كنظام ايديولوجي لتبرير الوضع السائد في المجتمع لانه حسب (مارسل موص) يعتبر أداة للتذكير اذا صح القول و هو استجابة لنزعة جماعية في الحفاظ على هذاالماضي و على القيم المرتبطة به و تفسربالتالي على هذا الا ساس استدامة الطقوس و المعتقدات عبر تاريخ الحضارات . يؤكد(مارسل موجب) (1950) في مبحثه حول السحر او لوية افكار لا واعية في كل تعبير ديني طقسي(سحرى) او حتى الى كشف النقاب عن المعنى الضمني للظاهرات الدينية و الطقسية موضحا فيها على وجه الخصوص حتمية اللا و عي ، الطقس يضمن استمرارية الماضي من خلا ل خاصيته المولودة لقيم الماضي و رموزه فهو اذا مذهب مناقض للتغير فهو أى السحر يبخس قيمة الحياة و يشوه صورة عالم الواقع بطريقة ساخرة . (يمكننا يضيف(مو ص) ان تعتبر هؤلاء المتخلفين عن التطور الا جتماعي و كأنهم مؤشر عن الفوضوية (ANOMIE)حسب تعبير دور كايم (إ) (1969) أى و كأنهم المثال المميز للخلل الوظيفي (Dysfonction) و هو يقصد بهذا اصحاب الرأى القائل بأ داء الطقوس و المعتقدات و ظيفة الا ندماج و التماسك الا جتماعيين (الوظيفيون) .

- الموقف الخلدوني :

قبل للتطرق الى رأى هذا المفكر حول الممارسات السحرية،لا بأس ان نعطي فكرة موجزة عن حياته .

ولد(عبد الرحمن بن خلدون) بتونس سنة 732 و تعلم بها العلوم الدينية واللغوية والعقلية و الطبيعية .

و لقد عاصر فترة زمنية معروفة بالا حداث السياسية المختلفة من حروب مما جعل هذا المفكر يعيشها بعقل ملا حظ و فكر متتبع متنقلا في رحلا ت مستمرة بين عدة اقطار وخاصة تونس - بجاية - بسكرة - فاس محاولا الا تصال بالسياسيين مما ادى به الى معرفة ضروبا من الا ضطهاد و تقلبا في السجون .

و نقول الحق،ان المستوى العقلي الذى اودع الله هذا الرجل كان هو سبب شقائه اذ خلق في عصر بلغ فيه المجتمع العربي اخر درجات الا نحطاط الخلقي والسياسي والحضارى و كان على(ابن خلدون) اما ان يتمرد على هذا المناخ او يختنق فيه ، و كانت عزيمته اقوى من ان يستسلملعصر لم يفهمه فعاش غريبا طريدا في مجتمع متقلب القيم ، سريع الا نكسار و السقوط و من ثم جاءته فكرة دراسة هذا المجتمع فالف كتابه " كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر" و دون في مقدمته أروع ارائه عن المجتمع العربي و المغربي خاصة في مدة لا تزيد عن خمسة

أ شهر و هي عبارة عن موسوعة علمية في مختلف أنواع العلوم الا جتماعية و توفي (ابن خلدون) عام 1406.

و اما عن رأ يه في السحر فان العلا مة (ابن خلدون) :

يؤكد بقوله :

"واعلم ان وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من أجل التأ ثير الذى ذكرناه ، وقد نطق به القرآن (المقدمة ص 438) " و يقول : " ان العقلية الخرافية لا تختفي بمجرد الانتقال من بيئة متخلفة الى بيئة متقدمة (حضاريا) و لا تختفي بمجرد الحصول على شهادة جامعية عليا بل أ نها جزء اساسي من التركيب الذهني و النفسي للفرد الذى نشأ في بيئة متخلفة في علا قاتها الا جتماعية و الا نتاجية ، و بالتالي خرافية في تصوراتهم العقلية " .

ميز (ابن خلدون) بين السحر فقال ، ان النفوس الساحرة على ثلا ث مراحل، أولهـــا المؤثرة في الهمة فقط من غير الة و لا معين، وهذا الذى يسميه الفلا سفة السحر، والثانية يستعان فيها بالا فلاك والبروج او بالعناصر الثلا ث (التراب،الماء،النار) كما يستعينون بخواص الا عداد و يسمونها بالطلسمات، وهذه اضعف مرتبة ودرجة من الاولى، اما الثالثـة فلها تأ ثير قوى في الخيال و المحاكاة و يعمد صاحبها الى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف و يلقي فيها انواعا من الخيالات و المحاكاة فينظر الراوون كأنها فـــي الخارج و كأنها واقعة ثم يضيف (ابن خلدون) بان السحر يتوجه صاحبه الى الا فلا ك و الكواكب و العوالم العلوية و الشياطين بانواع العبادة و الخضوع و التذلل فهي بذلـــك موجهة الى غير الله و هذا ما سماه (ابن خلدون) الشعوذة او الشعبذة ، و لهذا كان السحر كفرا .

و هكذا يؤكد (ابن خلدون) دور الشياطين في مساعدة السحرة في اعمالهم مستمدا هـــذه الفكرة من الا يات القرآنية، غير ان هذه النظرة المعتد لة من جانب (ابن خلدون) لا تمثل تصور الجماهير عن السحر و الشعوذة بقدرما تصوررأى النخبة من مفكرى العصر في القـرن 14 و عليه فان الصورة الجماهيرية كانت و مازالت تحوى الكثير من الخيالات التي تجعـــل للسحر مكانة نفسية واهمية عملية في الحياة اليومية للجماهير .

ـ الموقف الا سلا مي :

ان الا سلا م قد اعترف اعترافا صريحا من حيث ان السحر ممارسة او موضوع تترتب عليه نتائج خيرة او شريرة ، و هكذا اخذ السحر مكانة شرعية لا يستطيع المسلم ان ينفيها لانها و ردت نصا في الا يات القرآنية :

" واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان و ما كفر سليمان و لكن الشياطين كفـــــــروا، يعلمون الناس السحر و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت و ما يعلمان مـــــن أحد حتى يقولا انما نحن فتنة، فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه، و مـــاهـم بضارين به من أحد الا باذن الله و يتعلمون ما يضرهم و لا ينفعهم و لقد علموا لمن اشتـــــراه ماله في الا خرة من خلق و لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون "(1) و قال الـرســول (صلعم) : " تعلموا السحر ولا تعملوا به " هكذا، فاعتراف الا سلا م بالجن والشياطيـــــن و افرار القرآن بأنه يمكن تسخيرهم لاداء أعمال معينة، عرف السحر قوة كبيرة في نفـــــوس الجماهير (2)، و السحر ينسب صفة الغيب الى كائنات ميتافيزيقية معترف بـــهـــا في الاسلا م، وهي الارواح والعفاريت لانه معروف ان الجنون تستمع الاخبار من أبواب السمـــــاء لمعرفة اسرار الله و الملا ئكة فتضربهم هذه الا خيرة بالحجارة التي نراها في السماء ليـــلا على شكل نجوم هاربة (شهاب) (ETOILES FILANTES) و الجنون تأتي بالاخبار للنـــاس مع اضافة الا كاذيب. عن عائشة (رضي الله عنها) " سمعت رسول الله (صلعم) يقول أن الملائكة تنزل في العنان، اى في السحاب فتذكر أمرا قضي في السماء فيسترق الشياطين السمع فيسمعه فيوجهه الى الكهان فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم (رواه البخارى)".

أخبر الله محمد (صلعم) ان السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ذلك ببابل وان الذين يعلمونهم ذلك رجلان هاروت و ماروت، قال محمد :"من أتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقـــوله فقد كفر، بما أنزل على محمد، فمن اتى عرافا فصدقه بما يقوله لم يقبل صلا ته أربعين يـــومـا" وقال كذلك : " الشرك بالله هوالسحر، و قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق، وأكـــل الربا و أكل مال اليتيم و التولي يوم الزحف و قذف المحصنات المؤمنات الغافلات " فجعـــل (صلعم) السحر متصلا بالشرك العلني و متقدما على القتل . و قال كذلك : " من عقد عقدة ثم نفث (3) فيها فقد سحر، و من سحر فقد أشرك، و من تعلق شيئا و كل ا ليه"

و لذلك فلما كان الرسول (صلعم) يوما يتخيل أنه كان يقوم بأشياء معينة لم يكن يفعلها فـــي الحقيقة، أكتشف انه خبأ له في بئر منشط و كيس من الصوف فبعث له الله تعالى السورتين الحافظتين (المعوذتين).

(سورة الناس و سورة الفلق)، و قالت عائشة (رضي الله عنها) : أنه كلما كان يقرأ السورة كلما كانت تحل كل عقدة من عقد السحر.

---

(1) سورة البقرة الاية 102.

(2) الخماش(س) و بدران(أ) دراسات في العقلية العربية -الخرافة-بيروت:دار الحقيقة 1979 ص 234.

(3) نفث : نفخ ، نفث فلا نا سحره وهو نافث و النفاثات في العقد - السواحر. المعجم الوسيط ج2 ص 937

هكذا فان السحر شيطاني، ومن الا مور التي ينكرها الا سلا م باعتبارها حالات هرطقة نموذجية ، و يعتبر السحر من الكبائر التي تدخل النار لانه حرام و كفر و شعوذة و عملها في عقد زواج فلا ن من فلا نة فهو سحر، وفي محبة الرجل للمرأة و بغضها له و اشباه ذلك بكلمات غامضة مجهولة اكثرها شرك و ضلال. قال النبي : اجتنبوا السبعة الموبقات وذكر منها ا لسحر. والموبقات هي المهلكات و التمائم جمع تميمة وهي خرزات و حروز يعلقها الجهال على أنفسهم و أولادهم و يزعمون أنها تطرد العين الشريرة من الناس.

وهكذا فان الا سلا م يعتبر السحر بدعة ، هذا المفهوم الغير مستعمل على نطاق و اسع في اللغة العربية ، فهو محصور في نطاق التجديدات المشتبه بكونها هرطقة اذا كان ا لامر يتعلق بالدين و لا تركز البدعة بصورة قصدية الا على السلوكات الدينية المنحرفة أثناء الممارسة عن هدفها الا ساسي وهو يعني بالتالي عدم مطابقة السلوك مع التقاليد السنية اى هذا النموذج من الوجود الا كثر مثالا مع رسالة القرآن الكريم المقدسة مما يؤدى الى خلق البدعة .

ان المتخصصين في القرآن الا سلا مي يستنكرون الممارسات السحرية اذ يعترونها نوعا من الشرك و هو تعبير قرآني يحدد مخاطر الا عتقادات بأى اله غير الله و بالتالي فهي لا تؤدى بهذا أية وظيفة في البنية الا جتماعية و يجب محاربتهابشدة بالتوعية الدينية لانه لم يكن للبدعة وجود قي الا سلا م طيلة فترة حياة النبي (صلعم) و الذى كان حريصا على تعاليم القرآن، و لهذا تشكل خطورة على الدين الا سلا مي الحنيف.

انطلا قا من كل ما ذكر من أوجه الا ختلا ف حول ظاهرة (احشكولند) او الممارسات السحرية نقول ان السحروظيفته تبقى غير مقررة : فهل هي تغيير الواقع و تشويهه او اعادة تشكيله ام اخفاء تناقضاته الا جتماعية بما تحدثه من تشوش في النسق ا لا جتماعي و فقا للموقف الاسلامي و البنيوى و الخلدوني ام هي فعلا خلق نوعا من التماسك و الا ندماج بينالا فراد في المجتمع الواحد كما تنادى بهذا المدرسة الوظيفية .

هذا ما سنحاول التعرف عليه عندما نتناول الجانب التحليلي و التفسيرى للدراسة بحول المولى سبحانه و تعالى .

ملخص الفصل الثاني :

تندرج الا سطورة كشكل او كعنصر من عناصر الثقافة الشعبية ضمن سوسيولوجية الفن والا دب، هذين العلمين الحديثي العهد و المؤكدين على وعي المجتمع كنتاجين اجتماعيين،والاسطورة ما هي في الحقيقية الا عنصرا من عناصر هذين العلمين او الفرعين من السوسيولوجيا، هذا بالاضافة الى انضمامهما الى الفنون الشعبية و الشفوية منها بصفة متميزة أو الفلكلور الذى نتج ليتكرر و ينتقل من وسط اجتماعي الى آخر عن طريق الذاكرة الجماعية ليشكل جزءا من الثقافة العامة التي تعبر عن المجتمع و بنيته اكثر من غيرها من الا شكال لما تحويه من معتقدات و حوادث قريبة من حياة الا فراد،و ان الا سطورة تعتبر فكرا بشريا و لقد مرت عبره بمراحل مختلفة في تشكله و لقد استنبطت من كل التأملات و التخمينات التي نشأت من العقل الانساني عبر العصور و تماشيا بطبيعة الحال مع وسائل العمل في كل فترة ، فبعد المرحلة البدائية التي كان فيها الا نسان يحاول فهم العالم من حوله انطلا قا من أدوات بدائية بسيطة فسر الا شياء بالاساطير و الخرافات فقدس الموجدات و عبدها في المرحلة اللا هوتية حسب (أ . كونت) ثم جاءت المرحلة الميتافيز يقية التي اخذ يمتزج فيها الواقع بالخيال فالمرحلة العلمية الحالية التي أصبح فيها العقل البشرى يفسر الموجودات بالرجوع الى أ سبابها الحقيقية ، الا ان الشيء الذى يثير الدهشة بالفعل هو استمرارية الخرافة الى يومنا هذا و بشكل عميق و خطير و السحر كجانب من هذا التخمين المزيف للواقع ما هو في الحقيقة الا خفاء و خداع و تمويه و تلهية و كلام يعظم به غير الله و تنسب فيه المقادير و الكائنات و هو عمل شيطاني فنجد الكاهن و المنجم و الشواف، و كل واحد منهم يلجأ الى وسائل خراضية و قوى غيبية للتأثير على البشرية من حيث الصحة و المرض و العواطف، وهو على انواع كثيرة منها البابليين المعتمد على الكواكب و سحر أصحاب الا حوال و سحر أ صحاب العزائم وأصحاب التخيل و سحر النمام و اصحاب التنويم .

نلا حظ أنه رغم كون السحر و الا سطورة شكلان من أشكال الخرافة الا ان هناك اختلا ف في أوجه النظر حول العلا قة بينهما و بين المجتمع و مدى اقترابهما منه من حيث الوظيفة التي قد يؤديها هذا التخمين في البنية السوسيو - ثقافية و التاريخية للمجتمعات ، فالوظيفية مثلا تقر بالاقتراب بين الا سطورة والسحر و المجتمع و أ داء هما وظيفة الا ندماج الا جتماعي بين الناس هذا مع اقتراب البنيوية الى حد ما من هذا الرأى و لكن في و قت معين فقط)

في حين نجد التيار الا سلا مي و بالتالي الخلدوني يخالفهما في الرأى بحيث ينا ديان بالقضاء عليهما لانهما فكران بدائيان لا يؤديان اية وظيفة و يخلقان فقط تشوشا ثقافيا و تناقض بين الا فراد او الخلل الوظيفي حسب تعبير (إ . دورخايم) فاى التيارات على صواب؟

الجانب التحليلي للدراسة (التطبيقي) .

- مقدمة الفـــصل

1) - البنية الا جتماعية للمجتمع القبائلي - الا سرة

- تاجمعت

2) - البنية الا قتصادية للمجتمع القبائلي : - القريـــة

3) - بنية الا سطورة القبائلية و علا قتها بالواقع في :

المحو رالاول : صورة المرأة و الرجل في المجتمع القبائلي.

- التحليل و التأويل السوسيولوجيين .

المحور الثاني: ولوع المرأة بالسحر في المجتمع القبائلي.

- النقد والتعليق السوسيولوجيين.

المحور الثالث: المرأة القبائلية و الممارسات الطقوسية السحرية .

- النقد و التحليل السوسيولوجيين.

المحور الرابع: الزواج و العلا قات الاجتماعية في المجتمع القبائلي.

- التعليق و التأويل السوسيولوجيين.

المحور الخامس: الطلا ق و المشاكل الا سرية في المجتمع القبائلي.

- التعليق السوسيولوجي.

المحور السادس: العلا قات الجنسية وقيمة العذر ية في المجتمع القبائلي.

- التحليل و التأويل السوسيولوجيين .

المحور السابع : تعدد الزوجات في المجتمع القبائلي

-التأويل السوسيولوجي

المحور الثامـن: التضامن و التماسك الا جتماعيين في المجتمع القبائلي,

- التحليل السوسيولوجي.

المحور التاسع : تاريخ و أصل الساحر في المجتمع القبائلي.

- النقد السوسيولوجي.

المحور العاشر: المكانة الرمزية للحيوان في الذهنية القبائلية .

- التأيل السوسيولوجي.

4) - المدلول السوسيولوجي للا سطورة السحرية القبائلية .

5) - الوظيفة الا جتماعية للسحر عبر الا سطورة القبائلية .

6) - ملخص الفـــصـــل .

مقـــد مـــة الفـــصـــل :

سوف نتناول في هذا الفصل ان شاء الله مختلف الجوانب و المحاور التي تطرحها الا سطورة السحرية القبائلية و ذلك عبر تحليلها الظاهرى والداخلي اى في المحتوى الخفي ، و ذلـــك كله بعد و ضعها في الا طار الا جتماعي المتمثل في المجتمع القبائلي، واخيرا نتطرق الـــى المدلول السوسيولوجي لهذه النصوص او الروايات ثم الوظيفة الا جتماعية التي تؤديهـــــــــا ظاهرة الممارسات السحرية في الواقع عبر هذه الا ساطيـــر .

البنية الا جتماعية للمجتمع القبائلي :

- الا سرة :

تحتل المؤسسة العائلية مكانة ذات رواجا كبيرا في الجزائر، فهي الخلية الرئيسية للمجتمع غير ان اهتزاز النسق الا جتماعي التقليدى بدخول النموذج الغربي المعاصر،جعل من الصعب اعطاء تعريف لمفهوم العائلة الجزائرية .

و لكن النموذج النظرى لها و التقليدى المستعمل من طرف الانثروبولوجيين الا ستعماريين لا يناسب الواقع اليوم . ان حكايات و أ ساطير العادة الشفوية تبين وجود القاعدة و الجماعة المسماة "عائلة " المكونة من الا باء والتي تكون الوحدة الا جتماعية الا قتصادية وهي مؤسسة علا قات الا لزام المتبادلة و تبعية و حضور في نسق العلا قات الا جتماعية التقليدية .

نقول و حسب احصائيات عام 1982 ان 25 ٪ الى 30 ٪ من الجزائريين هم عائلات قبائلية تقطن في منطقة القبائل الكبرى و الصغرى و الا وراس و الصحراء (التوارق) .

و منذ القدم والقبائل يشكلون شعبا صغيرا بحيث كانوا معروفين ببناءهم للقرى بالتعاون و التماسك و منحوا السلطة لقائد الجماعة القروية الذى يسمى با (أبراح) (ABERAH).

و يمتاز المجتمع القبائلي كجزء من المجتمع الجزائرى بالصفة التقليدية و التخفظ و الانغلاق على نفسه ثقافيا بحيث يرفض اى تدخل اجنبي. يقول بورديو (بيار) : " يبدو و كأن هذا المجتمع مكون من سلسلة من التجمعات المنغلقة و تمثل دوائر مركزية من الا ماانات لها أ سماءها و املا كها و شرفها " (1) و معنى القول، ان الذكر و الانثى بعد أن تكون أدوارهما الا جتماعية ذات طابع فردى تتحول الى طابع اجتماعي او جماعي مباشرة بعد زواجها و تشكيلهما للا سرة الزواجية .

ان الا سرة الممتدة (أخام) هي بمثابة الوحدة الا جتماعية الصغرى في المجتمع القبائلي وتسمى كذلك (البيت الكبير) و له معاني متعددة مثل المرأة - القرابة - الزواج - المسكن - الحرمة العائلية .

و الا سرة القبائلية تتكون من عائلتين زواجيتين تربطهما علا قة دموية و يعيش أعضاءها في وحدة سكنية ذات اقامة ابوية و توجد الا سرة الزواجية كوحدة مستقلة عن الممتدة منها . يمثل مؤسس هذه الا خيرة الرئيس وهو غالبا الجد ذو السلطة على الا بناء و تسمى الاسرة الا برسية ،وهي نموذج للتماسك و الا من و الا ستقرار، و مجموعها هو (ثخروبث) (THAKHAROUBT) التي مجموعها يسمى (ADHROUM) (أذروم) او(الفاميليا) وجدها المشترك غالبا مايكون شخصية خرافية اسطورية مقدسة .

1)Bourdieu (P) sociologie de l'algerie. paris:ed puf. 1980 P.11

و كما يوجد (ضمان) (taman) لكل (ثخروبت) (thakharoubt) اى الكفيل بها.

يقول (L. G.) HANOTEAU و (A) LETOURNEUX في كتابهما :

" LA KABYLIE ET LES CONTUMES KABYLES "

" رغم ان الفرد يعيش منعزلا عن اقاربه و عائلته ، لكنه يبقى مع عائلته عن طريق روابط محددة من التضامن ليكون معهم جسم ،اذن يمكن اعتبار العائلة و حدة اجتماعية حقيقية "(1).

---

(1) Hanoteau(LG) et letourneaux(A) : La Kabylie et les coutumes kabyles paris : ed augustin 1893 P.06.

تاجمعت :

يدير شؤون المجتمع القبائلي مجلس عام يسمى (تاجمعت) يعين من طرف أعضاء المجتمع وهي تسهر على وضع القوانين المنظمة للجماعة ، و يحل المشاكل و القضايا بين العائلات، كالطلاق و الزواج و حدود الاراضي و يطغى على العلا قات التي تربط الا فراد العمل الجماعي والتعاون، و كل المؤسسات القبائلية (السياسية ،والادارية و المدنية)، تتسابق من أجل هدف واحد هو اثبات و تطوير التضامن بين أعضاء نفس الجماعة و اعطاءها أكبر قدر ممكن من القوة (1).

تجتمع (تاجمعت) (t'ajmath) مرة واحدة في كل اسبوعين يوم الجمعة لمناقشة بعض الا مور و تنظيم الجنازات و الحفلا ت الدينية ذات الطابع التقليدى .

وان العاصي لاوامر هذه المؤسسة ان صح التعبير مرغم على مغادرة القرية ، و يحرم من المشاركة في التوزيع الجماعي والتحدث مع أهل القرية وعدم مشاركة هؤلاء في جنازته .

و لتاجمعت معنيين، الضيق و الواسع.

فأما الاول فهو يعني الجماعة الضيقة التي تسير شؤون القرية ، و تضم (الامين) (لامين) و(امقرانن) أى الكبار في السن و يسمون أيضا (اذرما العقال) اى العاقلين، وامام القرية، هم أعضاء دائمون يعينون من أهل القرية وهو مجلس يرأس الا جتماعات.

وأما الثاني ، فهو يعني مؤسسة تضم كل أفراد القرية الذكور البالغين(18 سنة)، و تشرف عليها (تاجمعت) بالمعنى الضيق و تمنح للا فراد حقوقا وواجبات معنية .

---

(1) O.P.CIT P .15

التنظيم الا قتصادى للمجتمع القبائلي :

القرية :

تعتبر القرية في المجتمع القبائلي، وحدة اجتماعية و اقتصادية منغلقة مستقلة بذاتها، ففي الا سرة الممتدة تنجز القرية النشاطات الا نتاجية و الا ستهلا كية، و ذلك عن طريق الاتصالات، الا جتماعية المبنية على وجهها الا كمل ، بحيث لا يكتسب كل شخص الا المعارف الا ساسية التي تؤهله لانجاز النشاطات الا ستهلا كية التي تتطلب تقسيم العمل بين الرجل و المرأة زيادة على ذلك نجد العادات والقيم و المعتقدات و مكتسبات أخرى ضرورية لاستطاعته المشاركة في مختلف الا عمال العائلية المشتركة في الحياة الجماعية للجماعة و القرية القبائلية مكونة من مجموعة (اذرمان) جمع (اذروم)، وهي التي تكون(القبيلة) و(العرش)، و أما التعاون فيها فهو لا ينحصر على مستوى الا نتماء القرابي بل على كل القرية و هو على شكلين :

- تعاون جماعي لخدمة المصالح المشتركة
- تعاون جماعي لخدمة مصلحة فرد أو أ سرة معينة.في الاول، يعمل الكل جماعيا لانجاز مشروع كبير للقرية كا صلا ح الطرق، و في الثاني تكون مساعدة جماعية لفرد أو لاسرة ما في مختلف النشاطات كالفلا حة أو جني الزيتون، كما يوجد تقسيم العمل حسب الجنس و السن .

ان التنظيم الا قتصادى للقرى القبائلية مرتكز على استغلا ل الارض و تربية المواشي، و خصائصها مختلفة و مختلطة .

يعتبر النشاط الفلاحي أبرز النشاطات الا قتصادية التي تمارس لان المورد الاساسي لمعيشة الفرد هو الا رض، و لهذا نجد الفلا ح القبائلي في صراع دائم مع محيطه الطبيعي بغية استقلاله، و لعل هذا ما جعله مستقرا في منطقة جبلية و مرتبطا ارتباطا شديدا بالارض ، كما يرتكزالاقتصاد في القبائل أساسا على نوعين من الا شجار: الزيتون والكرمةو زراعات ثانوية أخرى كالقمح و الشعير و تربية المواشي العائلية ، والا قتصاد القبائلي غني بالحبوب والخضر والتبغ وأشجار الفواكه، وهذا ما يجعلنا نقول ان التنظيم الا قتصادى يحقق نوعا من الا كتفاء الذاتي نظرا لوجود نوع من التبادل في المنتوجات مع القرى المجاورة على شكل مقايضة مما سمح لها بتحقيق وحدة اقتصادية و اجتماعية و سياسية بوجود مؤسسة (تاجمعت) المنظمة لجوانب حياة الجماعة المختلفة .

بنية الا سطورة القبائلية وعلا قتها بالواقع في :

صورة المرأة والرجل في المجتمع القبائلي :

في الوقت الذى تكون فيه طفولة الذكر (الولد) موضوع الرعاية المستمرة من طرف أطراف الا سرة و العائلة القبائلية في كل مراحل نموه ، وهذا ما يجعله يتمتع بالحرية التامة ، لا نجد في المقابل أى اهتمام للطفلة القبائلية الصغيرة الا في حالة تعبئتها بالاشغال و الا عمال البيتية ، وهذا ما نجده واضحا في كل الحكايات و الاساطير والامثال و الادب الشعبي عامة الذى تؤدى فيه دور المربية او أحيانا تعوض الا م في غيابها في العناية بأمور المنزل تجاه الشيخ أو الا خوة باستثناء هذه العلا قة علا قة الزواج التي تنبعث من العلا قات الا سرية و المحبة العائلية التي نجدها بين الا قارب (أبناء الا عمام)، و لكن هذا نادر لان أغلبية الزواج يكون بين طرفين متجاهلين .

ان تعلم الفتاة بعض الخصال و المبادىء كالحرمة و العيب و الشرف و الحشمة و الطاعة و الحرام ، و تربيتها على هذه المفاهيم جعل مكانتها محصورة بين أربع جدران، هذا بالاضافة الى عدم دخولها الى المدرسة ، و نقص و عيها الديني الذى يتركها دوما مستسلمة للضرب، للا ب، للا خ و أخيرا للزوج .

ان من فحوى الا يات الهامة التي ذكر فيها الرجل يمكن ان يستدل على انه كان يتمتع بالمركز الممتاز فهو قوام الا سرة و ربها ، المسؤول عن حياتها و رزقها و شؤونها ، و هو المكلف بالحرب و الدفاع و المطالبة بالثأر و الغرامات، وهو المخاطب في المسؤوليات الا جتماعية المتنوعة وهو صاحب الرأى و الكلمة النافذة و المظهر البارز، وعلى ان المرأة من حيث العموم كانت تابعة للرجل و منسوبة اليه و تحت حمايته و مسؤوليته و مسيرة بأمره ، وانه هوالذى يمثلها في مصالحها ،و لقد و ردت في القرآن الكريم آيات تحكى عن ما كان لولادة البنات من كراهية و تندد بالكفار على نسبتهم البنات الى الله بينما المفضل عندهم البنون، و بينما المعقول ان يكون لله ما هو الا فضل و تذكر وأدهم للبنات ،وكل هذه الا يات تدل على ما كان للا نثى بوجه عام من مركز ذلكلاسباب خارجة عن ذات المرأة نفسها كما نرجح بل نجزم ذلك .

من هنا نقول ان جل هذه الا ساطير المتناولة بالدراسة طرحت قضية السيطرة الكبيرة الخاصة بالذكر على الانثى، وهذا ليس بغريب اذ المرأة معروفة بوضعيتها و مكانتها بحيث منذ قرون وهي في الحالة السفلى التي تبنيها المفاهيم المتقهقرة و الترجمات الخاطئة للدينالاسلامي، فوضعيتها اذن تبقى مشكلة عويصة رغم تحقيق الثورة الجزائرية نظريا المساواة بين الجنسين ذلك لان معظم الرجال يعتبر تحرر او حرية المرأة خطرا و تحطيما للا خلا ق، فهي ليست أكثر

- صورة توضح : صورة المرأة القبائلية و الرجل (الطفل).

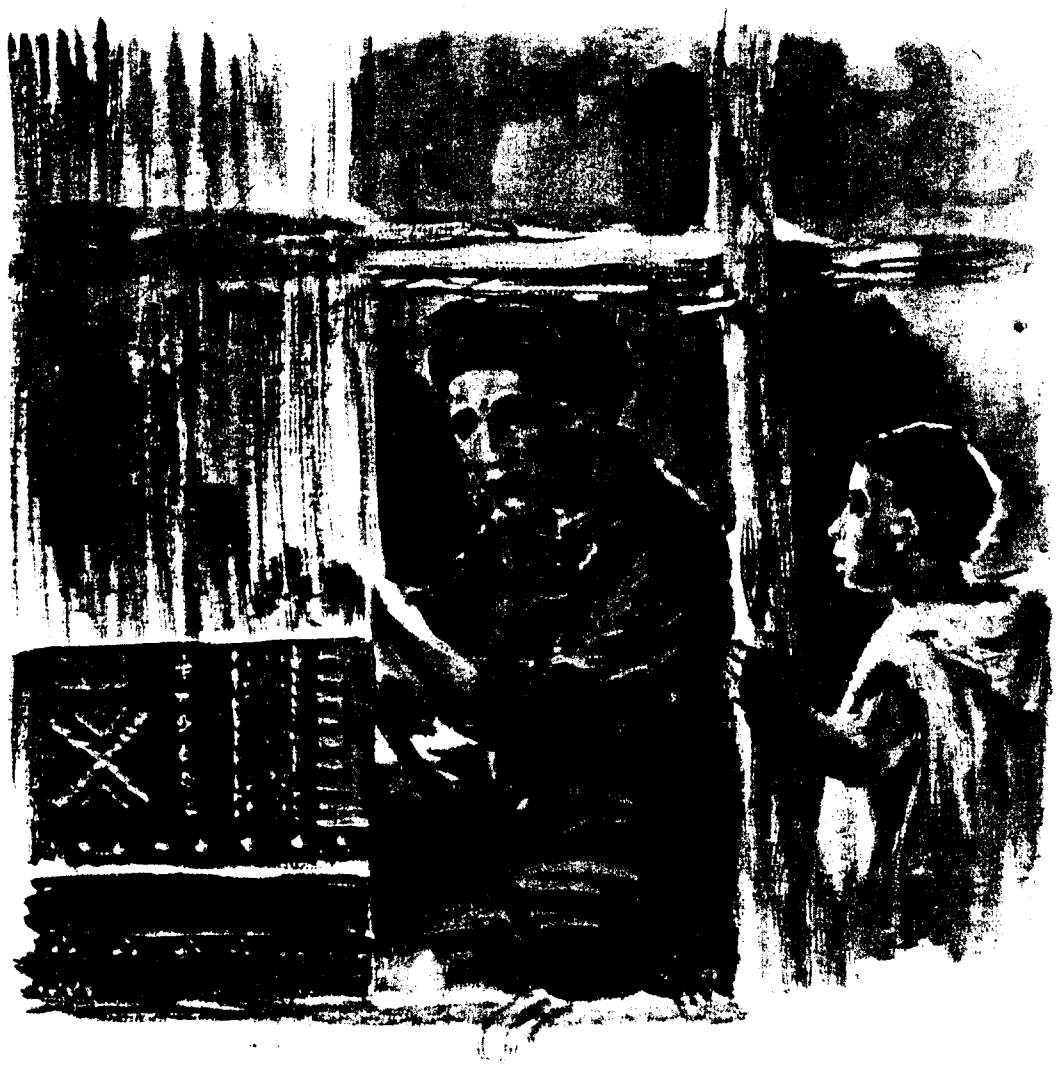

من كائن عاجز عن العمل ، و التحكم في الشهوات، ولهذا السبب فقط يجب على الرجل التكفل بها .

ان للعنصر الذكرى في المجتمع القبائلي أهمية كبيرة في حين للعنصر المضاد احتقار عميق اذ هي اى المرأة مقلقة للعائلة بسبب شرفها المهدد للبيت بأكمله و تبين هذه النظرة سر سعادة الا سرة عند مجيء الا بن الى الوجود، لانه معطى سماوى الهي، فهو يستعمل لصالح المنزل و سوف يحمل السلا ح للدفاع عن وطنه و عليه يتوقف ا ستمرار المجموعة ، أما الانثى، فهي تلك العالة و العبء الثقيل عليها ، لانها سوف تتركها يوما الى أسرة أخرى غريبة عنها ، فهي بذلك لا تساهم في ا لا قتصاد العائلي مثل الذكر .

لعل ما يلا حظ ، انه في كل الا نحاء تبقى سلطة الرجل هي السائدة في العائلة سواءا في الواقع او في التعبير عنه في الروايات ، فالا سطورة السادسة (1) مثلا تبين أصل هذا القهر و الخضوع، اما واقعيا تبدو او تظهر علا قة الضغط هذه في نقطتين : خارجيا ، في الشوارع ، و الثانويات والمكتبات و الحافلا ت والمؤسسات الا جتماعية و الجامعات، وداخليا على مستوى الا سرة قبل كل شيء حيث نجد المرأة تتهرب غالبا من عالم الحريم الضيق لتجد نفسها اكثر كواسطة ، او فرد في المجتمع، غير أنه ما يلفت الا نتباه في النص الخامس(2)، خضوع الزوج تحت سيطرة زوجته ، وهذا ما يحدث أحيانا في المجتمع القبائلي بل غالبا في وقتنا الحالي نظرا لطبيعة المرأة المعروفة بالممارسات السحرية، و الا عتقادات الخرافية الخاصة بالشعوذة ، فهي دائما تحمل صورة " الستوت " (SETTUT)، و الشريرة ، خاصة منها الطاعنة في السن، وهذا ما توضحه او تشير اليه الا سطورة السابعة والثالثة (3) التي تؤكد اصل الا نسان و سر قساوته .

الا ان المكانة التي تبقى المرأة القبائلية محصورة فيها ، هي البيت و القيام بالواجبات المنزلية من طهي الطعام ، و التكفل بالا بناء، وهذا الدور كان و مازال محدودا من طرف المجتمع ،هذا بالا ضافة الى الوظيفة العظيمة و المقدسة التي تؤديها (كأم)، و تبقى مكانة الرجل بالمقابل، مرفوعة و عالية في وقت معين لانه في الغالب يقع ضحية و فريسة في ايدى المرأة و سيطرتها الميتافيزيقية .

---

(1) أ نظر الملحق.
(2) أ نظر الملحق.
(3) أ نظر الملحق.

التحليل و التأويل السوسيولوجيين :

لقد طرحت و كما سبق وأن ذكرت، هذه الا ساطير قضية أو مسألة حساسة وهي المرأة ومكانتها في المجتمع القبائلي مقارنة بوضعية الرجل و الصورة التي يحملها في الا ذهان ، ففي هذا المجتمع يبقى و جهه مركزا على الوالد القديم الذى يعطي اسمه للعائلة و يقرر في كل ظروف وجودها، فيعيش دائما ابناءه تحت سلطته و يكنون له الا حترام طول العمر، غير أننا نقول أنه اذا كان الا ب يمثل الشرف و الفخر ، فان المرأة رغم الصورة السيئة التي تحملها الا أن الا م بالنسبة لكل القبائليين تبقى رمزا للحنان و الحب لدرجة انها تذكر في كل الا ناشيد الشعبية و الا ساطير و الا مثال ففي النص الا ول (1) مثلا تبدو الا م حنونة على ولدها و أخيها رغم ما فعله بها، و كذلك في النص الثاني (2) رغم كون الام " غولة" (OGRESSE) الا انها كانت حنونة على الفتاة الطيبة أكثر دون ايذاء الا خرى بقتلها مثلا.

فالصلة بالام في المجتمع القبائلي متينة جدا لانها هي العالم الوحيد للطفل في البداية بعيدا ليس كلية على الا ب، والمرأة اذن رغم و ضعيتها السيئة تلعب دورا هاما لانها هي الا كثر مساهمة في الا حتفاظ بالتراث الشفوى و التقاليد، و نقلها من جيل لاخر هذا الى جانب كونها المحددة أو العمود المركزى للبيت و بناءه .

في كل هذه الشبكة أو المروحة من العلا قات تنبثق او تبدو لنا صورة الذكر البسيطة نسبيا و بقاءه (أ ب) ، فالرجل دائما هو الرجل في المجتمع القبائلي حتى وان كان ضعيفا أو جبانا، و أما الصورة التي تحتلها المرأة الكبيرة في السن حتى و ان كانت اما فهي مماثلة تقريبا بحيث يعتبر او تتصل بقوى سيئة معطاة من طرف المجتمع، فهي ترى انها شريرة تزرع الفوضى و التشوش اينما كانت و خصوصا في البيوت،في حين يعتبر الرجل الشيخ او العجوز بطلا يعطي النصائح الحكيمة .

لقد عالجت هذه الا ساطير هذا الموضوع باسلوب رمزى مشوق و و صفي، فالثعبان الدال مثلا على التكاثر و القوة و السلطة في الواقع يستعمل لاغراض سيئة في الممارسات السحرية لزرع الكراهية و البغض و هذا في النص الاول (3) ، و اللبوءة التي تحمل صورة الشجاعة ايضا نجدها في النص الاول دائما صورة او رمز للعطف و الحنان كالام، واما الا لفاظ والعبارات فقد كانت شعبية مثلا في الا سطورة الثانية (4) ، نجد بعض العبارات بالقبائلية

---

(1) انظر الملحق
(2) انظر الملحق
(3) انظر الملحق
(4) انظر الملحق

النابغة من صميم عقل الفلا ح و الانسان الشعبي و كذلك في النص الخامس و السابع والثامن و التاسع بالقبائلية (1).

ان ما يمكن استخلا صه أخيرا في هذه الروايات هو احتواء ها على قيم و معاييراجتماعية متعددة كصور الشجاعة والقوة و الشهامة مقابل القهر والخداع في النص الا ول (2) و الصبر و الصراع بينالزوجة و اسرة الزوج، و كذلك الغيرة و الحسد الذين يؤديان بالمرء الى تهديم سعادة الا خرين(3) بالسحر الذى هو في الحقيقة قدرة للا يذاء و الا صابة بالشر وبالتالي رمز للسوء .

و لعل التقليد المستتابع الذى يبعد المرأة عن الا رث و الرؤية الا سطورية للعالم الذى لا يعطيها الا الوجود المنخفض،هو الذى جعلها تميل أو تلجأ لمثل هذه العادات السحرية و الكراهية للوصول الى درجة المساواة و تبين قوتها و تفرضها خاصة وان هناك دائما تفوق مصالح الرجل على المرأة للتقسيم الجنسي الذى يمنحها الاعمال والاشغال المنزلية و اليدوية و مكانة الداخل مقابل الخارج و الا عمال الذهنية المخصصة للرجل.

---

(1) انظر الملحق

(2) انظر الملحق دائما .

(3) أنظر الا سطورة الخامسة في الملحق.

المرأة وولوعها بالسحر في المجتمع القبائلي :

ان ممارسة السحر و الشعوذة و الا عتقاد بهما خاصة لدى النساء في كل المجتمعات شي ء مألوف في معظم بقاع العالم و كلما كان مستوى التقدم الحضارى منخفضا كلما زاد انتشار السحر و الشعوذة و غيرها من الخرافات أفقيا و عموديا فى البنية الا جتماعية . ان الكهانة والسحر هما من العلوم و المعارف النفسية و أنهما على هذا الا عتبار يمكن ان يعدا مظهرا من مظاهر القوى العقلية عند الجزائريين، غير أننا لا ندر فعلا لما ذا تلتقي كل الشرائح الا جتماعية و على مختلف مستوياتها الثقافية و المادية و الطبقية عند عتبة المرأة اسمها " الساحرة" أو " القزانة " أو " العرافة " ، و لسنا ندرى ثانيا لماذا يصر بعض الا فراد على المغامرة بأخر قرش يملكونه في بيت من بيوت قارئات الكف و ليس بعض الا فراد فحسب بل تقريبا جل الاسر الجزائرية جهرا، أما سرا فحدث و لا حرج . فقد يلتقي الزوج بزوجته ، الاخ بأخته ، الجار بجاره عند باب (العرافة) ، و في حجرة الا نتظار دون سابق انذار و دون موعد محدد ، كل واحد منهم يخفي سرا يكاد يخنقه و يتحول بمرور الا يام الى كابوس يجثم على انفاسه و عند هذه الساحرة أو تلك تسقط كل الا قنعة ، فالمدير أو المسؤول يترك الا حترام فيصير انسانا ذليلا مضعضعا يريد حل مشكلة ما مثله مثل أى جاهل أمي لا يفقه من العلم شيئا ، و بين هذا و ذاك فرق شاسع لكنهما يتصادفان و يتواجدان داخل دائرة واحدة و هي الا يمان بالساحرة و أ فكارها كلها و العمل بما تقوله و تطبيقه بالحرف الواحد.

فمرات تستفسر الزائرة عن بختها المائل ، و مرات اخرى تحكي لها كيف أغلقت في وجهها جميع الا بواب و كل سبل الحياة و كيف ضاقت بها الحال فلم ينفع عقل و لا مال أو حل أوترحال تقصدها مرات قاطعة ، الاف الكلومترات و احيانا تلقاها صدفة تجوب الشوارع و الحارات فتخبرها عن نافذة القدر التي ستفتح لها قريبا و أنها عاجلا ستملك خاتم سليمان و كل عفاريت الا رض وكل هذا بالخداع و الا حتيال ، فهذه " لالا مريامة " بمنطقة (اعزونن) بالقبائل الكبرى اصبحت (قزانة) أو (ساحرة)مشهورة بعدما توفي زوجها و تركها وحيدة مع رضيعها و كانت لا تملك شيئا من المال لتربي ابنها فلجأت الى ممارسة السحر رغم جهلها له ، كوسيلة لكسب خبز يومها لاكثر و لم تتمكن من المهنة الا بعد ترددها على الساحرات الا خريات للتعرف على سر العمل فاخذت تغامر هي الا خرى و تسير أمورها معتمدة على النصب و الكذب أ حيانا و الذكاء و الحيلة و الدهاء أحيانا أخرى ، و تدق على الابواب و تقرأ الجنب و الكف مرات في الفنجان و تستطيع معرفة السر الذى يخفيه ذلك الا نسان فتبحث على تفسيره من خلا ل تقاسيم وجهه و هيئته و ملا بسه و طريقة كلا مه ، والكل يمنح لها كرامات رجال ونساء. و بعد أن تتعب من التكهن والتنجيم تدعو زبائنها الى بيتها بعد ان تمنحهم اسمها وعنوانها .

- صورة توضح ولوع المرأة القبائلية بالسحر .

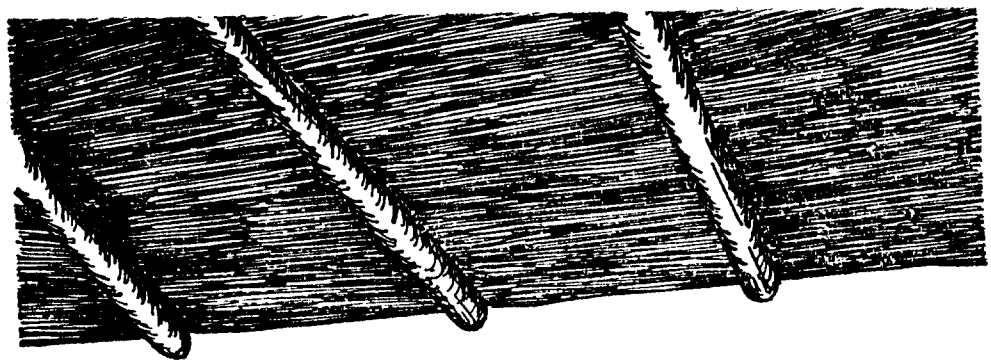

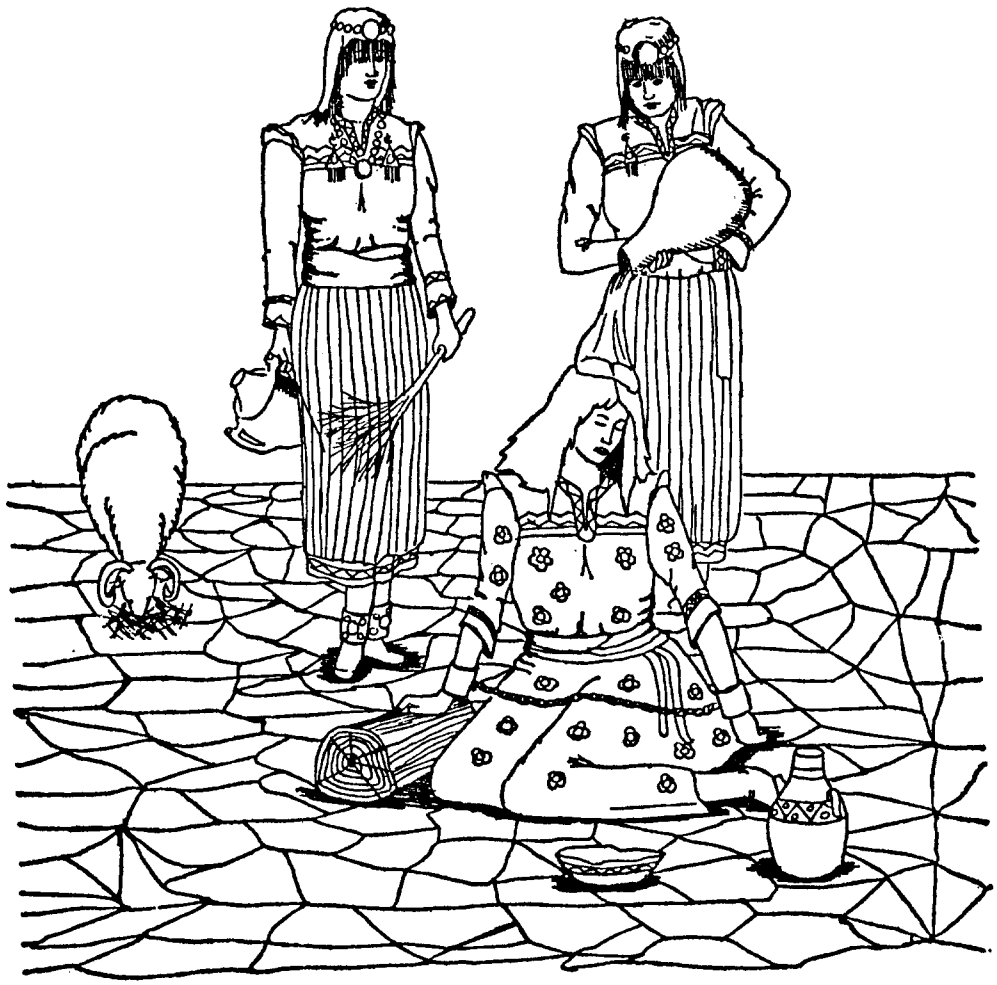

و بعد أن تستريح و تأكل قليلا يصل موعدهم و تبدأ الحلقة من جديد لتنفض عنها في حـــدود منتصف الليل، و هكذا ينتهي يوم من حياتها ليبدأ غد يشبهه .

ان السحر و الممارسات الرمزية مرتبطة بالوضعية التي تختلها جماعة منالنساء في المجتمع التقليدى القبائلي بالخصوص، فوضعية المرأة المتصلة بعلا قتها بالرجل يمكن أن تقاس بعلا قة العبد بالسيد ، فالمرأة لا تملك شيئا حتى نفسها ، فهذا النوع منالعلا قة يضـــع المرأة في موقف غامض و يترجم واقعيا كعلا قة استغلا لية ، فهي كموضوع استغلا ل و مسيطـر عليه انه مطالب بالوعي بوضعيته للخروج منها (1) فالنص يورد كيف أنه و منذ القدم الرجل هو المفكر في محل المرأة و هو الذى يتدبر عليها و يقرر ماالواجب عمله و ما يجب تجنبـــه فالرجل هو دائما المصباح في المجتمع القبائلي في حين تمثل المرأة الظلام في النصوص والا ساطير ، وفي الوا قع معا، المثل الشعبي القبائلي يقول :

" at afàth ai argaz, attlam a tamettout ".

ان السحر شـــي ء من احساس المرأة بالخطر ، وهذا الخطر الذى يعود الى الظروف التي تعيشها الجماعة النسوية في مجتمعنا، لهذا يلجأن الى استعمال السحر و ممارسته لانـــــه يضمن لهنالا من المادى والمعنوى و به تحل المرأة مشاكلها الا سرية ."يقول رشيد بوجدرة " في هذا الصدد و في كتابه "REPUDIATION" تعتمد النساء في كل الحالات على و صفاتهـــن السحرية و ليس بامكانهن وهذا أمام أى مشكل تخليص انفسهن منهذا العالم الغيبي المتكون من الا ساطير والممارسات السحرية"السحر اذن يكسب النساء القدرة على مواجهة الواقـــع و فهمه و ربما تجاوزه .

لقد ذكر و يتيس (عيسى) (A) OUITIS أن العلا قة الموجودة بين الدين والنساء هيأت للعلا قة بينالمرأة و السحر فيقول أن المرأة في مجتمعنا محرومة من كل معرفة دينيـــة ، فهي في الغالب تحفظ فقط سورتين، صغيرتين (الفاتحة ـ الا خلا ص) ، وان ممارسة المرأة للنشاط الديني في بلا دنا قليلة جدا (الذهاب الى المساجد ، تلاوة القرآن و تفسيره ، دراسة تاريخ الا سلا م و تقديم النصائح استنادا على القرآن و السنة).

ان عدم اكتساب المرأة معرفة دينية سليمة هوالذى جعلها تخلط بين الدين و المعتقدات الشعبية لذا نجد غالبا التدين عند النساء أ قرب منه الى الممارسات السحرية الخرافيـــة الى الدين الصحيح . و هذا ما جعل و لوع المرأة بالسحر شديدا، فهذه تربط الزوج عن زوجتـه

---

(1) أ نظر الا سطورة السادسة في الملحق .

أو تحله ، و تلك تبلد الرجل وهذه تنزل القمر في القصعة (الجفنة)(1) كأن القمر خبزة ،ولكي ترده يجب أن تضحي المعنية بالامربشخص عزيز عليها ، و لا نجد في الاغلب منهن من تتزوج الا وهي مزودة من العجائز بوصايا سحرية و رقي و أدوية عجيبة و يرجع هذا الى عدة أسباب منها أن الفتاة في مجتمعنا عندما تصل الى سن معينة و لم تتزوج تصبح محل مخاوف و قلق أهلها الذين يقفون حائرين و مكتوفي الا يدى أمام و ضعيتها لانهم لا يستطيعون الا تيان بزوج لها ، وكل ما تقدر المرأة (الام) فعله هو اللجوء الى مثل هذه الممارسات التي تعتبر المسلك الوحيد لمحنتها .

ان المرأة كانت منذ القدم تعاني من الحقرة و القلق مما جعلها تحتل مكانة محدودة في محيطها ، فكان لزا ما عليها ان تخلق استراتيجيات لهدف التريض و تدارك القلق المرتبط بحالتها الا سرية و الا جتماعية . هذه الا ستراتيجيات أى هذه الممارسات السحرية هي مؤشر ارتداد الى الوراء بالنسبة للحياة المعيارية العلمية ، هذا الفكر السحرى هو نوع المنعطف الذى يقول أو يدعي أنه يجد حلولا للمشاكل أو أدوية للا لام .

يقول (بيار بورديو) في هذا الشأن : " ان الفتيات القبائليات تتعلم من النساء الكبيرات في السن الشرف و الخضوع المطلق للسلطة الرجالية (الاب،الاخ،القريب،أو الزوج) و ممارسة الطقوس و زيارة الا ضرحة المحلية و بالتالي ما يسمح بترسيخ التقاليد و دوام سيرورتها من جيل لاخر و تتعلم أسلوب الحياة خاصة الحشمة و الطاعة و المحافظة على الشرف "(2).

نقول اذن انطلا قا مما ذكر أنه التحمت مجموعة من العوامل لتجعل من هذا المخلوق الضعيف (المرأة) كائنا يلجأ الى السحر ليؤدى كظاهرة اجتماعية وظيفة اجتماعية في البنية الثقافية للمجتمع القبائلي لم تنفرد المرأة القبائلية بالرؤية السلبية بل النظرة موجهة لكل امرأة على وجه المعمورة ، فقد حاول (فيتاغورس) ان يميز الخير من الشر فقال أن مبدأ الخير هو الذى خلق النظام والنور وهوالرجل ، في حين يمثل مبدأالشر الذى خلق الفوضى في الوجود والظلمات المرأة ، و صرح / أرسطو) بقوله (الانثى أنثى بسبب نقص معين لديها من الصفات و اعتبر أن النساء اميل الى الشر منهن الى الخير ، هذا و لقد فسر بعض رجال الدين القدماء قصة آدم وحواء كما وردت في الا نجيل بأن المرأة حليفة الشيطان، ومن هنا نظر اليها باحتقار ،و اعتبرت مصدرا للرجس و الشر و السحر و الا ذى. فالتاريخ يقول أن " الساحرة " هي تلك المرأة الغجرية من أقوام الغجر ينتشرون في كل بقاع العالم

---

(1) انظر الا سطورة الثامنة في الملحق.

(2) Bourdieu (P) :Sociologie de l'Algerie , Paris : ed P.U.F 1980

و كثافتهم كلها تتركز خاصة في اسبانيا و البرتغال حيث يطلق عليها اسم (جيطان) أى قارئة الكف و عارفة البحث تتحلى الواحدة منهن بحلي من الحديد و النحاس و الالومنيوم، وكلما قامت الواحدة منهن بحركة واحدة الا و أحدثت جلبة و ضجيجا و الغجر أصلهم من الهند وتفرقوا في المعمورة .

فمثلا هذه شابة قبائلية جميلة جدا تتزين بالحلي القضية و رغم ذلك تذهب الى الساحرة لان حظها مائل وزوجها يضربها بسبب و بلا سبب و بيتها مليىء بالمناورات و المناوشات الكلا مية، فكل عبارة تتلفظ بها لا تعجبه و كل عمل تقوم به لا يروقه ،لقد كرهت الحياة ونفسها و كل شيء، و أصبح يهددها بالطلا ق في كل ثانية و أخرى خاصة و أنه يعلم أن لا أحد من أ سرتها يقبل مجيئها أو رجوعها الى البيت بعد أن تحمل اسم المطلقة .

وهذه أخرى تعترف أن كل الذين تعرفهم ينصحونها بالذهاب الى الساحرة لان قرعتها خائبة كما تقول فكلما تزوجت و أصبحت تعيش مرتاحة البال الا و جاءت الكارثة فالمرة الاولى لزوا جها فقدت فيهازو جها و المرة الثانية اكتشفت انه يخونها مع امرأة دميمة و الثالثة حدث بينها و بينه سوء تفاهم أدى بها الى الطلا ق.

يتطلب عمل السحر معدات و مواد خاصة غالبا ما تحمل أسماء غريبة أو مواد ليست في متناول الناس في حياتهم اليومية مثل قلب هدهد أوالبخور أو العناصر المقدسة كالزيوت المقدسة ماء غسل الا موات و كل العناصر الوسخة الا خرى (الاظافر، شعر شخص معين، دم الحمام، أطراف أجزاء الحيوانات مخ الحمار، قلب الكبش و الضفادع لغرس الكراهية في القلوب) كما توجد صيغ مختلفة مخصصة للحب و الزواج و طرد العفاريت و يوجد أيضا تضرع للقمر مثال : (احتقر نفسي بقربك ياقمر ياعالي و الرائع الجمال أنت الذى لديك ثلا ث أ غصان واحد للحب،والاخر للنصر، أ تضرع اليك بثلا ث أيام العالم و الماء و الملح و أطلب منك أن تفتح جناحيك وتذهب لتحضر لي فلا ن، أنت صاحب الثلا ث أغصان، واحد تزرعه في قلبه ليأتي ليأخذني ويحبني و الا خر تزرعه في ظهره ليعطيني قلبه وأحاسيسه و الا خر تزرعه في رأسه ليعطني رضاه و حبه و نصيحته) نلا حظ أن الا مر متعلق هنا بامكانية القمر الدخول في عالم الا نس بطيرانبه ، و لكي يكره أى انسان عائلته و أسرته تعطيه الساحرة مرارة (طحال) الغراب لكي يرى كل شيء مر، كما يستعمل الخفاش و سرطان الا ودية لنفس الا غراض فمثلا تقوم ساحرة بشراء قلب انسان ما ليحب شخصا آخر ويعبده ثم تتوجه للقصابة لتشرى عظام و تحضر معها حجارة من الشارع و تقول أن كل شيء هنا يكبر و ينمو فان قلب فلا ن ينمو و لا يرتاح الا عندما يكلم ذلك الشخص المعني بالامر و تقول : (ليحبني فلا ن مهما مشينا على هذه الحجارة) ثم تحضر ضرسي قط ميت و ضرس كلب ميت و ضرس من هيكل عظمي بشرى و رأس ديك أسود مسروق وقلب

كبش أسود تخلط الكل قائلة في كل مرة : (عندما يتكلم هذا الميت سوف يتركني فلا ن أو يفارقني و عندما يموء هذا القط سوف يفارقني فلا ن) تم تضع الكل في مقلاة جديدة مع الخل و تتضرع الشيطان و تغلي الكل قليلا و بعد الغد تدفن المقلاة قرب الباب الذى يمر عليه الرجل المعني بالامر .

تقول احدى المبحوثات أنه ليحبني زوجي ذهبت الى ساحرة معروفة أعطتني مرهما لدهن جسمي و كذلك تمائم لدفنها و الماء لا غسل به ، و مسحوق للتجميل و لاذخن به في كل لحظة ، و الجدير بالذكر أن في المجتمع القبائلي يوجد طقس سحرى (RIT) يدعى بـ (شبال) (CHEBBOUEL) بحيث اذا لم تتزوج الفتاة يقام هذا الطقس وهو يعني التصرف بعنف، ويحدث يوم الا ثنين والثلا ثاء ، يوم الخطوبة ، أو يوم السوق بحيث تذهب الساحرة الى غابة و ترفع ذراعها الايمن و تديره سبعة مرات مرددة كلمات و عبارات سحرية في صمت فيمرض الرجل و لا يرتاح الا اذا تزوج بالفتاة المعنية بالامر . و هناك ممارسة أخرى يوم الحناء اذ تحضرها الساحرة و تأخذ سبع حبات قمح و تمزجها بالدقيق و تقول : " الحناء، الصحة " ثم تضعها على جبهة العروسة برفقة قطعة نقود و تمررها على انفها و هذا يعني : (أرجعت لك الشرف) ثم على الشفة العليا و تقول : " ليكن كلا مك مهتما و مأخوذا بعين الا عتبار " ثم الشفة السفلى و تقول " لتكن علا قاتك مثمرة " ، و هنا يكون الزوج بمثابة دمية في أيدى الزوجة .

و هناك عدة عناصر أخرى تستعمل في الممارسات السحرية المختلفة كأعضاء الحيوانات التناسلية ضد العقم و الفضلات ضد الا نجاب، و دم الضفدع و رأس بومة و بقايا الا جسام العفنة والمسامير . و لكن لكي ينجح السحر يجب حسن اختيار المكان و الا شياء و الكلمات و الحركات الفعالة ، مثل هناك نوع من السحر يدعى بالضفائر (L'AIGUILLETTE) هدفه القضاء على القدرة الجنسية للرجل بتدخل الشياطين و النجوم و ذلك بأخذ زوجته أو الساحرة سلسلة (BRAGUETT E) سرواله و تعقدها ثلا ث مرات و تدخل و تخرج من ثلا ث أبواب و تعقد و تقول في كل مرة : " تدخل من هنا و من هنا تخرج " ، و عندما تنتهي من الباب الا خير تسجد و تقول : "اربطتك بالسماء و النجوم والبحر والرمال " و تقول في الا بتهال أنه يجب عليه أن يفعل ما يؤمر به و لا ينام مع أخرى لا بيضاء و لا سوداء و لا تكون لديه رغبة الا مع زوجته أو تلك، و تذكر اسم فلا نة و هذا هو الا عتقاد بما يسمى الربيط (R'BIT) ذلك الا جراء السحرى الذى أجرت عليه (راضية طوالبي) تحليلا موجزا في كتابها (مربوطة)، وهو تعبير يطلق على فتاة تحاط عذريتها بمحرم سحرى تتخذه التمثلا ت الجماعية على أنه حقيقة و تزال الرقية السحرية ليلة الزفاف عن طريق شعار طقسي أنثوى بحيث أن عدم وجود حل للعقدة يتضمن تصور جنسية ذات عدوانية متبادلة بين الشريكين و يخلق صدا جنسيا و بالقبائلية يسمى (AAFAS) (عفاس)

أو (TUQNA) (تزقنة) و مفاده ارجاع رجل أو فتاة أعمى أمام رغبات فلان أو فلا نة . وهو يقوم في المجتمع القبائلي على عبارة سحرية (أنا حيط وولد الناس خيط)(نكني ذلحيـــــط أمس أمدن ذ لخيط) تكررها الفتاة سبع مرات أثناء تطبيق عملية الربط عليها، و تعني العبارة رمز القوة و الصمود من جهة و أن الحيط ليس له احساس، من جهة أخرى وأما الجزء الثانـــي من العبارة فيعني أن الذى يريد لها السوء يصبح عاجزا كالخيط هو رمز للضعف،و عند الفـــك، العبارة تقلب :(أنا خيط وولد الناس حيط)(نك ذلخيط أمس أمدن ذ لحيظ) ، ولقد انتشرت هذه الممارسة كثيرا في المجتمع القبائلي ابان الا ستعمار للحفاظ على شرف البنات من اغتصاب الجنود الفرنسيين ، كما يوجد ربط آخر هو ربط المرأة لعدم الانجاب، ويتم هـــذا غالبا من طرف الحساد و (العفاس) هذا يقوم بالعناصر التالية : شعر الميت، ظفره، قليـل من شعر لحيته فتحرق كل هذه المواد و تذوب في الماء المستعمل لغسل الميت (الجثة) ثـم تشربه الضحية. و شروط الرباط متنوعة بحيث لكي تكون هذه الممارسة ناجعة يجب أن يتـــم على الفتاة قبل البلوغ، و في سرية تامة، كما يجب وجود مقفل (CADENAS) يشتريه طفل صغيـر في السن و يحبذ أن يكون اسمه (محمد) و لا ينبغي أن يسأل عن ثمنه حين يشتريه و لايفتحه أثناء الطريق و يجب أن لا يعد الدراهم أى ما بقي منها، و عندما يمارس الرباط يجب علـى الضحية (الفتاة) أن تحل كل عقدة في ثيابها أو شعرها و تنزع كل الصيغة المعلقة و تحـــل ظفائرها أو تجرد من كل ملا بسها و تكون اما مفتوحة أو مغلقة العينين، و يجب أن تحـــل العقدة (الربط) من طرف نفس الساحرة و بنفس الطريقة و اذا حدث وان ماتت او سافرت حلت محلها ساحرة لها نفس واسم الاولى .

تفك الفتاة و تربط بالمنسج أى تمر عليه سبع مرات وهي تردد العبارة السابق ذكرها، وتوجد طرق أخرى : الوشم على الفخذ : بحيث يتم وضع ثلاث أوسبع ذبحات (جروح) على كتف أوفخذ الفتاة بالشفرة (بموس حلاقة) من الا سفل الى الا على وابقاءها بالكحل (الذبحات)كالوشم مع تكرار نفس الجملة و عند الفك يجب فسح الذبحات من الا على الى الا سفل مع مـــــز ج الدم السائل من الفخذ بقليل من التمر أو العسل أو السكر أو شيء آخر حلو و تقديمه للعروسة و العريس ليلة الزفاف ليأكلاه ، وهذه الطريقة منتشرة في الشرق و الغرب الجزائرى، و أمـــا عن طريق الحنة فتأخذ الساحرة حنة العروسة و تدفنها في قبر منسي و تقول الجملة : "انغلقي بالعروسة كما تغلق هذا القبر على هذا الميت و ما تنفتحيش حتى انجي هذه الحنة مـــــن هذا القبر " و تبقى العروسة مرتبطة حتى تلجأ الى طالب يخبرها عن مكان دفن الحنة . وهناك طرق أخرى كأن تزغرد الساحرة في وجه العروسة اوالعريس بعد ان تناديهما فيرتبطان معا . و عندما تحمم العروسة مثلا تناديها الساحرة و ما أن تلتفت تغلق الحنفية في وجهها فتربـــط

أو تغلق السكين في وجهها فتنغلق، أو تقرأ بعد الوضوء آية الكرسي و المعوذتين . كما يمكن أن تأخذ الساحرة حذاء العريس الأيسر في كفة ميزان و تضع في الكفة الثانية عدد من الملح لها نفس وزنه و تدفنه في القبر و تقول : " ما دام هذا الملح مدفونا في هذا القبر النجس ، يبقى الرجل عاجزا جنسيا".

النقـد والتعليق السوسيولوجيين :

ان المرأة القبائلية مولعة كبقية نساء العالم بالسحر (1) و هذا يبدو واضحا في شتى وسائل تعبير المجتمع القبائلي غير أن الشيىء الذى يجب الا شارة اليه من باب التفسير هو أن التوازن النفسي الا نثوى لا يلجأ الى السحر الا اذا كان هذا الا خير يسمح كذلك و في فترات منتظمة بقلب العلا قات بين الجنسين،مؤسسات محض أنثوية و عادات، طقوس سحرية تشكل فعلا مناسبة لا خضاع الرجل أو تخويفه لان هذا الاخير يرى فيها القدرة الا لهية الانثوية، ولذلك يبدو الرجل سواء في الواقع أو في النصوص (الاساطير) الضحية الاولى و الاخيرة لهذه الممارسات السحرية. ففي طقس الرباط نجد أن لهذه العقدة دور كبير لانها تمثل تدخل النشاط الجنسي للضحية (الرجل) و رمزية بحيث ان الباب يمثل المرأة فنجد لكل شيء و لكل عنصر من الممارسات رمزا معينا لان تحريف هذه العناصر مصنوع و مسير حسب قانون رمزى معقد أو مركب يعطي فعاليات للحيوانات مثل الحمار هو ممثل تقليدى شيطاني، ولهذا يستعمل للكراهية و الضفدع مرادف القبح ووجهه مرتبط بالجهنم، و لهذا يستعمل للموت(2) اذ فيها أعطت الغولة أدوات السحر كالضفدع كرمز للكراهية للفتاة يوم زفافها، وهذا مدعم في الواقع أيضا اذ تستعمله الساحرات لهذا الغرض و كذلك بيض التعابين (3) بحيث لما أرادت الزوجة أن يكره زوجها أخته أعطت له وجبة من بيض الثعبان وهذه كلها تستعمل في الممارسات الخاصة بقتل الناس و زرع الشر و الكراهية بينهم كما توجد أ عشاب كثيرة مستعملة بكثرة لطرد الارواح الشريرة و كما يستعمل العسل و الملح و الماء و النعنع و الشعير، فالماء مثلا رمز الحياة و لكونه شفاف يظهر كل شيء فنجده مستعملا للرؤية و الملح يرمز للا نتقال الجسمي فنجده مستعمل للحب و زيت الزيتون رمز الرفاهية و الروح، كما تستعمل أدوات مختلفة مثل المقلاة عند طبخ الوجبات السحرية وهي عنصر أساسي و أحيانا تعوض بقرن الكبش مثلا، أو ثور و ذلك نسبة لما تحدثه من صوت ترجعه الساحرة الى أصوات الجنون و العفاريت الذين هم مسجونين فيها (المقلاة)، أو (القرن) و ذلك حتى يفعلون ما تأمرهم به .

ان الطقوس السحرية تحدد نفس الهدف مثل البطاقات التي تحمل رسومات أو صور تمثل الشخص المعني بالا مر و المعني سحره او ايذائه و تكون مثقوبة، والمقابر هي الا مخابىء المثالية بما أ نه بالا ضافة الى السطرفانها تضع البطاقات في احتكاك مباشر بأرواح الموتى و أجسامهم

---

(1) أ نظر الا سطورة الرابعة و الثالثة و الخامسة .
(2) أنظر الا سطورة الثانية في الملحق.
(3) أ نظر الا سطورة الاولى في الملحق .

و غالبا ما كانت توجد في صناديق الموتى و المقابر منذ القدم لان السحر قديم قدم الزمن و البشرية و كان يوجد حتى في ما قبل التاريخ و يمارس غالبا بين الساعة العاشرة والثانية عشر ليلا يومي الا ربعاء أو الجمعة ، لكن هناك كثيرا من الساحرات اللواتي بشكين من ضرب العفاريت لهن، و لذلك تختار الا ماكن الخالية البعيدة عن الناس (جحر)، و تلجأن اليه عند غروب الشمس مدة أو فترة الا تصال بعالم الا موات بما أنه وقت الظلا م و هنا ترسم الساحرة دائرة على الا رض أونجمة بخمس أو ست رؤوس وهي علا مات سحرية للحفاظ على عالمها و للحماية من جهة و لوضع حدود بين عالمها و عالمنا نحن من جهة أخرى انطلاقا مما ذكر يمكننا القول تفسيريا أن أصل فكرة تحضير الا رواح ترجع الى مفهوم الا نسان القديم عن الحياة و الموت والا نتقال الى العالم الا خر و افتراضه في كثير من الحضارات و الديانات القديمة كما في مصر الفرعونية و الهند و فارس أن روح الا نسان تفارقه حين يموت وتنتقل الى عالم علوى في الملكوت اذا كان من الا خيار أو الى عالم سفلي ديني اذا كان من الا شرار، و لما كانت فكرة الموت غامضة بالنسبة لتصوره و لم يكن قادرا على تفسير ظاهرة الموت، فقد ول خياله مفاهيم فافترض بأن روح الميت يمكنها التنقل و يمكنها العودة الى مقرها وأنه بالامكان محادثة الميت عن طريق محادثة روحه . و لهذا بقيت هذه الا فكار سائدة في كل المجتمعات بما فيها المجتمع القبائلي خاصة لدى الفئة الجاهلية من النساء اللواتي يلجأن لمثل هذه الممارسات . فالشعب القبائلي اذن كغيره من الشعوب يؤمن بالسحرو الخرافات المسجلة ضمن الا سطورة كوسيلة تعبير أفراد هذا المجتمع و محفوظة شفويا في الذاكرة النسوية الجماعية غالبا ، وهذه الممارسات الا جتماعية هي أنماط من السلوك الجمعي التي تنتقل من جيل لاخر عن طريق التقاليد الشفوية حيث تستمر كثيرا حتى تثبت و تستقر و تصل الى درجة اعتراف الا جيال المتعاقبة بل أكثر من ذلك تقوم هذه الطقوس مقام القانون العرفي في المجتمع (1) بحيث انطلا قا من أمر أو حادثة معينة قد تتخذه أفراد المجتمع قانونا يسيرون عليه مثل اذاعة خبر في السوق فقط الذى فسرت على أساسه سيطرة الرجل على المرأة و تستطيع أن تترجم هذا بمؤسسة (تاجمعت) في كل المجتمع القبائلي التي تحل محل الحكومة في أية دولة و هي مؤسسة اجتماعية تسير البلا د و صورة من صور القانون العرفي التقليدى . أ ما النصوص المطروحة هنا و التي طرحت قضية السحر في المجتمع فقد تناولت هذا الا مر بأسلوب رمزى تحليلي ووصفي بسيط بألفاظ قوية مختارة بعناية و عبارات واضحة و تكثر المبالغة أ حيانا وهذا أمر طبيعي في (الاساطير) كتشخيص الا غوال والحيوانات و الحشرات (النملة و الثعبان) في الا سطورة الاولى .

---

(1) أ نظر الا سطورة السادسة في الملحق.

و المبالغة في الا عداد (50 ولد) في الا سطورة الثالثة و الصفات المنسوبة للبشر مثل الالوهية وانجاب الرجل من الا نس جنادون أن يتزوج بجنية في الا سطورة الرابعة واسقاط الساحرة القمر في الجفنة في الا سطورة الثامنة ، و لقد دارت كل أفكار هذه النصوص تحت المحور المتناول بالتحليل (المرأة و السحر) و تسير الحكايات في تسلسل قصصي و أبطالها شخصيات عادية و حيوانات بعيدة عن الخرافة الا في الصفات و المميزات فتمثل لنا الاساطير اذن جانبا من حياة القبائل الا جتماعية و نعني به دوافع السحر والكراهية و العداوة بين الناس و كيد النساء بصفة منفردة وهذا كله لغرض تربوى بحيث تحكي هذه الا ساطير للاطفال الصغار قصد تنمية خيالهم و ذكاؤهم و تعويدهم على حل المسائل العويصة بالعقل و التفكير.

هذا و قد طرحت الا سطورة الخامسة (1) قضية السحر من وجهة نظر التأثير كبقية الا ساطير الا أنها طرحت قضية حل السحر " بالحرباء " المحترقة التي أزالت مفعوله عن الضحية (الزوج) و هذا ليس غريبا في المجتمع القبائلي اذ تكثر الا عتقادات عن مثل هذه الطريقة للحماية من أذى السحر و لذلك نجد في كثير من البيوت (اخامن) القبائلية أجسام (جثت) الحرباءالمعلقة على الحائط في الغرف المخفية (تاعريشت) أو (أداينين) و ليس هذا فحسب بل هناك طرق أخرى حسب بعض الناس للحماية منه و لكن في التحليل نجد أصناف أربع و هي :

(1) الوسائل التي ترجع الى معرفة الحياة في جماعة مدنية أو قروية و الحذر مثال :احترام الا خرين الكبار لكي لا تكون الغيرة، تجنب الا كل عند الناس الا جانب و في أى مكان.

(2) الوسائل التي تكون حسب القرار المأخوذ من الجماعة (أو ممثليها) ضد الساحر مثلا : امتحان اسم يقتل الساحر .

(3) الوسائل التي تفترض امتلا ك فرد قدرة مفيدة (تجنبه) .

(4) يشفى السحر غالبا بالقرآن (قراءة بعض الا يات في ا ناء به ماء و يصب على رأس المسحور).

في أخر التحليل و قصارى القول يؤدى السحر و ظيفة خدمة المصالح المشتركة في كل النصوص المتناولة لقضية أو محور المرأة و السحر اذ لجأت الزوجة للسحر الا سود دون الا بيض كتقنية للتخلص من أخت زوجها (2) فأعطته و جبة من بيض تعابين لزرع الكراهية في قلبه تجاه شقيقته، و لقد تم ذلك فعلا و نجحت العملية لكن في الا خير اكتشف أمرها، و في النص

(1) في الملحق .

(2) الا سطورة الاولى في الملحق .

الثاني لجأت الغولة رغم قدرتها على السحر الا سود إلى انتقام من الفتاة الشريرة ، فأعطتها هدية محتواها العناصر الرمزية المستعملة في السحر من ضفادع و قطط و غيرها فأ بعدتها عن السعادة بحيث كانت كل حياتها شقية و حزينة . و في الا سطورة الخامسة لجأت الزوجة أيضا الى السحر لاخذ الرجل الذى تحبه رغم كونه متزوجا و رغم أنه كان يحب زوجته وأولاده ، و نلا حظ أنها نجحت و حققت مصالحها ، لكنها اكتشفت في الا خير و فرت ،و لعل أحسن تعبير لهذا هو قول الله تعالى " لا يفلح الساحر حيث أتى " (1)، في حين نجد في النصوص الا خرى (الثالث، والرابع، السادس، السابع و الثامن) (2) سر لجوء النساء لمثل هذه الممارسات الشريرة من تعويض شعورهن بالنقص تجاه الرجل، فالسحر اذن يؤدى وظيفة التماسك الا جتماعي بين هذه الفئة من المجتمع (النساء) اللواتي يتفقن بصفة مباشرة أم غير مباشرة على ايذاء الا خرين للوصول الى المصالح (سواء المكافئة بالدراهم كالقزانات المتجولات أم حبا في فعل الشر لا عدائهن و أحبابهن بسبب الغيرة و الحسد) و يبدو هذا واضحا في الا ساطير و في الواقع سيان، مما يجعلنا نعتبر الا سطورة احدى انماط وأشكال التعبير عن الحقائق الموجودة من طرف الجماعات و لهذا يجب أن تكون مندمجة في التاريخ والحاضر معا .

---

(1) سورة طـه الا ية 69

(2) أ نظـر الملحـق .

المرأة القبائلية و الممارسات الطقوسية السحرية :

قبل التطرق الى هذا المحور بالتفصيل ، لا بأس أن نعطي فكرة عن المعتقدات الشعبية ،تدل صفة الشعبية هنا على ما تدل عليه عبارة الا غاني او العادات الشعبية أى أننا نقصد المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيمايتعلق بالعالم الخارجي و العالم فوق الطبيعي، و ليس من الا مور ذات الا همية الرئيسية ، مع أننا نوليها عناية ما اذا كانت قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أوالا لهام ، و قد تحولت في صدور الناس الى أ شكال اخرى جديدة بفعل التراث القدير الكامن على مدى الا جيال، فلم تعد بذلك معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح أى انها لاتحظى بقبول و اقرار رجال الدين و قد كان الشائع أن يطلق عليها في الماضي اسما ينطوى على حكم قيمي واضح اذ كانت تسمى خرافات أو خزعبلا ت (1) من الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسمي سواء في الخارج أو عندنا و تتميز المعتقدات الشعبية ببعض الخصائص التي تميزها عن سائر الانواع الشعبية الا خرى فأدوات الزينة و الزى الشعبي كلها تستمد قيمتها من اظهارها للناس و اعلا نها، و العادات الشعبية لا بد أن تمارس فتظهر بالضرورة على الملا . أما المعتقدات فهي على خلا ف كل هذه العناصر اذ تشكل بصعوبة مبالغ فيها أو مخففة يلعب فيها الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعا خاصا، وهي مع تمكنها في أعماق النفس الا نسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفين أوالحضريين، عند غير المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبة عالية من العلم و الثقافة ،و صاروا يخضعون في حياتهم و فكرهم للا سلوب العلمي، وهذه الحقيقة الا خيرة جديدة نسبيا على البحث العلمي حيث كان أبناء القرن التاسع عشر يعتبرون أن التفكير قبل المنطقي خاصية مميزة لطبقات معينة هي الطبقات الدنيا أوالشعبية على حين ان الطبقة العليا أو حملة الثقافة الراقية يتميزون بتفكير منطقي خالص أى أنه لا يعرف المعتقدات الشعبية و لكن ثبت و أنه منذ نهاية الربع الاولى من القرن العشرين فسد هذا الرأى،و أن المعتقدات الشعبية موجودة و لكن بدرجات متفاوتة بالطبع في كافة الطبقات وعلى كافة المستويات .

ان اية مناسبة من المناسبات مهما كانت بدايتها و بساطتها تحمل بصمات شعب معين

---

(1) كذلك الحال في اللغات الا جنبية في الا نجليزية حيث كان يطلق عليها اسم (SUPERSTITIONS) ثم أ صبحت تسمى (FOLK-BELFT) و في الا لمانية كانت تسمى (APERGLAUBE) أى خرافات و اليوم (VOLKSGLAUBE).

و العادة الا جتماعية بصفة عامة هي كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا، و يتعلم اجتماعيا كما يتمارس اجتماعيا، و هناك من يرى أنها تنسب الى أنماط السلوك الجمعى التي تنتقل من جيل لا خر لتستمر فترة طويلة حتى تثبت و تستقر و تصل الى درجة اعتراف الا جيال المتعاقبة بها . و هناك من يرى أنها نمط سلوكي أو سلوك تعده الجماعة الا جتماعية صحيحا و طيبا و ذلك بسبب مطابقته للتراث الثقافي القائم، أما " مالنوفسكي " فيرى أن العادة أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليديا على أفراد المجتمع المحلي، و تمتاز العادة الا جتما عية أنها الزامية لانها تتصل بنواحي أسطورية كالعادة التي تجرى في أغلب المناطق الجزائر ية عند بناء بيت جديد اذ يتطلب من صاحب البيت عند وضع الساس التضحية بخروف أو ديك لانه يعتقد بأن سيلا ن الدم يبعد الا رواح الشريرة (الجنون) من البيت و أن عدم سيلا نه يؤدى الى العكس أى جلب الا رواح الشريرة و استقرارها .

ان المجتمع القبائلي كغيره من المجتمعات يتوسل الى القوى العليا كالا لهة أو الشياطين و الاولياء المقدسين (1) أو " FETICHE" (الفتش) عن طريق الصلاة، كما يسترضيها بواسطة الا ضاحي والقرابين، و يتوسل اليها بالنذور و الحج والزيارة و يستعين بها للحصول على البركة، و لتحقيق أغراض من العمليات السحرية التي يمارسها .

و يعرف التراث السحرى القبائلي آلاف الصيغ و الدعوات للعن القوى الشريرة أو استرضاء ها، كذلك تستخدم الا حجار والنباتات و الحيوانات و النجوم و الا شكال و الصور والكلمات والتراتيل و الا فعال في هذا الصدد للتأثير فوق الطبيعي، على تلك القوى الميتافيزيقية، والمرأة بحكم تجربتها الكبيرة في هذا الميدان و ممارستها له أكثر من الرجل تفقد مكانتها العظيمة في الا سرة عندما يرتفع بها الدين الا سلا مي لتحتل مكانة حقيرة عندما تنحدر بها التقاليد و المعتقدات اذ هي في منطق هذه الا خيرة تصبح انثى و ليست انسان ووجودها كله شؤم على الحياة و الا حياء عند عبادة التقاليد،وهي أيضا آلة للا نجاب وأداة للمتعة لا أكثر .

فيقال مثلا أن لدم الا رنب دور فعال في الممارسات السحرية بحيث اذا شربته المرأة صارت عاقرا،و كذلك ذيل الا رنب يمنع الحمل اذا مسته المرأة، وأن من يعلق كعب الارنب أيضا سلم من العين والسحر لان الجن يتهرب منها و ان وجود الفئران في البيت مثلا يجلب البركة و كثرة الخير واذا خطت امرأة على سلحفاة فانها لا تحمل سبعا، وأما سمك الايلس يعتقد أنه اذا شوى و أكل منه شخصان معا بينهما عداوة و خصومة تبدلت علا قتهما، وأما دم الحمام

---

(1) أنظر الخريطة في الصفحة الموالية .

خريطة توضح أهم الاولياء المقدسين الذين تتم حولهم المعتقدات السحرية في المجتمع القبائلي .

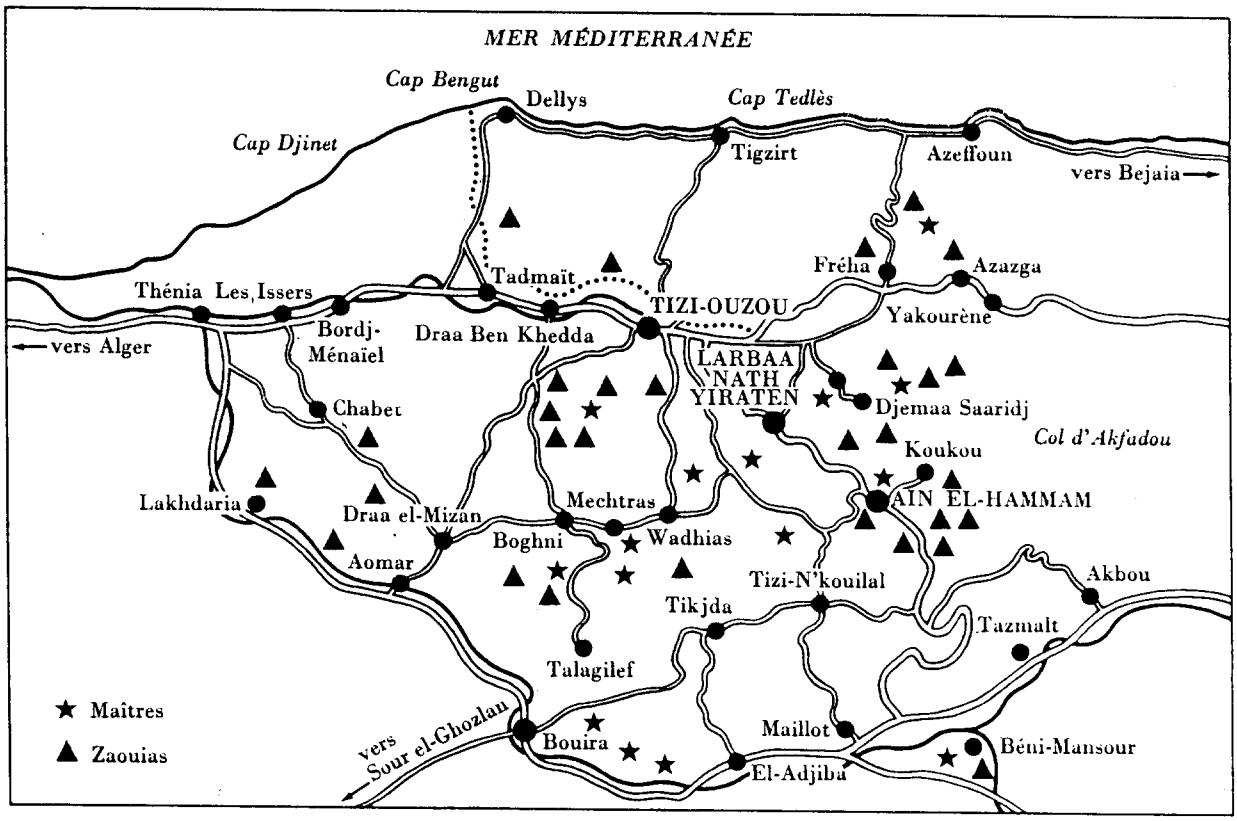

فانه يدخل أيضا في الممارسات التي تؤدى للعاقر كي تنجب و أن دم الوطواط يدخل في كتابة أعمال و أحجبة معينة، و أما الغراب فانه يتشاؤم منه و من صورته و يعتقد بأنه يفرق بين الناس و أن نعيقه في ظروف معينة يعتبر نذير بوقوع حالة وفاة، و كذلك الشأن بالنسبة للبومة ، واما الببغاء فان من أكل لسانه صار فصيحا جريئا في الكلا م وأن قلب الحية مثلا يقي من السحر .

أما شعر الا نسان فانه يستعمل لاغراض سحرية مثلا : حرق جزء من شعر الشخص الحاسد و يبخر به المصاب (المحسود) من أجل ابطال تأثير هذا الحسد، و ان دم الا نسان اذا اغتسلت به المرأة العاقر أو خطت فوقه عددا من المرات دون سائر الا غراض الا خرى فانها سوف تحمل ، و في ليلة الزفاف مثلا تجرح قدمي العروسين ثم تلصق القدمان ليمتزج الد م ، كما تستخدم مخلفات الانسان في أغراض سحرية (فضلات، عرق .....) وان للبصاق فعالية أو للعاب أيضا في ابطال مفعول تأثير سحرى معين، و في اكتساب صفات جسمية في علاج أمراض معينة كأن تدلك بها اعضاء مريض و اذا غسلت و سخ رجلين ابن آدم و يديه بالماء و أ سقيته لمن شئت فانه يحبك محبة شديدة و لا يطيق فراقك. هذا و نعثر على معتقد ات كثيرة بذوى العاهات بحيث يوجد في كل مجتمع محلي تقريبا بعض الافراد الذين يختلفون عن الشكل العام السليم لبقية افراد المجتمع على نحو ما وربما يرجع هذا الشذوذ الفيزيقي الى حادث أثناء الولادة او تشويه فيزيقي أو عقلي أو نفسي ، و قد يكون هؤلاءالا لفراد بكارى (أول الا و لاد) توائم أو مولودين بأية طريقة أخرى غير عادية على سبيل المثال بأسنان و قد يكونون عميانا أو حولانا أو ضيقي فتحة العين أو مقلوبي النظرات أو لعيونهم لون خاص كما قد يكونون طرشا أو مشلولين أو محدبي الظهر أولهم علا مة ولادية ظاهرة و ربما يعاني عدد قليل منهم من أمراض خطيرة كالجنون أو الصرع بينما نجد البعض الا خر يتصف بمجرد الا فراط في السمنة أوالنحافة . هذا من المنظور العلمي في حين نجد المجتمع القبائلي و بالخصوص المرأة الا مية الجاهلة لا تستقبل هذه الفكرة و هذه الحالات فتجدها تلجأ الى مختلف الطرق التقليدية و الخرافية لعلاجها او بالاحرى للقضاء عليها، وهذا بالطب الشعبي السحرى في أغلب الا حيان. أما لعلا ج العقم فحدث ولا حرج، بحيث نجد امتزاج الخيال بالواقع ، فيجب على المرأة العاقر تخطية جثة القتيل و تناول أعشاب معينة وعمل و صفات سحرية عديدة، و لعلا ج عسر النفاس مثلا يكتب في آنية جديدة " أخرج ايها الولد من بطن ضيق و من تحت ضيق الى سعة هذه الدنيا، اخرج بقدرة الذى جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم " و تقرأ آية " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته .....' و كذلك : " و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين " ثم تشعر بها النفاس و يرش منه على رحمها .

أما الممارسة السحرية فانها تقوم على أداء بعض العمليات المعينة وفق تكتيك خاص ونستعين هذه العمليات ببعض العناصر أو المقومات الا ساسية كالا فعال أو الحركات و الكلمات (المنطوقة أو المكتوبة أو كليهما) و الا شكال، و يتخذ التأثير السحرى أشكالا أو مظاهر معنية كما أنه يستهدف تحقيق غايات ما و هناك بعض آيات القرآن الكريم أو سوره أو أقوال الرسول (صلعم) أو أ سماء الا نبياء أو غير ذلك كأسماء الله الحسنى كعناصر في بعض العمليات السحرية ، يروى أنه لما هبط ابليس قال: يارب لعنتني فما عملي ؟ قال الله :السحر . ولذلك فهو من عمل الشيطان .

فلتأجيل أو تأخير الولادة مثلا في المجتمع القبائلي يكفي أن تربط الساحرة خيطين بعقد (NOEUD) أو أن تربع المرأة رجليها و تتحدث الساحرة بأقوالسحرية معينة ، ولاحداث شلل للعدو تقوم الساحرة بتسميته بقتل دمية مع تلفظ بعض الا دعية لله والقديس و ذلك مع ذكر اسم الشخص المعني بالا مر .

ان شروط نجاح السحر في الغالب هي و ضع الساحر قربه ذرات من الملح و سبع حبات بيض و مصباح صغير و يتسرب منه سائل ممزوج بالماء كما يجب أن يكون لديه شيء للمسحور حتى يمثله (قطعة من الملا بس، أ حذية ، أو شعر أو ما شابه ذلك يعلقها على المسمار ثم يقوم الساحر بحرق الكبريت عليها و يرمي الملح و يردد على النار (اسم المحب والمحبوب) و تخرج من حصنه عقدة و يردد صيغة سحرية فيها كلمات مخيفة فتكون مقابل هذا تضحية معينة ، ان القتل السحرى يقدر أن يكون نهاية لذاتها كلما حاول الساحر التخلص من أحد أعدائه يجب أن يتأكد من القدرة و لو سببيا عند قتله رمزيا (يعذبه ، و يمحي اسمه من قائمة لا حياء، أو من كتاب الله) هذا بالا ضافة الى الا ستعمالات الطقوسية التي يستخدم فيها الدم ، اذ قديما كان يشرط ساقا العروسين و يمزج دمهما و غمس الكف في دم الذبائح وطبعها على جانبي الباب أو أحدهما . كما أنه اذا وضع بعض التراب المأخوذ من المقبرة مثلا بعتبة الباب فانه سوف يسبب لصاحبه الخراب في حين يجلب تراب مقبرة الولي البركة و الخير، وأما التمائم و الا حجبة فانها توجد في كل مكان على أبواب المنازل ، في رقاب الحيوانات، على جذوع الا شجار، بالقرب من ينابيع المياه ، و في الناس على الرأس وعلى الصدر و على الجنب و يعلق حجاب المحبة مثلا على الصدر و حجاب الصراع على الرأس فمثلا تسمى العزائم التي تحبب الرجل في زوجته (الشبشبة) و هناك عدة صور رمزية تستخدمها الساحرة و أعطت لها أسماء كثيرة مثلا صورة العصفور هي الله و السماء هي هذا الشكل و النجم يمثل: و الكوكب تمثله بهذا الشكل و الدنيا بهذا والقمر و الكواكب الا خرى و النار بهذا الشكل و أما الحوت فهو يمثل والماء : و التراب:

و عناصر أخرى للنباتات و الحيوانات و توجد عدة وصفات و طبخات للحب و الفراقوالكراهية و الكرامة و لكسب حب شخص ما و لقتل أى عدو و لتهريب أى سجين و لترك أى شخص بيتـــه و التفرقة بين الا صدقاء و لشفاء مريض معين.

فعندما تريد الساحرة أن تجمع شخصين تأخذ صورة كل احد منهما و يجب أن يكون ذلـــــك في ساعة كوكب (JUPITER) و (VENUS) و عندما يكون الا سد بعيدا و يكون القمر مـــــع (VENUS) وعندما يرى رب المنزل السابع رب المنزل الاول ثم تلصق الصور ليتقابلا وتدفنهمـا في المكان الذى يكون موضع حبهما الا بدى .

النقد والتحليل السوسيولوجيين :

ان كلمة طقس (RITE) تشتق من الكلمة اللاتينية (RITUS) وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معين كما تعني كل أنواع الا حتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الا طار التجريبي ، والطقس يقوم بتكريس ديمومة الحدث الا جتماعي أو الا سطورى الذى أوجده فهو استنادا الى ذلك اعادة خلق و تعيين لماضي غامض غالبا لكنه يأخذ معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني كذلك يكتب فان درلو (VANDE RLEW) (1940) بصدد الطقوس أنها أولا احياء و تحسين لتجربة مقدسة ، فالطقوس كما يقول (هي أساطير تترك لان الا سطورة هي مؤسسة الفعل المقدس، فهي تسبقه و تضمن بقاءه والقيام بأى عمل هو تجديد لتجربته الاولى) .

مما لا شك فيه أن المعتقدات الشعبية في الجزائر عامة و منطقة القبائل خاصة تنبع أ غلبيتها من الفهم المغلوط للدين الا سلا مي ، و بفضل المذاهب المختلفة التي عرفتها مثل الصوفي، فان هذه المعتقدات فقدت كثيرا من سماتها الا ساسية واكتسبت سمات جديدة جعلتها تتخذ عدة أشكال و هي القوة المحركة و راء كل الا فعال الا جتماعية التي يؤمن بها الفرد منفردا بنفسه أو مع الناس ، و يمكننا القول أو الا عتبار كل معتقد أو تصور معين يكمن وراء جزئية من جزئيات السلوك في ميادين النشاط الا نساني و هي تمارس ضغطا شديدا على الا فراد خاصة الريفيين و نظرا لتمسكالفرد بهذه المعتقدات فقد اتخذت في نفسيته طابعا الزاميا و أصبحت موجهة للسلوك و الممارسة كزيارة أضرحة الا ولياء الصالحين و اقامة الطقوس والشعائر متخذا منها تبريرا دينيا يختلط فيه الواقع بالوهم ، و الحقيقة بالباطل، والمجتمع القبائلي كنموذج تتعدد و تتداخل فيه المعتقدات فيأخذ بعضها طابع الممارسة و يعتبرالريف القبائلي ميدانا خصبا لممارستها حيث أوجدت أرضية ساعدتها في الظهور و الا ستمرارية متمثلة في تعدد الا ضرحة الخاصة بالاولياء الصالحين والا ستعداد الذهني أو العقلي للفرد الريفي الذى يتمثل في الا عتقاد في قدرة الاولياء و الكرامات المنسوبة اليهم . يقول علماء النفس (في المجتمع يفقد الا نسان شخصيته) اذ فرديا لا يتوقفون عنالتساءل عن أحوالهم للا يمان بالتنبوءات فلا يجدون الا جوابا واحدا هو أن يكونوا مقدرين أو مستعدينللا يمان بالمعتقدات الخفية بالنسبة لهوءلاء، فهذا لا يعني أكثر من مساعدة و لكنها فعالة جدا، فعندما يقرأ حظه مثلا فانه في الحقيقة يبحث عن كيفية رد الفعل لانه لا يستطيع مواصلة الدرب وحده و يوجد أناس آخرون يهتمون بهذا فقط لمجرد العادة و حب الا ستطلا ع ، و في هذا المستوى يتدخل علماء الا جتماع ليقولوا أن

هذا داخل في موضوع العادات و التقاليد لانه في البداية كان الناس يفسرون سر العالم بالغيبيات قبل مجيء الا ديان و لهذا بقيت آثار هذا الفكر على شكل عادة اجتماعية لكننا و أخيرا نقول أنه عندما نود حصر الممارسات السحرية التي ترتبط بشتى أمور الحياة في علا ج المجانين و المعتو هين عقليا و المرأة العاقر تختلط علينا الا مور و ترتبط الحقيقة بالخيال كما تختلط المفاهيم هنا بين مصدق و مكذب.... المهم ان ظاهرة السحر ما تزال تتكرر في واقعنا و آحيانا تؤدى الى نتيجة ، ولعل أحسن مثال على الطقوس هو ما يسمى (بانزار) الذى طرحته الا سطورة التاسعة (1).

نجد في المجتمع القبائلي عادة (انزار) التي سميت بهذا الا سم بنسبة للشخصية المذكورة في النص (ملك المطر) ، و أصلها أى هذه العادة هو الا سطورة ، ففي حالة الجفاف يحتفل بهاو يجب على الفتاة الممثلة ان تتقبل فكرة العراء ففي الفترة التي تكون فيها الارض يابسة مسببة قحطا خطيرا ، تتجمع النساء الطاعنات في السن لتعيين اليوم الذى سيتم فيه الا حتفال و لما يحضر الاوان تخرج تلك النساء و الشابات برفقة الا طفال مرددين بلحن عذب :

أ نزار ، أنزار ،

يا سلطـــان الماء أو قف الجفـــاف ،

و لينضح القمـــ ح علـــى الجبال

و في ءلهضاب أ يضـــا (1)

ثم ترافق الفتاة الجميلة البالغة و المزينة بأبهى المجوهرات (بحيث تكون تشبه الخطيبة والعروسة يوم زفافها) بموكب كبير من النساء و الا طفال و يجب أن تكلف عجوزة شريفة و محترمة بتزيين تلك الفتاة و لا يجب ان تخاف او تبكي الخطيبة حتى لا يعتقد ملك المطر (انزار) انها حزينة و أكرهت للذهاب ثم تمسك الفتاة ملعقة كبيرة (مغرف) (AYENJA) وهي على ظهر العجوزة التي زينتها في الوقت الذى تردد فيه ما يلي :

يا أنزار ، الملعقة جافـــة

كل اخضرار ضائـــــــع

الشيخ قوستـــه السنيـــن

تناديـــه المقبـــــرة

بطنـــــي عقـــــيـــم

---

(1) أنظـــر الملحـــق.

(2) ما ترددده النساء موجود بالقبائلية في الملحق .

صـــورة توضـــح خطيبـــة " أنـــزار " و هنـــا الخطيبـــة متمثلة في الحطب و ليـس المـــرأة .

83. Tarenza, *la «fiancée de la pluie», poupée constituée de cuillers revêtues d'une robe et promenée pour obtenir la pluie. Tabelbala (Sahara algérien).*

ولا يعرف النســـل

خطيبتك تـــرجوك

آه يا أ نزار لانها تحبـــك

و كلما مر الموكب على قرية من القرى المجاورة انضمت اليه مجموعات جديدة من الناس و الكل يغني :

أ نزار ، أنزار

يأيها السلطان : أوقف الجفاف

و لينضج القمـــح على الجبـــال

و علـــى الهضـــاب أ يضـــا .

و كل عائلة تعطي للموكب مأكولات كثيرة من دقيق و لحم و شحم و بصل و غيرها ، و ترمي بعـــض العائلات المياه محاولة أن تبلل شعر الخطيبة ، و لما يصل الموكب الى أحد المعابد المقدسة تضع النساء الخطيبة على الا رض و تبدأن في طبخ ما تم جمعه من المؤكولات ، وكل واحـــــد يأخذ حصته بـــعـــد الـــطـبـــــخ ، و بعد ذلك تغسل الا واني و يرمى ماءها في جدول أو سرية ، ثم تأخذ العجوزة الشريفة بنزع ملا بس الفتاة الخطيبة و تتركها عارية حتى تغطـــي هذه الا خيرة جسدها بشبكة من العلف و هذا يرمز لعدم وجود الحشائش الخضراء بسبـــب الجفاف ثم بعد ذلك تأخذ في الطواف سبع مرات حول المعبد ما سكة الملعقة في يد هـــا بحيث يكون رأس الملعقة متجها نحو الا مام كأنها تطلب ماءا وهي تردد :

أنتـــم يا أ سيـــاد المياـــاه

أ عـــطـــو نـــا ميـــا هـــا

أ عـــطـــو نـــا ميـــا هـــا

ا عطي حياتيلمـــن يـــريـــد هـــا .

و لهذا السبب تسمى الفتاة خطيبة أنزار ، وعند الا نتهاء من الطواف تقـــول :

أ شاهـــد الا رض

و جهها يابس و جـــا ف

لا تـــوجد قطرة مـــاء فـــي النبـــع

شجـــرة البساتيـــن ضعفـــــت

أ نـــزار أ حفـــــر لنجدتنـــــا

لا تقـــدر أن تتركـــا يا شـــريف

انـــني اسمـــع انيـــن الا رض
يشبـــه انيـــن سجيـــن مسكيـــن
لا تـــوجد قطرة ماء ترشح الا هانـــة
الليمـــون مملوء بالثغـــــرات
انطوى لا رادتـــك يا أ نـــــزار
لانـــنـــي أ مـــامـــك ليست شيئا
الغد يـــر يـــفرغ و ينـــلا شـــي
و يصبـــح غريـــح الا سمـــــاك
الـــراعـي يبقـــى حزيـــنـــــــا
الحشيـــش ذ ا ئـــب
شبكـــة العلف فارغة و جائعـــة
يضمـــنـــي مثـــلمايفعـــل الثعبـان

ثم تتجمع النساء في المعبد و يغيـــن :

أو ه أ نـــز ار صـــاحب القلب الشجاع
الواد أصبـــح رمـــلا جـــافا
المفتـــاح انـــت الذى تملكـــه
باللطـــافـــة تحـــرر المنـــبـــع
الا رض تتنازع
ا حتقـــن دمهـــا حتى الجذو ر
آه!يا أنـــزا ر يأ يهـــا السلطـــان
امنـــا الا رض لا قـــوة لهـــــــا
تنتظـــر انها مشكلـــة عليـــــك
مثلمـــا قبلت منك نقـــص الغذ ا ء
املا الواد بعـــرقـــــك
و الحياة تنجـــح بالمـــو ت
با أ نـــزار يا قـــا در
انـــت الذى تعطـــي الحياة للنـــاس
خلصـــهـــم مـــن القيـــــــــود

أنت دواء الجروح
الارض تنتظر مستسلمة مثل الفرس
كلها الفرح مجيئك
آه يا أنزار ابن الجن
أنت الذى يعيش بين النجوم
معرفة الجميل نعطيها لك بديهيا
اذا اعطيتنا المياه
آه يا أنزار أيها السلطان
أنت ذو السر الذى لا مثيل له
تزوجت من فتاة غالية
ذات الشعر الذهبي
ها هي اعطيها الاجنحة ،
و تعمقوا في اسماء (هيا)
بسببها المزينة بقماش رقيق
تستطيع ان تقول للعطش اشربوا .

و بعد ذلك تتجمع المراهقات حول الخطيبة العارية و تلعب لعبة (ZERRARI) (زراري) بكرة صغيرة قرب المعبد وكل واحدة منهن تمسك عصا و تتشاجر على الكرة حتى تسقطها في حفرة مهيأة لها ، و ترد الخطيبة : الارض و أنا عروستان

تز و جنا برجل دو ن أن نراه
لسنا مريضتين و لا عقيمتين
و لكن المفتاح بقي في قفل الباب
و ثد يينا لا يعطينا الحليب
كيف يستطيعان ؟

و عندما تدخل الكرة في الحفرة تقول الفتاة أيضا :

أبسط يدى أمامي
لا أجد الا الفراغ
و لا تجد غيرى
لا شيء يشدني غيرى
يا أنزار يا أيها الطيب .

حيـــاتـــي غاليـــة و لكن اذا كنت ترديها فهي لك و تحيب

كل الفتيات وراءها :

حققنـــا هـــد فنـــا

الكـــرة فـــي مكانهـا

السلطان نزل عـــلى الا رض

الخطيبة أ طاعتها و قبلتهـــا

يأ يها السلطان أعطينـــا المطر

انك ترى أن أ رضنـــا عطشـــانـة

و ستعطينا انتاجا طيبـــــــــا

مثـلك الذى يعطي النســـــــل.

و لما تدفن الكرة في الحفرة تعود كل النساء الى القرية قبل غروب الشمس (اننا متأكدين) يقول القبائليون ان بعد هذا الفعل بأيام قليلة يبدأ المطر في السقوط) و في بعـــــض القرى تغني النساء هذه الا غنية :

أنـــزار ، أ نـــزار

أ تت لهو امغبار

أ ذون ا بـــون أتمـــزيـــن

أ تشـــن الوشول أ تقششيـــن

بمعنى : أ نـــزار، أ نـــــا ر

يسقط المـــطر كالغبـــار

ينضـــج الفـــول و الشعير

يأكـــل منه البنيـــن والبنـــات

في البلا دالتي تعرف مناخا شبه جاف يحير مشكل المياه الوحدة الزراعية و البدويـــة والشعوب الا فريقية كالقبائل اليوم، فتكثر فيها الممارسات السحرية للحصول على الغيـــث و الا كثر معرفة و شيوعا اذن هوهذا الطواف الخاص بخطيبة (انزار) أو خطيبة المطـــــر و أ حيانا اخرى بدل المرأة تستخدم ملعقة بسيطة من الحطب مرتدية الا قمشة (1) و النية الرمزية تريد من هذه الخطيبة انتاج المطر(ANZAR) وهواسم مذكر(ملك المطر) والمطر وخصوبة الارض و خصوبة القطعان، كل هذه الا حداث و العناصر المتسلسلة بافعالها، مازالت بعض

---

(1) أنظر الصورة في الصفحة 68 من هذا المحور.

القرى الى يومنا هذا تواصل الا حتفال بيوم الجفاف،في حين هناك من توقف خوفا من لعنة الا ولياء المقدسين فيكتفون بحمل الملعقة وحدها مزينة كالخطيبة و الحفل يبقى نفسه ، و عند نهاية الا كل تلعب اللعبة (زراري) و تخبأ نفس الملعقة للحفل المقبل كما يضع البعض مكان الملعقة طفل يتيم الا بوين .

نلا حظ في النص أو الرواية (1) القبول و الرضى من طرف الفتاة على اعطاء اغلى ما تملك وهو الشرف لملك المطر في سبيل ارجاع الغدير الى مجراه الطبيعي، لكن هذا لم يحد ث الا بعد التهديد و الخوف، و لعل الشيء الملا حظ هو تطابق هذه الوضعية مع الواقع بحيث على الفتاة في الممارسة أو الطقس تقبل البقاء عارية و تضحي بنفسها رمزيا و نفسيا للوصول الى الهدف المنشود، فالعلا قة اذن بين الجنسين تبدو مبنية على الجبر وهي رمزيةو بدونهما لا حياة ولا وجود نفس الشيء بالنسبة للماء و الا رض.

كما نلا حظ اتمام الممارسة في مكان مقدس (معبد أو مسجد) لاستجابة الدعوة اعتقاديا،فهناك اذن تأثير مباشر بينالممارسات القديمة للشعب القبائلي و الدين الا سلامي الذي تم به تقديس بعض المجالات و اتخذت أشكالا اسلا مية فيمثل جانب الطقوس و الممارسات المقامة حول المقابر مثلا جانبا مهما في حياة البشر فهو مرتبط بعالم الغيب و سمو الروح وأحيانا نجد الحياة الزراعية مرتبطة بممارسات سحرية اذ للا رض علا قة برموز كثيرة لكن هذه الممارسات لم تبق بمثل قوتها و ثرائها الماضيين نظرا لسياسة الا نفتاح في كل المناطق الجزائرية تقريبا على المناطق الا خرى بفعل الطرق ووسائل المواصلات و العمل و المؤسسات بالمدن الكبرى و ظهور الا سلا م مع انتشار افكاره حول مسألة الخرافة ، كما أنه من العوامل الا جتماعية التي تلعب دورا في خلق الخرافة المحلية عاملان مرتبطان بالمكان و الزمان معا ، وهما البيوت المهملة الخالية أو المكان العفن و البقايا الا ثرية التي يرجع تاريخ بنائها الى عهد متوسط فقد لوحظ أن الجدران المنهارة و البنايات القديمة و البيوت المهجورة تعد من الا وساط الشعبية " مقاما " يزار بمثابة قبور المقدسين و العفاريت و منها تتفجر الخرافة،و يرجع سبب ذلك الى أن خلو هذه الا مكنة التي بنيت للسكنى يدل على أن ساكنها استطاع أن يتوارى عن الا نظار مع أنه استمر فيها، فله قدرة عجيبة الشكل و التلون بحيث تفتح الا بواب واسعة للمرويات الخرافية ، و رغم أن الا سلام يحارب كل هذا الفكر لم يؤثر هذا في بعض معتقدات البشر،لان الطقوس لم توجد الا في شروط الوجود والتنظيمات الاجتماعية.

---

(1) أ نظر الا سطورة التا سعة في الملحق .

ان وجود عنصرى الارض و الماء في الا سطورة يعني وجود تحت،فوق أو أسفل و أعلى وقد تمثل غالبا المرأة الجزء الثاني أينما وجدت، وهي الارض التي تمثل كل شيء و ترمز للثقافة البشرية و الحيوانات و النباتات في حين يمثل الرجل في أغلب الا حيان السماء - الفرق اى الجزء الاول وهو الثقافة بكل رموزها البشرية و ما تحويه من خبرات كما طرحت صورة المرأة الموجودة في الحضيض و صورة الرجل التي تمثل القوة و السلطة .

أما فيما يخص التحليل اللغوى فقد تناولت هذه الا سطورة اى التاسعة الا حداث بأسلوب رمزى و صفي يشرح و يفسر عدة ظواهر طبيعية ، الغرض منها شرح ظواهر اجتماعية ، فالماء المعتبر دائما أساس الحياة له نفس مرتبة المرأة التي يمثل كنزها شرفها في الحقيقة أساس الحياة و استمرار الوجود البشرى، و تم علا ج كل القضايا المطروحة بكلمات و مفردات شعبية نابعة من الوسط الشعبي القبائلي كلفظه (زرارى) و شخصيات رمزية ميتافيزيقية فأنزار مثلا الذى يمثل ملك المطر هو جن و عفريت لا أساس له في الواقع،هذا بالا ضافة الى استعمال النص قيم و معايير اجتماعية كاستسلام الا نثى خوفا من الملك و قوة و شجاعة هذا الا خير التي تسمح بفرض السلطة على الجنس اللطيف.

يمتاز أسلوب الخرافة بوجه عام باستعمال لغة خاصة بأمور الدين ذلك لانها تنتمي في أغلب الا حيان الى المرويات الدينية القديمة و يظهر ذلك في الا حتفاظ ببعض العبارات المكررة في النص تكرارا كثيرا نظرا لموضوعها (عبارة انزار، انزار)، وهي مملوءة بالكلمات المتصلة بالمعنى المتعلق بالموضوع ، أما أسلوب السرد فيعتمد على عنصر ين من بدأ الرواية الى آخرها وهما وصف الا حداث و استعمال الحوار، و يمتاز وصفها ببساطة وايجاز فيكتفي الراوى بذكر اهم الحركات التي تقوم بها شخصيات الرواية و هو أسلوب وصفي من الدرجة الاولى و موجز في و صفه أما الحوار الذى هو العنصر الا خر فمن خلا له تتطور الا سطورة حيث تأ خذ لاعلا ن هام القرارات اللا زمة و النهاية المتوقعة أحيانا و الغير متوقعة أحيانا أخرى

الزواج و العلاقات الاجتماعية في المجتمع القبائلي :

ان ما يتعلق بقضية الزواج في المجتمع القبائلي تبقى مسألة جماعية خاصة بالافواج و ليست فردية ،وهي خاضعة في الغالب بجبر الوالد الذى يمارس حق السلطة مما يسبب في تزويج الفتيات في سن مبكرة جدا (من 12 الى 13 سنة) ،و لكن لا يتم الزواج الا بعدما يكون هناك اتفاق بين العائلات و رؤساءها ، في الوقت الذى تكون فيه البنت مهيأة منذ الصغر على الشروط القانونية و الاجتماعية المقيدة بها ، فهي ليست أكثر من وسيلة امتداد الاسرة و توثيق العلاقات الانسانية بدورها الاجتماعي . ان الزواج في المجتمع الجزائرى عامة و القبائلي خاصة لا يهدف الى تأسيس العائلة أكثر من سعيه الى تقوية العائلة الموجودة سابقا،والمرأة لا أمر لها أو لا حق لها في قول رأيها في المجتمع القبائلي المحافظ، لان الزواج التقليدى مسألة خاصة بالنساء، فهن المسؤولات اجتماعيا عن تحضير الالتزامات الخاصة من زيارات و تحالفات، و لعل لقساوة العادة القبائلية باختلاف القانون.الا سلامي و التي لا تقبل أى وجود شرعي للمعاشرة خارج الزواج، دور فعال في عدم احترام المرأة ووصولها الى هذه الوضعية ، و تعطي أهمية كبيرة للزواج الداخلي الا جبارى للفتاة فقط لان الرجل له مبادرة الاختيار . و خلاصة الزواج اذن تكون حسب حالة العلاقات القرابية التطبيقية اذ تعتبر القريبة او بنت العم عموما المرأة المثالية من حيث الاخلاق و الامومة والامانة و الاخلاص بخلاف الاجنبية العدوة .

و الزواج الخارجي هو زواج غريب و من بعيد، و يعتبر بمثابة منفي (L'EXIL) يقال :

" AZWADJ NBARA AZOUADJ EL GHORBA "أى " الزواج الخارجي زواج غربة "

فتصرح النساء اللواتي هن بنات تزوجن من الخارج يوم الزفاف : " يأيها الجبل افتح الابواب للمنفية لترى قريتها و بلدها الاصلي" فالارض الغريبة هي موت للمرأة والرجل و يبقى الداخل دائما أفضل من الخارج يقال :

لا أضحي بـ " ADHRUM " مقابل " AGHROUM " بمعنى لا يجب أن يضحي بقرية بأكملها مقابل قطعة من الخبز اذ يقبل الرجل أن يحمي نقطة شرفه (nif) على أن يكشف عنه للغرباء.

أما الزواج عند المرابطين كفئة قبائلية فهو مختلف نوعا ما لان كون انتقال لقب المرابط وراثيا و بحق الولادة،جعل من المرابطين كفئة دينية تعيش في وسط المجتمع القبائلي دون وقوع أى اختلاف بينهم ، و لعل قضية الزواج هي من النقاط الاساسية التي تؤكد هذا، فالعائلة هي التي تقوم بتنظيم عملية اختيار الطرف الثاني وأساسه قواعد الزواج الداخلي بين الاغنياء ومازال المرابطون يأخذون أزواجهم من ذويهم بمعنى الجماعة التي

- صورة توضح زواجا قبائليا - (تحضير طعام الحفل) -

ينتمون اليها فقط، ولا تجوز أية علاقة قرابة مع الذين لا ينحدرون من ولي الله .يعبر هـذا الزواج الداخلي عن طائفة تعود جذورها الى القديم و كان ينظر الى الزواج عندهـم من ناحية كون الشخص ينتمي الى فئة الشرفاء الا أن هناك نوع من التسامح للرجل المتزوج بامرأة قبائلية في حيلة تحتقر هذه الا خيرة من طرفهم . أما في حالة طلب قبائلي يد فتاة مرابطية (وان كان هذا غير مسموح) فانه سوف يرفض اكتسابها للقلب (الا) ولا تقبل في المجتمع المرابطي كله . ان المرابطين يرفضون التبادل الا موى باسم التفرقة القائمـة بين الطرفين، يفضل المرابط أن تبقى بناته عازبات على أن يتزوجن لا شخاص لا يتمتعون بنسب الشرفاء خوفا من لعنة الجد الا كبر المشترك من جهة ، و تلويث لدم و قد سيـة المرابطين من جهة ثانية ، فالزواج خارج طائفتهم اذن يعتبر خروج عن العادات والتقاليد المحلية .

ان هذه العلا قة الا جتماعية المتمثلة في الزواج بالنسبة للمرأة،ما هي الا الوسيلـة الوحيدة للوصول الى مكانة اجتماعية باعتبارها أم لعدة أ بناء هذه المكانة التي تسيطـر أو تهيمن بها على المنزل تكون لديها قدرة معينة كوالدة . و لهذا نجد لهذه العلا قـة أهمية و تكرار كبير في الحكايات الشعبية و الا ساطير لان بها يتحدد دور المرأة الاجتماعي عبر عناصر رمزية مستعملة خصيصا في طقوس الزواج، فالبيض (1) مثلا قد يكون رمزا أو اشارة للا نجاب والعذرية والقمح رمز انجاب الذكور و الماء رمز لانجاب البنات ، أما الحنـاء فهي ذلك الحامي أو الحافظ من الشر و الا ذى ،غير أن الجدير بالذكر أن ما يتعلمه الطفل القبائلي من كيفية السيطرة على نساء عائلته بالعدل و ذلك في الذكاء، يؤثر عليـه طول حياته ، اذ يصبح مولع بالسيطرة عليهن في شتى الميادين بما فيها الجنسي.

ان استقرار المرأة في بيتها يتعلق اذن أو هو مرهون بما سوف تعطيه لاسرة زوجهـا (انجاب في الا طار التقليدى الاول) و لذلك فان الزواج بالنسبة للرجل الذى لديه مكانتـه من قبل في الا سرة لا يأخذ في الحقيقة الا أهمية نسبية من وجهة نظر التقاليد فقط ، فـي حين ان المرأة و بما أنها محكوم عليها في كونها المسؤولة الاولى في عملية الا نجاب يكفـي في حالة العقم أن يبدلها بأخرى بكل سهولة ، و لذلك فان الفشل بالنسبة للرجل معوض أى يصلح بينما بالنسبة للمرأة فهو ضائع .

لذلك نجد العقم بالنسبة لها أكبر شر لانه يفقدها المكانة التي من المفروض أن تتحصـل

---

(1) أنظر الا سطورة الاولى في الملحق .

عليها بالانجاب الذى يعطيها أيضا فرصة أو حظ للوجود لان الزواج من المنظور القبائليليس له حظ للا ستقرار الا في حالة وجود العقد تقليديا كاملا لانجاب المرأة و ملا المنزل بالاولاد.
فالمرأة الولود مقارنة بعناصر المنزل في الا دب الشعبي القبائلي هي (ELSAS) هي(الساس) أو الحجر الا ساسي(TIGEDIT) لان الفرد يعرف أو يحدد باسرته و تحدد شخصيته ووجودها بها فبدونها لا دور له في المجتمع لان الا سرة كما سبق وأن ذكرنا هي وحدة الانتاج .
ان الا سرة القبائلية مثلما تبدو أو تظهر في الا ساطير لها كرئيس للمنزل " الاب "
(BAB BOUHHAM) وهو الذى يظهر في الجمل الاولى في الحكايات و الا ساطير معـــــا، دون أن يكون أحيانا هو البطل الا ساسي (و أ رقاز بوخام) أو رجل المنزل هو القائـــــم بادارة شؤون المنزل الخارجية و في المقابل وجود من جهة الاناثأو المرأة التي تقـــــوم بدورها بادارة الشؤون النسوية سواء داخل أو خارج المنزل، و لعل الشيء الذى أعطـــــى لرب العائلة وزن كبير في القرية هو كون الاسرة و سيلة فعالة و ناجحة في المجتمعالقبائلي التقليدى المحافظ و المنغلق على نفسه ، حيث يتصدى لكل تغير أو تأثير خارجي هذا بالاضافة الى كون الرجل يقوم بدور الوسيط بين أسرته و المحيط الخارجي و كذا الا تصال و المحافظة على التقاليد و الا عراف و الارث الثقافي للا جداد .
تجدر الا شارة الى ما يميز العلا قة الا جتماعية المتمثلة في الزواج في المجتمع القبائلـــي، هو صورته الممزوجة بالخيال و الخرافات، و المرأة يحكم جهلها و انعدام خبرتها و عزلتهـا هي أكثرأ فراد المجتمع القبائلي تجاوبا مع مثل هذه الا فكار و أكثر ميلا لتصديقها و العمل بها اذ أن الا عتقاد السائد في الا وساط الشعبية القبائلية هو أن الحالات العصبيـــــــة أو النوبات النفسية يسببها العفاريت والجنون التي تركب المريض، و الجن عامة هو قـــوة مؤذية شريرة تجلب النحس و المرض و الفشل و تنشرالرعب و خاصة بين النساء اللا تـــــي يعشن في خوف دائم منها، و حسب رأيهن فان هناك فئات معينة من الناس أكثر عرضـــــة للجن من غيرهم : الا طفال الحديثو الولادة، و المرأة النفساء و العريس و عروسه .
ما تزال المشاكل الا جتماعية (الزواج، الطلاق) و المحبة و الكراهية (1) تلعب دورا أساسيا في جعل و ابقاء على هذا الزواج للخرافة و ذلك نتيجة للا نغلاق الا جتماعيـــي اذ أنه و في ضوء العلم الحديث فان الحفلات و ما يتخللها من تحلل و خاصة لـــــدى النساء يمكن تفسيرها على أنها تعبير عن حالات الكبت الجنسي و النفسي و ما ينجـــــــم عنهما من اضطرابات عضوية و نفسية ثم أن المرأة بصفتها العضو الا ضعف في المجتمـــــع

---

(1) أ نظر الا سطورة الخامسة في الملحق.

و المعتمد اقتصاديا على الرجل و غير المالكة لمستقبلها الا من خلا ل رضاءالرجل، ترى نفسها مضطرة الى اللجوء الى سلوكيات تخالف ما يفترض أن تراعيه من قيم كل ذلك في سبيل تحقيق ما يتوقع الرجل أن تحققه له و نعني به هذا الحمل و الا نجاب،و لا شك أن التقاليد الا جتماعية المتزمتة و القيم الا جتماعية المزيفة و المتعفنة حين يمتزج بالجهل و الخرافة و الكبت الا جتماعي، تدفع أ فراد المجتمع الى استخدام مختلف الوسائل بشكل سرى من أجل المحافظة على مظاهر مقبولة في العرف الاجتماعي يساعدها على ذلك كون الخرافات ممتزجة بالدين مما يجعلها أكثر قبولا في الذهن الاجتماعي .

لكننا اذا أخذنا بعين الا عتبار أن المجتمع العربي بطبيعته غني بالمشاكل الصحية و الا جتماعية و الا قتصادية و بأن أيضامستويات التقدم ما زالت منخفضة من حيث النوع و ضئيلة من حيث قدرتها علي مواجهة الكم، و اذا أخذنا بعين الا عتبار أيضا أن الا نسان العربي مازال يجد صعوبة كبيرة في عرض مشكلا ته على الا جهزة بسبب انخفاض مستوى الكفاءة من ناحية لدى القائمين على ادارة هذه الا جهزة و لطغيان عدد المواطنين على امكانية هذه الا جهزة،ندرك أن كل هذا له أثره الواضح في التركيب العقلي للا نسان، غير أنه ومع أن الذهنية الخرافية كانت دائما في الماضي و ما تزال تشكل خطرا كبيرا على نمو المجتمع و تطوره و تقدمه الا أن الفوارق الثقافية والحضارية و العلمية بين المجتمعات لم تكن كبيرة كما هي في هذا العصر.

التعليق و التأويل السوسيولوجيين :

لا نستطيع فهم شيئا من الطقوس الخاصة بالزواج القبائلي انطلاقا من التعريف العالمي لوظائفه كعملية مقدرة أو موجودة لتأكيد اعادة الا نتاج البيولوجي للفوج حسب الا شكال المبرهنة عليه عالميا .

اننا نقر هنا أن هناك في المجتمع القبائلي نوعا من العصبية بين الوحدات الا جتماعية ، و نقصد بها تعصب أفراد الوحدات التي كان يتألف منها المجتمع اذ ذاك كا لقبيلة و العشيرة و البطن و الفصيلة و العائلة لبعضهم فيما يكون بينهم من مصالح مشتركة و نصرة بعضهم البعض حمية و أنفة و ذبا عن هذه المصالح معنوية كانت أو مادية وقد كانت هذه العصبية (عصبية التقاليد) (1) شديدة قوية و ذات أثر كبير في التوازن بين قوى الجماعات التي كان يتألف منها المجتمع، و في دفع الناس بعضهم لبعض و صيانة حقوقهم و كرامتهم و حياتهم بحيث أنه من الواجب على كل فرد منفردا كان أو مجتمعا مع غيره من التضامن في الدفاع على سمعة الوحدة و شرفها و مصلحتها المشتركة و الا نتصار لها ممن يكون قد اعتدى عليها، و بكلمة واحدة ان ذوى الا رحام و القربى كانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين حتى و لو كانوا متغايرين في العقيدة و الميول. ان ظاهرة الزواج في المجتمع القبائلي مبنية على أساس اعتقادى خرافي فأسفل مثلا (ASFEL) هو طقس (RITE) خاص بالطرد ، و فيه يحمل الساحر البيض و يديرها على الشخص المعني بالامر و عنصر البيض يظهر تقريبا في كل الطبخات السحرية و خاصة منها المتعلقة بالا نجاب و الزواج (في الحناء) و في ليلة الزفاف، و تأخذ العروسة البيض و تكسره على حافة الباب و تدخل و هي على ذراعي رجل من عائلة أو أسرة زوجها الى بيتها الجديد، و معنى البيض المكسور في يوم الزفاف يبدو أو يرمز من للا نجاب المضمون حسب رأيهم .

تبدو هذه الترجمة و اضحة في صيغة قبائلية " الميت يخرج من الحي ، و الحي يخرج من الميت" و الميت هنا هو البيضة مخرج الدجاجة التي تولد و تساهم في ولادة الفرخ من البيضة التي تعطيه الحياة و الوجود، في كل نسق رمزى البيضة تمثل في الفكر القبائلي سر الحياة و الموت على شكل تناقض جدلي مقابل الزيت الذى يظهر في الا فعال السيئة والتي تسبب الموت في كل الحالات و لكن هذه الحوادث (للتسمم) لا تكون دائما بسبب أغراض اجرامية لان المواد السامة تدخل في جرعات منظمة ، في تحضيرات الوصفة السحرية : مثل السحر الموجه

---

(1) هذا النوع معروف بمفهومه و المقصود به هو التعصب للعادات و التقاليد المتوارثة و شدة التمسك بها .

لغرس الحب المستعمل فيه سم الثعبان (1) غير أن في الا سطورة مستعمل لغرض معاكس (الكره) و أما العسل فللكره بحيث تربط الساحرة أو تفسخ العلا قة الزوجية و قد تنظم الزواج بين طرفين أو تسبب الطلا ق و تؤثر على العالم والمجتمع و هذا ما يعطيها نوعا من الحرية في التصرفات .

يظهر السحر كاستمرار للطقوس اليومية و التي تكرارها الغالب هو التكاثر أو الا نجاب و يتعلق الا مر هنا قبل كل شيء بضمان مستقبل الفوج الذي تترأسه المرأة أو الذى فيه هي المسؤولة الكبرى ، وهذا السحر ينادى للقوات الميتافيزيقية المباشرة والممكنة الخاصة بكل فرد و يستند على التجربة و الطقوس اليومية للحياة المحلية .

---

(1) أنظر الا سطورة الأولى في الملحق .

الطلاق و المشاكل الاسرية في المجتمع القبائلي :

الطلاق حل عقدة و بت حبال و تمزيق شمل و زيال خليط، و انفضاض سامر، فيه كل ما في هذه المركبات الاضافية التي استعملها شعراء العرب، فاذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الانسانية في أحدهما أو عليهما و لم يقم القفل وحده أو مع الحكمين باصلاح ذات البين، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسي، و هو الجمع بين قلبين لم يأتلفا و طبعين لم يتحدا و روحين لم يتعارفا لذلك شرع لهما الطلاق ليستريح اليه من ضاق ذرعا بصاحبه، ضيق معقولا بدواعيه و أسبابه و لما كان من بعض أسباب الطلاق ما يزول فتتجاوب النفسان من جديد و شرع الاسلام تلك الملطفات و تحفظ خط الرجعة، و يخرج الرجل الى السوق مثلا أو يجلس في المقهى و يختلف مع آخر في شأن جليل فيحلف أحدهما أو كلا هما بالطلاق حانثا فتكون النتيجة خراب بيت و تمزيق أسرة و تشريد بنين و تقطيع أرحام و تكوين فتنة ، ان الطلاق آفة اجتماعية خطيرة ليست جديدة في عصرنا الحالي بل هي قديمة قدم الانسانية اذ كان من عادة الجاهلية أن يقول الرجل لزوجته اذا طلقها : " حبلك على غاربك " اى خليت سبيلك فاذهبي حيث شئت ، و كانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة فكان أحدهم يطلق زوجته واحدة و هو أحق الناس بها و كان الزوج يحل عليه أن يرد زوجته متى يشاء بشرط أن تتزوج بعد الطلقة برجل غريب يطلقها بعد الاقتران ، و الطلاق و قتئذ يعني تنازل الرجل على حقوقه كلها التي كانت له على زوجته ومفارقته لها . و هناك طلاق آخر هو ما يسمى بالظهار و قد نهى عنه الاسلام وأوجب الكفارة عمن يظاهر و هو يعني الطلاق لاظهار للناس كما كان من عادة الجاهليين اهمال الرجل زوجته فلا يراجعها و لا يطلقها ، و يظل مفارق لها الى أن تدفع له مالا فيطلقها و هذا هو العضل . كما كان الجاهليون الرجال لا يتركون زوجاتهم بعد تطليقهم لهن الزواج ابدا حتى وان طلبو هن للزواج .

ان طريقة طلاق المرأة لا كلام فيها و لا خطاب بل بالاشارة فقط (مثلا تحويل اتجاه الباب من المغرب الى المشرق وعندما تطلق المرأة زوجها تترك البيت الى أهلها، و الالفاظ المستعملة للطلاق هي ، فارقتك، سرحتك، (البرية) وكان يحدث لاتفه الاسباب كمن تلد بنات فقط أو تلد بنات أكثر من البنين ، و أحيانا و حينما يغضب الزوج يطلق زوجته فيندم و يسترجعها .

- صورة توضح الطلا ق و تشرد الا بناء في المجتمع القبائلي .

و كان من يطلق ثلا ثا حتى تحرم و لقد و افق عليه الا سلا م و اعطى الحق في الطلا ق لكلا الزوجين ، و هو أبغض الحلا ل عند الله (1).

أما في الا سلا م فللطلا ق حدود وهذا هو طلا ق السنة ، كما يوجد طلا ق البدعة الذي لايأخذ بعين الا عتبار شروطه الا سلا مية .

ان ا سباب الطلا ق لا تحصى الا أن أغلبيتها تكمن في تعدد الزوجات بحيث لما يتزوج الرجل على زوجته الاولى تحس و تشعر هذه الا خيرة بأنها عب ء ا على الا سرة و لا أساس لها في الوجود مثلما حدث في النص الخامس (2) بحيث أصبحت الزوجة الاولى و أولا دها مهمشين بسبب زواج الاب و ان كان هذا مختلفا نوعا ما بسبب وجود اثر السحر، و كذلك آفة العقم التي تصيب المرأة فيضطر الرجل لاحضار زوجة ثانية حتى لو رفضت الاولى، مخالفا في هذا موقف الشريعة الا سلا مية الذى يعطي أهمية كبرى لرأي الزوجة الاولى في اعادة الزواج ، هذا بالا ضافة الى عامل عدم الا نسجام بين الزوجين وعدم القيام بالمهام الزوجية مما يتسبب في حدوث الشجار والنزاع الدائمين و كذلك المرض المزمن لاحد الزوجين ، و الخيانة الزوجية أو كبر السن و سوء الحالة الا قتصادية التي تلعب دورها الفعال فيتسبب في سوء المعيشة للزوجة و أبناءها هذا مع الا ختلا ف في المستوى الثقافي والوضع الا جتماعي الذى يشعر فيه الطرف الا مي أو ذو المستوى التعليمي الضعيف بالا حتقار و النقص فيتعقد ويصاب بالغيرة على الطرف الا خر، كما يتسبب في الطلا ق أيضا ضعف الوازع الديني لاحد الزوجين مما يؤدى الى سوء الا خلا ق و بالتالي انحرافه عن واجباته المنزلية ، و كذلك عمل المرأة و شعورها بالحرية والا ستقلا ل وعدم فهم هذا من الزوج عادة فيتسبب في الشجار الدائم بينهما .

الى جانب كل هذا هناك نوع من الطلا ق الفريد من نوعه وهو ما يسمى بالهجر بحيث يهجر الزوج زوجته بأن يمتنع عن الكلا م معها أو يعرض عنها بوجهه و هذا من أشد الا ضرار في الا سلا م لانه حرام و لذلك يكون من الضرر الذي يجوز التفريق بينهما اذا طال الهجر لمدة لا تحتملها المرأة ، ولها حق طلب الطلا ق ايضا في هذه الحالة .

و قد تطرقت الا ساطير المتناولة بالدراسة الى هذا النوع من هذا الطلا ق أو الانفصال، الهجر (3) بحيث تم تهميش الزوجة و هجرها دون التحدث معها أو اشارة من زوجها ولا حتى نظرة و رغم ذلك لم تطلب الطلاق بل حاولت ارجاعه لها بشتى الوسائل.

---

(1) سورة النساء الاية (35) .
(2) الا سطورة الخامسة في الملحق.
(3) أنظر الا سطورة الخامسة في الملحق.

و الا سطورة الثامنة (1) ايضا حيث ترك الزوج زوجته دون أن يطلقها وهذا ما يسمى (العضل) كما أشرنا اليه من قبل .

---

(1) انظر الملحق .

التعليق السوسيولوجي :

ان التعبير بأن الطلا ق حلا ل مبغوض الى الله ، يشعر بأنه رخصة شرعت للضرورة حين تسوء العشرة ، و تستحكم النفرة بين الزوجين و يتعذر عليهما أن يقيما حدود الله و حقوق الزوجية وقد قيل : اذ لم يكن و فاق ففراق ، و قال تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) (1) و الطلا ق بغير ضرورة تقتضيه و بغير استنفاذ الوسائل الا خرى التي ذكرناها طلا ق محرم محظور في الا سلا م لانه كما قال بعض الفقهاء ضرر بنفسه و بزوجته واعداد للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة اليه ، فكان حراما كاتلا ف المال .

منح الا سلا م للمسلم ثلا ث تطليقات في ثلا ث مرات علما بأن يطلقها كل مرة في ظهر لم يجامعها فيه طلقة واحدة ثم يدعها حتى تنقضي عدتها ، فان بداله أن يمسكها في العدة امسكها وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها امكن أن يردها اليه بعقد جديد وان لم يكن له فيها غرض لم يضره أن تتزوج بزوج غيره فان اعادها الى عصمته بعد الطلقة الاولى ثم حدث بينهما النفور و الشقاق مرة ثانية ، و ان عجزت الوسائل الا خرى عن تصفية الجو بينهما فله أن يطلقها للمرة الثانية وله أن يراجعها في العدة بغير عقد أو يعيدها بعد العدة بعقد جديد فاذا عاد فطلقها للمرة الثالثة كان هذا دليلا واضحا على أن النفرة بينهما مستحكمة و الوفاق بينهما غير مستطاع لهذا لم يجز له بعد التطليقة الثالثة أن يردها اليه و لا تحل حتى تنكح رجل غيره زواجا شرعيا صحيحا مقصودا لذاته لا لمجرد احلا لها للزوج الاول .

و من ذلك نرى أن المسلم الذى يجمع هذه المرات الثلا ث في مرة واحدة قد ضاد الله فيما شرعه و قد صح أن رسول الله (صلعم) أخبر عن رجل طلق امرأته ثلا ث تطليقات جميعا فقام غضبان ثم قال : " أيلعب بكتاب الله و أنا بين أظهركم ؟ ".

يحدث الطلا ق في المجتمع القبائلي كما هو مشار اليه في النصوص والقصص الشعبية غالبا بنفس الطريقة الا سلا مية بحيث يتفوه الزوج بالجملة :

" RUH, BRIGKEM "

" اذهبي انني طلقتك " و تجيب المرأة :

"RUH , SELLEMEG AK " " أى " اذهب انني سامحتك "

فتذهب المرأة الى بيت اهلها غاضبة في أغلب الا حيان لانها تعلم نظرة المجتمع القبائلي

---

(1) أنظر سورة النساء الا ية (120).

اليها بعد ذلك حتى وان كان الرجل هوالمخطىء، وهذا طبعا راجع للمكانة التي يحتلها كل واحد منهما في هذا المجتمع و في أفكاره (1).

ولذلك فانالمرأة القبائلية المطلقة تظل محل شكوك و بغض في مجتمعنا و لن تتزوج مـــرة أخرى الا نادرا لانها تكون ملوثة و يخاف منها كل الناس ظانين أنها شريرة أو ساحرة أو امرأة خائنة الا أن ما نلا حظه في النصوص (2) هو اعادة الزواج من نساء شريرات وساحرات في أغلب الا حيان تسيطر على الرجل بالسحر والحيلة كما هو واضح.

تكون النتيجة تشرد الا بناء بسبب فقد انهم للحنان و معاملة زوجة الا ب لهم حيث نلا حظ في الا سطورة الخامسة مثلا تشردهم و تهميشهم مع الوالدة، و رغم ذلك تحملوا كل أذى الزوجة الجديدة حتى فرج الله على الوالدة بالحرباء كوسيلة للتخلص منالمشكل و الحالة التي كانت تعيشها و بالتالي بزوال السحر و تحقيق السعادة في بيتها مع تحطيم الشر و الساحرة الماكرة و باسترجاع الا ب، كما نلا حظ أنها أقسمت ثلا ثا بأخذ الحرباء دائما معها واستعمالها فـــي و قت الشدة لتخليص أو انقـــاذ أفراد أسرتها، و ذلك طبعا بحكم طبيعة المرأة في تمسكها بالاسرة التي تثبت عن طريقها وجودها و شخصيتها معا حتى و لو كان ذلك بالوسائل المحرمة (السحر).

ان هذه النصوص (3) المتناولة بالدراسة استعملت اللغة العامة (القبائلية) و أسلوبـــا شعبيا لا محالة كعبارة " الله و حده يخلق الروح " (4) و الجملة القسمية التي تلفظـت بها الزوجة الجديدة في الا سطورة الخامسة !! أعهذغكم أثاثا، يفضان أخلخال أفثلا ثـــة، أرندا اديغ ارتسدوض ييذى ".

و هي جملة سجعية كما نلا حظ ، اما البناء فانه يتسمبالوضوح والايجاز حيث يتجلى من خلال الرواية بناء محكم في تقسيم محدود بوصف الا حداث فالحوار ثم النهاية المأساوية أوالسعيدة في أ غلب الا حيان .

---

(1) أ نظر محور صورة المرأة والرجل في المجتمع القبائلي .
(2) انظر النص الخامس والرابع في الملحق.
(3) انظر الا سطورة الخامسة والعاشرة .
(4) الا سطورة العاشرة .

العلا قات الجنسية و قيمة العذرية في المجتمع القبائلي :

ان المنطق الوحيد الذى تقوم عليه العائلة القبائلية التقليدية ، هوتحضير الفتاة متعلمة كانت أم غير متعلمة للزواج . لانالمجتمع الجزائرى كما يقول بو تفنوشت : (1)(مجتمع رجالي يفرض قيمه على المرأة وهي مجبرة بأن تتمثل لها و تلتزم بها و يعد الخروج عن هذه القيم خروجا عن الا خلا ق ، والعقاب الذى تلا قيه هوالتهميش) وهذا بالاضافة الى القيمة الكبيرة التي تحتلها العذرية في المجتمع القبائلي خاصة اذ أنه " لامر خطير أن لا تكوني عذراء يا فتاة ، لا تستطيعين ان تتزوجي لان زوجك في ليلة زفافك سيكتشف الامر و يخلع عنك ثيابك أو يلبسك ثوبا ممزقا و يرجعك الى والديك على ظهر حمار ، والكل سوف يضحك على شرف عائلتك الذى لا يرجع أبدا " هذا هو الخطاب الا رهابي الذى تتوجه به الام القبائلية الى ابنتها في المجتمع القبائلي منذ صغرها ، في حين يتعلم الرجل القبائلي منذ صغره كيف يسيطر على المرأة في الميدان الجنسي، و لذلك تعد العذرية عنصرا أساسيا جدا في الحياة الا جتماعية القبائلية الا أننا نقول أنه من سنن الله أن خلق الانسان ليستخلفه في الا رض ويستعمره فيها ، و لن يتم هذا الا اذا بقي هذا النوع واستمرت حياته على الا رض بأن يزرع و يصنع و يبني و يعمر ، و يؤدى حق الله عليه ، و لكي يتم ذلك ركب الله في الا نسان مجموعة من الغرائز أو الدوافع النفسية تسوقه سلطانها الى ما يضمن بقاءه فردا ونوعا . و الغريزة الجنسية التي بالا ستجابة لها ، يبقى نوعه ، قوية في الا نسان ،و من شأنها ان تطلب متنفسا تؤدى فيه دورها و تشبع نهمها ، لذلك كان لا بد للا نسان أن يقف أمامها أحد مواقف ثلا ثة .

فاما أن يطلق لها العنان تسبح اين شاءت و كيف شاءت بلا حدود توقفها و لا روادع تردعها من دين أو خلق و لا بالفضيلة و في هذا الموقف انحاط للا نسان الى مرتبة الحيوان وافساد للفرد و الا سرة و الجماعة قاطبة .

و اما أن يصادمها و يكبتها ، و في هذا الموقف و أد للغريزة و تعطيل لعملها .

و اما أن يضع لها حدودا تنطلق في داخلها دون كبت و لا انطلا ق مجنون ، كما هو الشأن

---

(1) القول مأخوذ من احدى مذكرات نهاية الليسانس و مصدره غير مذكور.

- صورة توضح مشكل العلاقات الجنسية و قيمة العذرية في المجتمع القبائلي .

في الا ديان التي شرعت الزواج وخصوصا الا سلا م الذى اعترف بها فيسر سبيلها الى الحلا ل و نهى عن اعتزال النساء والزنا، لذلك بالنسبة للا سلا م لابد من رجوع المرأة الى الحجاب اى الى لباس يمنع من ادراكها كموضوع جنسي ،الى لباس يبقى على حرمتها وعلى رسالتها، وهي اعادة انتاج الا نسان المسلم.

هناك آيات قرآنية كريمة تدل على علا قة جنسية تراتبية تفضيلية (الرجال قوامون على النساء) (و للنساء عليهن درجة)(انا خلقنا كم من ذكر و أنثى....) لكنها حسب القراءة السلفية (محمد عبدﻩ، و رشيد رضا) لا تحيل على الشرط النسوىالعام لتفيد دونيته وانما تقتصر على تحديد أساس التعامل بين الجنسين في قضيتي النفقة والطلا ق، وهناك أيضا أولوية الصراع الجنسي اذ أن جهود المرأة التحررية لا يمكن لها ان تنتظر مساعدة من الرجل او تفهما منه، فالرجل هو العدو الا ول والاخير انه العدو الا ساسي الذى لا يتنازل عن امتيازاته الا جتماعية لانها في نظره معطاة بيولوجية غير قابلة للتجاوز.

انطلا قا من هذا الطرح النسواني تدرك الثورة السياسية و الا قتصادية كفعل غير كاف و غير ضرورى من أجل تغيير العلا قات الجنسية،بل يمكن القول أن الثورة لن تنجح دون تغيير سابق للعلا قات الجنسية داخل الا سرة، غير أنه لا يوجد نساء اتفقن في اطار تجمع على رفض التعامل الجنسي مع الرجل لا وجود لنسوانية متطرفة شاملة ، لاوجود لتجمع نسوى تتفق داخله النساء على رفض الزواج، على رفض العلا قة الجنسية مع الرجل على رفض الانجاب، لا وجود لدعوة تنادى النساء الى الا كتفاء بالانجاب بطرق اصطناعية، فهناك اذن عدم الفصل بينالجنسين،عدم رفض الحجاب عدم رفض الموضات اللباسية و بالتالي القبول الفعلي للممارسات الجنسية .

ان الحادث الجنسي كحادث علمي مبني من خلا ل أفعال معرفيةمتعددة يسمح بالتحكم المعرفي في حقل من أجل تـر شيده و عقلنته ، بالا ضافة الى ذلك لا يتعلق الحادث الجنسي بالمرأة وحدها وانما يدخل الرجل كذلك كبعد مؤسس في تأسسه (الحادث) انه حادث يعني بالمرأة والرجل كعلا قة جنسية أى كعلا قة اجتماعية شاملة ذات أبعاد و مستويات متعددة في درجة معينة من التطور و الاختلا ف من مميزات مفهوم (الجنسي) امكانية تجاوز ثنائيات الحلال / الحرام، السوى / الشاذ في كل تمظهراتها المؤسستية .

التحليل والتأويل السوسيولوجيين :

توضح لنا الا سطورة العاشرة (1) قضية الشك في شرف النساء الموجودة بكثرة في المجتمع القبائلي بحيث يبدو لنا الجدل بين القانون العرفي المتمثل في مؤسسة (تاجمعت) (الجماعة) التي حكمت على النساء اللواتي ضيعن شرفهن بالموت والاعدام دون رحمة رغم أن الخطـــأ راجع للعفاريت و ليس ذنبهن ، و بين القانون الا سلا مي أو الشريعة الا سلا مية المتمثلـــة في القاضي (بشيخ نتدرث) الذى فهم الوضعية و فهم أنهن لسن مخطئات لانهن تم اغتصابهن بالقوة ،والمتمثل بدوره أيضا في السلطة العليا ، والذى كان يعطي في كل مرة للنساء فرصـــة للبقاء و الوجود، فالقاضي هنا في النص يمثل الحضارة ، و الوقت المعاصر، في حين تمثـــل (تاجمعت) الوحشية و البدائية .

ان التنظيم هنا يلعب دوره في انقاذ النساء و ابناءهن الا أن قضية الشرف تبقى محافظـــة عليها من طرف المجتمع القبائلي ، و يعتبر رجال الا سرة (الاخ،الاب،العم،الجد) مسؤولـــون عن هذا الشرف، و توجد عبارة مفهومة لديهم و هي "يجب غسل الشرف بشرب دم المرأة اى قتلها " و لذلك لا نجد أثر لتسامح في المجتمع القبائلي فيما يخص الممارسة الجنسية الغيـــر شرعية فمثلا حدث في منطقة القبائل الصغرى عام 1980 في احدى الدشرات قرب قرية (تازملت) أن فقدت أرملة شرفها مع أخ زوجها ، فحاولت الا جهاض بعد الحمل عدة مرات لكنها فشلت. و لما أنجبت الرضيع أ خذته و الدتها و خنقتهثم دفنته مما تسبب في مرض الا م كثيرا و طرحت الفراش، لكن بعد أسبوع حضر أخوها و أعمامها الكبار ليلا و أخذوها لمكان بعيـــد أين تم قتلها مع علم والدتها بالامر من قبل .

و بعد أيام حضر ابنها الا كبر و هو طالب بالجامعة سأل عن والدته مرات و مرات فقيل لـــه أنها عند الا قارب لمدة طويلة ، لكن الا بن شك في الا مر و أخذ يسأل الناس حتى عرف الحقيقة من أحد الزملا ء فقرر العودة فورا الىولاية (تيزى وزو) مقر الدراسة اين انتحر ملقيـــــــا بنفسه من الطابق الرابع . و يقال أن المجرمين لم يأخذوا أى عقاب لانهم غسلوا شرف العائلة بشربهم لدم المرأة حسب اعتقادهم .

كما و قع في 1977 أن فتحت احدى الارامل بطن ابنتها التي كانت تبلغ العشرينات من العمر، لانها اعترفت لها أنها حامل و كانت تنادى أهل القرية كلهم مصرخـــة :

---

(1) أ نظـــر الملحـــق.

" انظروا كيف سأ رجع الشرف لروح زوجي المتوفي " لان النار أفضل من العار حسب مثلهم الشعبي السائد و المنطبق في الواقع القبائلي .

يعتبر الحمل في المجتمع القبائلي صورة عن جمال المرأة ، لان بطن الانثى ووظيفته الاساسية المتمثلة في الحمل و الا نجاب دليل و رمز عن ا لتكاثر و سيرورة و حمل اسم العائلة و يحتل أهمية كبرى في الغزل و الحب و لذلك يعتبر العقم آفة و مشكلة اجتماعية بالنسبة للمرأة لانها سوف تكون عالة و عبء على الا سرة وزوجها الذى يفقد مكانته في المجتمع ويصبح محل لؤم و سخرية أصحابه ، الا أن للحمل حدود شرعية و المرأة التي تتعداها تلا قي مصيرها المتمثل في القتل دون رحمة أو شفقة ، لذلك نلا حظ كيف كان حكم المجتمع على النساء اللواتي فقدن شرفهن من طرف العفاريت في النص العاشر، كما نلا حظ كيف كان مصير الفتاة المسكينة التي رماها أخوها لمجرد أن شك في شرفها عندما أخبرته زوجته بذلك بتسميمها مما تسبب في انتفاخ بطنها كأنه حمل (1) ، و لذلك تعتبر الفتاة التي تفقد شرفها في المجتمع القبائلي فتاة ضائعة بحيث لا يتم خطبتها و لا تزويجها اذا نجت من الموت ، و تكون أ يضا محل استهزاء وسخرية لانها تلوث شرف كل العائلة الكبيرة ، و لعل ما يدفع الفتاة بصفة عامة في المجتمع القبائلي الى الانحراف هو انغلا ق هذا المجتمع بتحفظه الشديد في منعه و امساكه بالنساء عن انشاء العلا قات الا جتماعية العاطفية بالدرجة الاولى (كالحب و التعارف بالشبان أو حتى المراسلة أو الصداقة) و عن انشاء علا قات جنسية علنيا بحكم الدين الا سلا مي طبعا .

تلعب الا سطورة كوسيلة تعبير دور الصحف حيث تسجل حوادث مرحلة معينة تسجيلا يحمل انطباعات صاحبه ، في قلب شعبي باللغة القبائلية العامية لتلك المنطقة ، و لم يبق منها الا المواقف العجيبة الخارقة للعادة ، و تغيرت و ظيفتها بحيث أصبحت تعبر عن معتقدات غامضة تبث الرعب أو صارت مادة التسلية و الترفيه لا أكثر و لا أقل.

كانت المرويات تنقل في الا وساط الشعبية حيث تتداول باللهجات التي عاشت مع اللغة العربية في ذلك عيشة العامية اليوم مع الفصحي فأبقت فيها بعض العبارات و خاصة الدينية و أدخلت التعديلا ت على بعضها الا خر، مما أ لبست الحكايات الا صلية أثوابا مختلفة يصعب الكشف عنها لاول و هلة ، أما الخرافة السائدة فيها فلها مكان الصدارة في

---

(1) أنظر الا سطورة الاولى في الملحق .

البيوت ، والمنازل حيث يصبغ الا سطورة بصبغة عجيبة و خيالية بعيدةعن المنطق و يكثر رواجها في أية مناسبة جمعت أفراد العائلة و ضيوفهم ، وهذا النوع من الخرافة انتشر بصورة واسعة ، وهو الذى تركز حول الجن فقصصه تمثل نوعا فريدا في الرواية الشعبية لانها تروى مغامرات عجيبة حيث يعيش الا نسان البطل بصحبة مخلوقات غير بشرية تختلف اختلا فا جذريا وان اشبهته في بعض مظاهره ، و لكل خرافة روايات عديدة ومتنوعة تحتفظ بالفكرة المحورية بالشخصيات الرئيسية و ببعض الحوادث الـ هامة ، و تختلف في سرد هـا ، و حتى في نهاية الا سطورة و فقا لميول الراوى و طريقته ، فهو يضيف و ينقص حسب مـا أوحاه له خياله ، و يبدو أن هذا النوع من الا ساطير أكثر ها تغييرا و يرجع سبب ذ لـك الى طبيعة الجن نفسها المخفية واعتقاد الناس فيها و من الملا حظ أنه قد رأى البعض في الوقت الحاضر بأن الجن تمثل في التصور الشعبي العراقي مثلا،كائنات عاقلة شبيهة بالانسان ترى على شكل أ شباح و غالبا ما تسكن أيضا في بعض البيوت ، و منالجن من هو صالـح لا يؤذى الا نسان و انما يحرسه و يشاهد في الدار ليلا على شكل النور أو أنه يثير فيهـا روائح بخور و عطور زكية ، و منها الشرير ما يؤذى يعبث بالدار كأن يضرم فيها النار ، والانسان يخشى الجن و يخافه و منهم الذكور و الا ناث ، يتزاوجون و ينجبون و منهم من يتزوج بالانس كما هو معبر عنه في الا سطورة الرابعة (1).

نرى في الاوساط الشعبية القبائلية أن الا ساطير التي تدور حول الجن و العفاريت على العموم متأثرة بجميع المعالم و الصفات التي أخذت من فكرة الجن عند تكوينها ثم أثناء تطورهـا الطويل و يتجلى ذلك في الا دوار التي تلعبها الجن ، فتظهر و تختفي فجأة مثل الملك انزار(2)، كما نلا حظ في النص العاشر انتصار الخير على الشر بفضل تدخل هذه القوى الميتافيزيقيـة و الخارقة للعادة،لانه حسب بعض الرواة فان القاضي الممثل للسلطة والذى كان يعطي للنساء فرصا للبقاء ما هو في الحقيقة الا عفريت متنكر في جسم انسان، فكأن الطبيعة و نظامها العادى غير قادرين على حل المشاكل الا جتماعية الخطيرة .

---

(1) أنظر الملحق.

(2) أنظر الا سطورة التاسعة في الملحق.

تعدد الزوجات في المجتمع القبائلي :

الا سلا م دين يلا ئم الفطرة و يعالج الواقع، بما يهذبه و يبعد به عن الا فراط و التفريـــط، وهذا ما نشاهده جليا في موقفه من قضية تعدد الزوجات، فانه لاعتبارات انسانية هامـــة، فردية و اجتماعية أباح للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة، و قد كانت كثير من الا مم قبـــل الا سلا م تبيح التزوج بالحجم الكبير من النساء قد يبلغ العشرات، و قد يصل الى المائـــة والمئات، دون اشتراط لشرط و لا تقييد يقيد، فلما جاء الا سلا م و ضع لتعدد الزوجـــات قيدا و شرطا، فأما القيد فجعل الحد الا قصى للزوجات أربعا، ومن أسلم عن ثمانية وعـــن خمسة نهاه الرسول (صلعم) أن يمسك منهن الا أربعا.

و أما الشرط الذى اشترطه الا سلا م لتعدد الزوجات فهو ثقة المسلم في نفسه أن يعدل بيـن زوجاته في المأكل والمشرب و الملبس و المسكن و المبيت و النفقة، فمن لم يثق في نفسه بالقدرة على أداء هذه الحقوق بالعدل و السوية حرم عليه أن يتزوج أكثر من واحدة.

قال الله تعالى : " فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة " (1) و قال (صلعم) : من كانت لـه امرأتان يميل لاحداهما على الا خرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطا أو مائلا (2).

انطلا قامن فكرة كون الزواج و سيلة لزيادة عدد الذكور في المجتمع القبائلي و بالتالي تخليد اسم العائلة، فان انجاب و تكاثر امرأة واحدة كافي، لكن الواقع غير النظرى فـــي أغلب الا حيان حيث نلا حظ دائما تعدد الزوجات بدون سبب كأن تكون الزوجة لا تلـــد الا اناثا أو كان لا تكون جميلة أو غنية و غيرها، و يبدو هذا واضحا في علا سطورة الرابعة في الملحق حيث كان السلطان يعيد الزواج في كل مرة حتى وصل الى هدفه أى تنجب لـــه زوجته عفريتا و رغم ذلك لا أحد يذكر أن ذلك حراما، و نجد حرية تامة للا بطال في الاساطير كما نجد أيضا تعدد الزوجات الغير مقصود من الزوج مثلما هو واضح في النص الخامس(3) الذى تم فيه زواج الرجل بدون وعي و ذلك باستعمال وسيلة السحر من طرف الزوجة الجديدة و لكن مشكل أو قضية تعدد الزوجات ليس معبر عنها كثيرا في الروايات و الحكايات عكس و جودها في الواقع القبائلي المر الذى تتحمل فيه المرأة متاعب كثيرة دون أن ينقذهـــا أحد خصوصا اذا علمنا أن المرأة تترك بيت زوجها و لا حق لها في الزواج الا نادرا نظـــرا

---

(1) سورة النساء الا ية الثالثة .
(2) أهل السنن وابن حبانا والحاكم .
(3) أنظر الملحق .

- صورة توضح تعدد الزوجات في المجتمع القبائلي .

للصورة التي تحتلها في أذهان الا فراد، و لذلك نجدها تصبر و تفضل البقاء مع زوجة جديدة رغم عذابها و هذا ما تعبر عنه الا سطورة الخ امسة عندما لم تترك المرأة بيت زوجها رغم اعادة زواجه .

التأويل السوسيولوجي :

يبقى البدوى القبائلي محافظا على القيم العربية القديمة من شجاعة و ذكاء و حكمة ، ويرجع سبب ذلك الى كونه يعيش في بيئة لا تسمح الظروف فيها بالحياة السهلة بل تدفعه الى اجتهاد مستمر في اكتساب المعيشة .

ان الزمان قد دفع القبائليين الى أن يذودوا عن كيانهم الذى شعروا بضياعه و كأنهم يستعيدون عن طريق ذكر الا حداث الماضية ، خصائصهم المميزة و أصالتهم . و قد كان لهذا المقف الا خير أى الذود عن الكيان أثره البعيد في البئة التقليدية الموجودة في الا رياف و لعل هذا ما يدفع الرجل القبائلي الى فرض السيطرة على المرأة أكثر لاثبات وجوده بها .

تبدو هذه القصص أوالا ساطير خيالية وواقعية معا بحيث يندمج كلا العالمين فيها و تشبع على أ بطالها صفات ممتازة و أهمها التمتع بقوة عجيبة ترفعهم الى مكان عال لا يستطيع سائر الناس الا رتقاء اليه (1). الا أن الله دائما هوالمنجي و المنقذ حتى في الا ساطير بحيث نلا حظ في الا سطورة الخامسة كيف عثرت الزوجة الاولى على الحرباء كوسيلة لازالة السحر وهذا بالا ضافة الى صبر الفتاة في الا سطورة الاولى و ذلك بزواجها برجل صالح و عاشت سعيدة في حين أخذ أخوها و زوجته جزاءهما .

كما نلا حظ معاقبة الله للعجوزة الشمطاء(2) بسبب تكبرها على الطبيعة .

من الملا حظ اذن أن هذه الخرافة و أمثالها متأثرة بالتيار الا سلا مي في القيم بتناول شخصيات عادية مأخوذة من البشر لا من الملوك و الا مراء و ذلك ما يخلق في الخرافة الشعبية عالما أقرب الى الواقع الحقيقي منه الى العالم الخيالي الذى تصبغ الرواية بصبغة عجيبة وغير منطقية ، فهي بذلك موجهة أو موجودة لمجرد بث التشويق في اكمال القصة و روح الا ثارة و تمنحها جاذبية قوية لا بد منها

ان الخ يال الذى يشارك في تكوين تلك الخرافة خيال بسيط و مجرد من التعقيد يتأرجح بين الا حتفاظ بالتصور العجيب الذى ينبع من الحياة الا نسانية نفسها ، دون أن يبالغ كثيرا في خلق صور الحادثة ذلك ما يصبغ الخرافة بصبغة طبيعية تعطيها صفة حقيقية

---

(1) أنظر الا سطورة السابعة في الملحق.
(2) أ نظر الا سطورة السابعة في الملحق.

في زمان و قوعها، على أن الرواية الشفوية لا تهتم بالتفاصيل الموجودة في النص المخطوط لكنها تحافظ على الخطوط الهامة التي تركت أثرها في الانفس و القلوب.

أما أسلوبا السرد فيعتمد على عنصرين من بداية الا ساطير الى نهايتها و هما وصف الاحداث واستعمال الحوار و يمتاز وصف الا حداث بالبساطة و الايجاز فيكتفي بذكر أهم الحركات التي تقوم بها شخصيات الا سطورة وهو أسلوب وصفي من الدرجة الاولى و موجز في وصفة، أما الحوار فمن خلا له تتطور الا حداث.

أما استخدام النص لا هداف تعليمية فهو أمر طبيعي لما يحتويه من مثل و مغزى يشجع على الصبر على القدر (1) حيث صبرت الفتاة على ما أصابها من أخيها فنالت و عاشت سعيدة، و كذلك صبرت الوالدة على زواج زوجها عليها حتى رزقها الله بالحرباء التي أنقذتها من مشكلتها، و الايمان بالله و بقوته. وهي تمتاز بأهدافها الخاصة اما بقصد التسلية و اما بالافادة من مغزاها و اما بالتخفيف عن المكبوتات .

و ان ظهرت هذه الا ساطير ساذجة و سطحية في أغلب الا حيان فلا شك في أنها تلعب دورا هاما من حيث تأثير المغزى في تربية الا جيال الناشئة وان لم يظهر ذلك في أول وهلة .

تمتاز هذه الا ساطير بكثرة المغامرات الشيقة في علم ناء حيث يصيب البطل الغني والسعادة بصفة طبيعية وعجيبة معا بحيث يعيش معها المستمع في حياة خيالية تخالف حياته الواقعية و يتمتع من خلا ل هذا بقسط من السعادة مع البطل و أصدقائه، وهذا يبعده عن حياة الشظف التي تعيش فيها الا وساط الجزائرية عامة و القبائلية خا صة كأنها مهملة على هامش الحياة الا جتماعية نظرا للمشاكل الا جتماعية العويصة التي تتخبط فيها خاصة الارياف من عدم توفر الكهرباء والمياه و ما ينجر عن ذلك من أمراض و فقر و حرمان، و من الملا حظ أن من أهم الدوافع التي ساعدت على ا شاعة هذه الروايات هي اجتماعية بالدرجة الاولى وعلى العموم حيث عاشت الاوساط الشعبية القبائلية منها بالخصوص كما ذكرنا مأساة تاريخية طويلة هدمت آوضاع البلا د بآجمعها فكان تأثيرها العميق في الميدان الا جتماعي قويا، فأحست هذه الا وساط بحاجة ما سة الى و سائل تفتح لها المجال للتعويض عما كان يحوزها من حقوق وطنية وانسانية قد اغتصبها منها المحتل الذى حل فيها محلها مدة تاريخية طويلة فالتجأت الى رواج الا سطورة لما كانت تجد فيها من تعويض و تعديل وسلا ح للمحافظة على شخصيتها و الدفاع على ابقاء كيانها المهدد .

---

(1) أنظر الا سطورة الاولى و الخامسة .

تمتاز الا ساطير في الغالب بنجاح البطل في النهاية و ادراك ما يحلم به المستمع في أن يتمتع به كي يهرب من حياته الواقعية التي لا تسمح مطلقا ببلوغه الا في الحلـــم ، و الا سطورة طبعا .

و هذا البطل لا يدرك أهدافه الا بالحيلة الشريرة و المبادىء الا سلا مية أحيانا لكن فـــي أغلب الا مور بالطريقة الاولى وهي السحر (1) وهذا مطابقة مع الواقع أكثر من الطريقـــة الثانية المثلى في زمننا وهذا بطبيعة الحال نظرا لعدم تلا ؤمها أو لموقفها المضـــاد من السحر كشرك وهرطقة و كفر، ذلك ما يجعلها قصة واقعية تعالج قضية من قضايا الحيـــاة الا جتماعية و تحاول أن تعتبر على حل مشاكلها بوسائل حقيقية و تبدو قصة واقعية أيضـــا من خلا ل عالمها القصصي حيث يتحرك بطلها أو أبطالها في العالم العادى (2) الذى يعيش فيه الناس و أحيانا نجدها وهمية في تصورها و في خلق عالمها ، بحيث هوعالم أخـــر غير محدود في الزمان والمكان (3) كما يتجلى في الا ساطير المغزى الخلقي التعليمي كالصدق و الو فاء و الخير الذي يكافىء صاحبه في النهاية و ذلك انطلا قا من مبدأ " من يفعـــل خيرا يجده " .

أما المرأة فتظهر في كل هذه الا ساطير تقريبا في دور العجوزة أوالشابة الماكرة التي تتقن جميع أنواع السحر و ازالته فاما أن تساعد الشياطين و تدمر البشرية و أعز الناس لديهـــا ، و اما أن تتقن السحرلغرض آخر .

---

(1) أ نظر الا سطورة الخامسة والثامنة .
(2) أنظر الا سطورة الاولى.
(3) أنظر الا سطورة الثالثة .

التضامن والتماسك الا جتماعيين :

" الا نسان مدني بالطبع " كما يقول ابن خلدون ، بما أن الا نسان أشرف الموجودات وأنبلها لهذا كان أجدر من غيره بهذا التعاون والتضامن الا جتماعيين لانه يسوقه اليه دافعـــان: دافع من الطبيعة ، و دافع من العقل . أما الا ول فهو أن يشعر بالشوق الى غيره من الموجودات لحاجته اليها ، فحاجته الى بني جنسه عظيمة جدا لانه يستطيع أن يعمل مستعينا بهم ، مالا يقدر عليه منفردا و حاجته الى غيره تشتد أو تضعف بنسبة ما تقتضيه اياه تكاليف الحياة الصعبة. فالا نسان محتاج في حياته الى كثير من الكائنات فهو و فير الحاجات، كثير الضروريات لذلك كان شعـوره نحوها ضروريا طبيعيا .

و أما الدافع الثاني فهو بعد أن يرى حاجته الى غيره يعلم أن هذه الحاجة طبيعية لا مندوحة له عنها ، لذلك يسعى العاقل بدافع من عقله و دافع من طبيعته الى التعاون مع غيره لعمران هذا الكون .

ان تعاون كل أمة أفرادها و جماعتها سر بقاءها و ينبوع حيـاتها ، و مصدر قوتها و آية عزتهـا و هو دم الا مم الحية الجارى في عروقها ، فالامة التي فيها جذور الغيرة على مصالحها هـــي الا مة المتعاونة و المتقدمة . ان التعاون الا جتماعي بين الا فراد في القبائل متين جدا ، و يظهر جليا في التمسك والحفاظ على العادات و التقاليد والقيم الدينية بصفة خاصة ، ولعـل هذا ما يعبد عنه " دور كايم " بالتضامن الا لي الذى كان يسود في المجتمعات البدائيـــة و الذى تلعب فيه الطقوس الدينية الدور الفعال في خلقه ، فنلا حظ اذن هنا تضامن ليـس في محله اذ من المفروض أن يسود هذا المجتمع خصوصا في الوقت الحالي المعاصر تضامنـــا عضويا يلعب فيه تقسيم العمل الدور البارز ، كما يقول (دوركايم اميـــــــــــــل) و لكننا نرى العكس بحيث التضامن الالي اليوم قويا و يزداد صلا بة يوم بعد يوم اذ نجـــد العادات و التقاليد والممارسات السحرية هي المحركة لبنية المجتمع القبائلي وهذا مايسميه (ابن خلدون بالعصبية) .

ان المجتمع الا نساني جسم تجمعه و حدة المصلحة المشتركة و أعضاؤه جماعاته التي يتكون منهـا و لكل جماعة من هذه الجماعات و حدة تجمعها رابطة من روابط الا جتماع اما القومية الواحدة و اما القطر الواحد أو البلد الواحد و اما المصلحة الا جتماعية المشتركة والتعاون بيـــــن الا فراد الجماعات على اختلا ف نزاعاتها ضرورة فاذا تعاون أفراد الجماعة الواحدة علـــى ما فيه مصلحة أفرادها أو مصلحة مجموعها نالت ما ترجوه من ترقية و العكس صحيح ، و لكـــن هذا ليس دائما اذ من المعقول ان يتعاون أفراد المجتمع القبائلي على ما فيه المصلحـــــة

- صـــورة تمثل التضامـن الا جتماعي في المجتمع القبائلي الظاهر في مؤسسة " تاجمعت ".

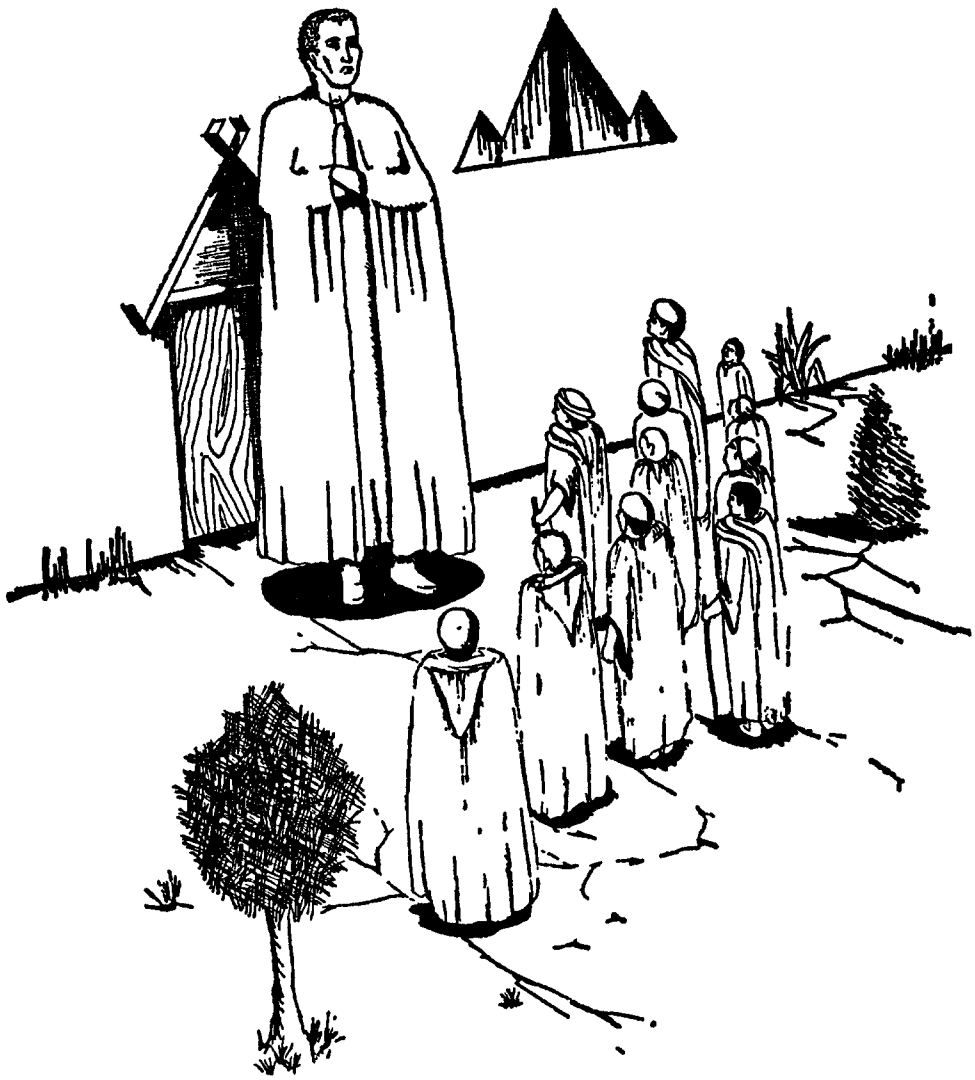

الجماعية البعيدة عن الا نحرافات و لذلك فان التعاون الا جتماعي في المجتمع القبائلـــي فيما يخص التمسك بالعادات و التقاليد و استمرارها، يعتبر نوعا سلبيا و طريقا نحو التخلف مما يعيق التقدم الحقيقي ولا نقصد هنا بالتعاون العام ان تجتمع افراد كل جماعة للقيـــام بالمصالح العامة و انما نعني به أن تنتدب كل جماعة أرقى رجالها فكرا و علما و اخلا صـــا لتتعاون هذه الرطلات على ما فيه المصلحة العامة و لذلك نجد عكس كل ما يجب أن يكـــون في بنية المجتمع القبائلي ، فلا نجد التعاون على از دهار العلم و المعرفة و محاربة الامية و الجهل الذى و لد هذه الطقوس والممارسات الخرافية المؤذية أكثر منها الصالحة و المفيدة .

التحليل السوسيولوجي :

الواقع أن الا وساط الشعبية القبائلية تمتاز بتمسك كبير بالتقاليد والطقوس، و كان أهم سبب في ذلك يرجع كما هو معروف الى اهتمامها الشديد بصيانة كيانها الذى كان و ما زال مهددا بالطمس من طرف المستعمر الا جنبي أيام الثورة التحريرية من جهة و بالتطور والتكنولوجيا و الغزو الفكرى من جهة أخرى و قد اهتمت لهذا السبب نفسه بحفظ الا خلا ق التي و رثتها جيلا بعد جيل ، و كل ما يتعلق بالتراث الشعبي بما هب و دب دون فرز أو تنقيح و بقي الى يومنا هذا، و لذلك نجد هذا التضامن أوالتعاون الا جتماعي في ءلمجتمع القبائلي متينا جدا، و هذا ما يعبر عنه (ابن خلدون) بالعصبية الا أنها تتجاوز الحدود في أغلب الا حيان خصوصا عندما يتعلق الا مر بالمرأة و شرفها (1) اذ نلا حظ تعاون و تلا وُم بين الا فراد و اتفاق عام على قتل النساء اللواتي ضيعن شرفهن دون تشاور و دون تفكير أى عشوائي و ذلك رغم عدم كونهم أولياءهن. ولعل هذا يبدو واضحا و ظاهرا في مؤسسة (تاجمعت) ، و يكون التعاون الا جتماعي بين الا فراد مباشرا أو غير مباشر، عن و عي أو عن غير قصد مثلما حد ث في النص العاشر اذ هناك اتفاق في الرأي بصفة تلقائية و داخلية غير مباشرة صنعتها الاحداث والا فكار و انسجامها و طبيعة التنشئة الا جتماعية المشتركة خصوصا فيما يتعلق بالايمان بالخرافات والخزعبلا ت اذ لا تخلو منطقة من مناطق القبائل عامة من شيخ أو ولي مقدس يحل مرحل الا له في ءلزيارة و العبادة ، وهذا الشكل يوضح هذه الفكرة أكثر :

الشيخ	المنطقة التي ينتمي اليها
الشيخ أ حمد	بني كوفي
الشيخ أ رزقي	مشطراس
الشيخ محمد أمزيان	أيت واسيف
الشيخ سعيد	أيت واسيف
الشيخ أو سحنون	اعبو د ن
الشيخ محند أو مختار	بني ينني
الشيخ العربي	بني دوالة

(1) أنظر الا سطورة العاشرة في الملحق .

الولـــي المـقـــد س	كالمنطقة التي ينتمـــي اليـــهـــا
سيـــدى منصـــــور	فريـحـــة
سيـــدى نعمـــــان	ذراع بن خدة
تاجـد يـــــوث	معاتقـــة
سيـــدى الحمـــامـي	لخـضـــرية
سيـــدى أو بهـلـــول	عـــزازقـــة
سيـــدى محمد سعد ى	تيقزيـــر ت
سيـــدى محمد أوعلي أولحاج	اعكـــورن
سيـــدى علـــي أو يحـــي قاوة	ذراع الميزان
سيـــدى وارث	ناصريـــة
سيدى الونـــاس	تادمـيـــت
سيـــدى محند أمزيـــان	بـــو خالفـــة
سيـــدى أحمد بن ربيـــع	بنـــي عمـران
سيـــدى بـــوداود	أ قبـــو و سيدى عيش بولاية بجاية .

تاريخ و أصل الساحر في المجتمع القبائلي :

تتعرض الا ساطير الداخلة في هذا المضمار (1) الى أصل الا نسان القبائلي فتنسبه الا سطورة الثالثة الى الحجارة و فسرت على أساسها قساوته و ممارسته للسحر، و تنسبه الثانية أى الانسان الى العفاريت والجنون و تفسر بذلك سر كونه ساحرا في الغالب في حين تنسبه الاسطورة العاشرة الى نفس الكائنات و تنسبه الا سطورة السابعة الى عجوزة من الانس لكنها ساحـــرة و شريرة و شمطاء والتي شتمت الطبيعة و تكبرت على الله و الكون فانتقم منها و حولها الـــى صنم هي و أ غنامها .

كل هذه النصوص تنسب الا نسان القبائلي الذى يشكل كتلة ذو أكثر من مليون رجل و انهم القرويين الا كثر أهمية في افريقيا الشمالية ، و يتجاوزون الذين يكونون الريف المغربي و الساحل التونسي الى منابع مختلفة . ان مشكلة الهوية الثقافية أوالتعريف صعبة جدا ، فاسم البربر يرجع الـــى ما قبل التاريخ الفوعوني اذ كان للمصريين علا قة بهم ، فكادوا أن يكونوا اقليما يبدآمن غـــر ب هذه المدينة و كانوا يسمون باللليبيين أو النوميديين والقبائل كثيرون بحيث يتجاوزون النصف من القطر الجزائرى خاصة ،لكنّ مسألة الهوية تبقى نسبية لان العرب والقبائل ما هما في حقيقة الامر الا جذر واحد و يختلف من حيث اللغة لا أكثر ، و لقد حكى مؤرخو القرون الوسطى عـــدة روايات حول أصل القبائل، (فابن خلدون) خصص فصلا بأكمله من مجلده تاريخ البربر لعـــدة أنساب عرضها كتاب عرب ذوات أصل بربرى من قبله ، فيقول إن البرابرة هم أبناء كنعـان ابن شان و ابن نوح، جدهم يسمى مازيغ و أخوانهم كانوا (اقركش) أبناء كسلوهم .

(CASLUHIM) ابن مسراين (MISRAIN) ابن شان و يحمل السلطان اسم (GALIATH) جالوت (DJALOUT) و لقد نوقش أصل كلمة بربر و يقال أنها مشتقة من العرب و انتقلت بواسطتهم عندما دخلوا افريقيا و تقليديا تعد تحريفا لمصطلح لا تينـي بربروسي و الا سم الحقيقي للبربر يتحدث عن الجذر (M.Z.K) الموجود في أسماء (MAZICES) للعصر الرومانـــي أكثر من (MAXYES) لهرودوت و قد تعني كلمة الا مازيغ (افرى) و تعني المغارة و لكـــن هناك من يربطها باسم الجد المشترك افريقش مثل (الطبرى) و لكن الشائع أن كلمة البـربـــر تعني الشريف، الحر ، الصريح.

الا أن الشيء الملا حظ في الا ساطير المذكورة سابقاهو نسبة القبائل الى عفاريت أى العدم و اللا شي ء .

---

(1) الا سطورة الثالثة والرابعة و السابعة و العاشرة في الملحق.

- صـــورة تمثـــل أصـــل الا نســـان و بالتالي الساحر القبائلي حسب المعتقد الشعبـــي.

النقد السوسيولوجي :

ان الا سلا م يعترف بأصل الا نسان بصفة موضوعية و عقلا نية ، ذلكبما فيه الساحر القبائلي بطبيعة الحال وهذا يبدو واضحا في سورة البقرة عند التصريح بأصله من تراب " كلكم مـــن آدم و آدم من تراب " و لعل ما نلا حظه أيضا أن الا سطورة الثالثة الداخلـة في هذه القضية قد تناولت أصل الا نسان من المنظور الطبيعي (الذى هو العجارة و هي تنسبه في طرحهـــا أصله الحقيقي الى حد ما و هو التراب فكلا هما طبيعي فالحجارة جزء من الا رض والتـراب، الا أن هذا لا يفسر أبدا و لا يبرر كون الا نسان قاسيا أو ساحرا أو مؤذيا لاخيه الا نســـان فالله خلق الانسان طيبا و الظروف التي يعيشها هي التي تجعل منه قبيحا و شريرا وهذاكله منافيا و محاربا لنظرية التطور الداروينـي العلمية و التي رغم ذلك تنسـب الانسان الـــى القرد .

أما لغويا ، فنقول أن هذه الروايات سارت في تسلسل قصصي قد يكون واقعيا دون ذكر الا مكنـــة و الا زمنة من يدرى و لعل الشخصيات أيضا حقيقية غلبت عليها صفة الجنون والعفاريت المبالغ فيها و لقد استخدمت أسلوبا رمزيا و كلمات معبرة مثل عبارة القاضي " لا أحد يقدر أن يخلق الروح غير الله " (1) .

كما طرحت هذه الا ساطير قيماو معاييير اجتماعية تربوية خلقية كمبدأ الشورى الواضح في استشارة السلطان أهل القرية في أمر هروب ابنه (2).

---

(1) أنظر الا سطورة العاشرة في الملحق.

(2) أنظر الا سطورة الرابعة في الملحق .

المكانة الرمزية للحيوان في الذهنية القبائلية :

مما لا شك فيه أن لكل انسان علا قة مع الحيوانات ، وهذا في كل أنحاء العالم بحكم الطبيعة و شؤونها فلقد سخر الله سبحانه و تعالى هذه الكائنات لخدمة البشر و لقضاء حاجاته الضرورية ، الا أن العلا قة الجديدة التي تخلقها الا ساطير والحكايات الشعبية و الواقع القبائلي المعاش معا ، علا قة فريدة من نوعها لكونها تجعل من كل حيوان كائنا رمزيا و معنويا و له أشارات مختلفة عند القبائليين ، فبعيدا عن القرى والجماعات نجد هذه المنطقة أى القبائل حافلة كغيرها بالكائنات التي تفر من اصابة الا نسان لها .

ان الا سد (1) مثلا يعتبر رمزا أو مثلا للشجاعة و القوة و الاضطهاد، وهو الملك و السلطان يؤخذ و يقتدى به في الحياة الا جتماعية فالرجل الذى يتدبر أمره و له شخصية قوية و يتحزم في الا مور و يتكيف مع كل المواقف يقال عنه أنه أسد الغابة "D'IZEM EL GHABA ".

أما الذئب فللمجتمع رأيا مختلفا عنه ، اذ لا أحد من القبائليين يقتله و خاصة في وقت الصلا ة لانه حارس وجني و عفريت (D'AASAS)وعندما يشاهده الرعاة يطردونه وهم يصرخون فيه(آه يادابة بن يعقوب (وهذا هو اسمه)، الوسخة والتي يباع جلدها يوم الثلا ثاء) .

كما يسمى باسم بشرى (محند أوشن) أى الذئب محند . أما الكلب فهو رمز للوفاء والصداقة والتعاون وهو محبوب كثيرا من طرف القبائليين لانه يساعد صاحبه في بعض الا شغال و يحميه من اللصوص ، الى جانب هذا للقبائليين أراء مختلفة عنالطيور فمثلا القلنسوة (L'hyrondelle"مرابطية و هي من المقدسات و حاملة للخير والبركة و لذلك يقال أنها اذا قتلت حتى من غير قصد يصاب ذلك الشخص بالحمى لمدة أربعين يوما .

والنسر هو أيضا يعتبر جنا و عفريتا و لا يصلح قتله ، أما الحجلة فيضرب بها المثل في الغضب و يقال عن الشخص السريع الغضب أنه يشبه الحجلة كما أنها رمز للجمال ، فالرجل القبائلي الذى يحب زوجته يلقبها بالحجلة ، أما الغراب فهو مكروه جدا بسبب عدم و فائه لعهد الله كما يقال و عصيانه لامره عندما كلفه بقسمةواعطاء الذكاء و الجمال للعرب و القبائل واعطاءهم المال أيضا في حين اعطاء الاوروبيين البراغيت ففعل العكس و لذلك نجد الاوربيون اليوم واليهود أغنياء و يتمتعون بالجمال في حين تعيش المجتمعات العربية والقبائلية في فقر مدقع و في قبح كبير .

و لذلك يقال أ ن الغراب دائما يردد عند طيرانه :"اذهبوا اذهبوا" فيجيبه القبائليون:

---

(1) أنظر الا سطورة الاولى في الملحق.

- صورة توضح المكانة الرمزية للحيوان في المعتقدات القبائلية (الشعبية).

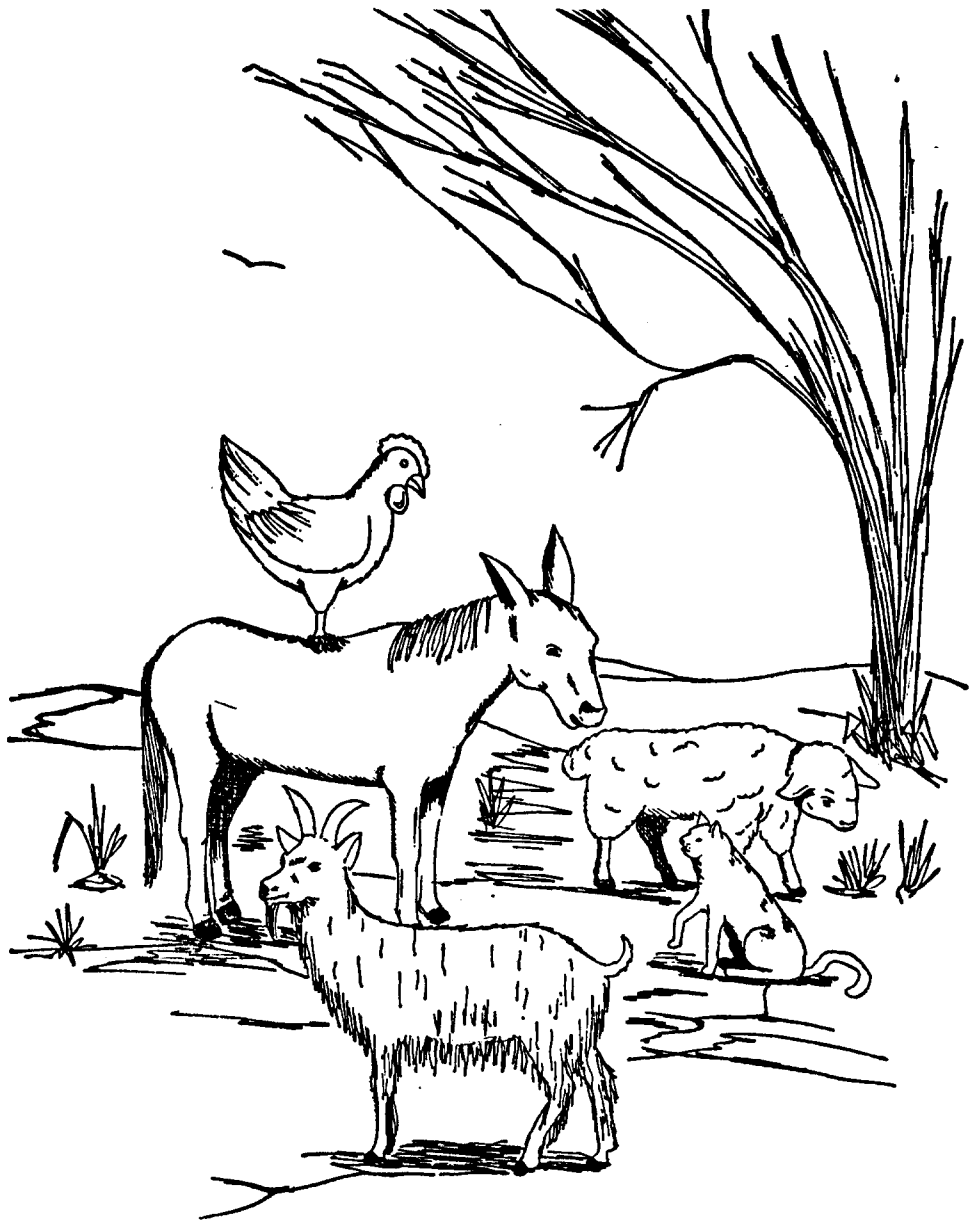

" ليذهبك الله أنت أيضا يا أقبح الطيور وأبشعها ". و لذلك يتشاؤم الناس عند نزوله على أسقف البيوت و يستعمل كثيرا في الممارسات السحرية أما السقاوة (LA BUSE) فهي رمز الاهمال والكسل فالا نسان الذى لا يعمل و لاقيمة له يقال عنه شحوة او سقاوة (IGIDER) بالقبائلية . أما القرد فهو ذلك الحيوان الذى ترك عدة أماكن من الطبيعة ليتوجه الى الجبال و يعيش فيها ، و القردة تعيش في مجموعات خاضعة لقائد كبير في السن ، و تشبه الا نسان في دفن الموتى و صورة القرد عند القبائليين قبيحة لذلك يضرب به المثل في القبح ، و تستخدم للشتم قائلين له : (IDDEW) و لا يحبه الناس لانه عصا ربه أيضا مثل الغراب ولم يحمده على الطعام الذى أعطاه له الله يوما لما كان انسانا فحوله الى قرد كعقاب له ، و يقال اليوم أنه مازال يتذكر اسمه القديم فاذا نودى باسم "ايه يا مسعود " ينظر و يلتفت الى الوراء .

ان كل هذه الحيوانات المذكورة تستخدم في الممارسات السحرية القبائلية ، و لعدة أغراض فكل حسب صورته و رمزه ، فالا سد يستخدم لغرض زرع القوة و الشجاعة في الشخص المسحور كما يقال أن من دهن وجهه و بدنه بشحمه ذهب عنه الكسل ، و من علق قطعة من جلد ه برأ من الصلع ، و من كان معقودا أومسحورا من النساء حلت بمرارة الا سد .

أما الذئب والنسر والحجلة والقلنسوة كلها عفاريت خير و بركة و لذلك تستخدم لزرع المحبة في قلوب الناس في حين تستخدم القردة والضفادع (1) و الثعابين (2) و الغراب لغرض زرع الكراهية و العداوة و البغض بين الناس و لتحطيم سعادة الا سر، وتستخدم أجزاء الكلب كالضرس لزرع الوفاء و الاخلا ص و الصداقة والتعاون ، كما تستعمل الحرباء لازالة مفعول السحر (3) و تستخدم الشحوة لزرع الكسل والقضاء على قوة الشخص و قدراته المعنوية والبدنية ، أما الا رانب فهي حسب الا عتقادات السحرية تستخدم للخير لانها مفيدة في شفاء بعض الا مراض كالارق والسمنة و دماغه يعالج الرعشة و ييسر الحمل اذا أكلته المرأة الحامل ، و مرارته تفيد في علا ج بياض العين ،و تزيل البهاق الاسود ، أما أنفحته كما يقال فانها تجعل المرأة تلد أنثى و لذلك تستخدم كثيرا في السحر لهذا الغرض و أما دمه و ذيله يسببان العقم للمرأة و أما من علق كعب أرنب فانه يقي نفسه من كل سحر لان العفاريت تتهرب منها .

هذا و للسلحفاة تقريبا نفس صورة الا رنب في استعمالها للسحر لان المرأة التي تتخطاها لا تلد مدة سبعة أيام اى تصاب بالعقم مدة أسبوع .

---

(1) أنظر الا سطورة الثانية في الملحق.
(2) أنظر الا سطورة الاولى في الملحق.
(3) أنظر الا سطورة الخامسة في الملحق.

و أما سمكالا يلس اذا شوى و أكل منه شخصان تحطمت محبتهماو صارا عدوين ،هذا و للديك الاسود مكانة كبيرة في السحر الا سود أيضا .

كما تستعمل العنكبوت في علا ج الجروح ولتسيير الولا دة و أما لبنالمرأة فكان يعتقـــــد قديما أنه اذا رضع الطفل الا زرق العينين من لبن جارية حبشية أربعين يوما اسودت عيناه ، كما تعالج المعدة بتبخير المصاب بشعر الضبع أو بجلد القنفذ.

التأويل السوسيولوجي :

ارما نستطيع قوله من الناحية البنيويةأو اللغوية أن هذه الا ساطير روت الا حداث بأسلوب بسيط قد تكون حدتثبالفعل في زمان و مكان مجهولين، لكون شخصياتها تكاد تكون بشرية ما عدا صفاتها الخيالية فكلها حيوانات مشخصة .

لقد أستعملت هذهالروايات أسلوبا رمزيا و كلمات سهلة في متناول القراء ، و ألفاظ ذات معاني بسيطة لانها موجهة كما هو الحال بالنسبة للحكايات الشعبية بالدرجة الاولى الى الا طفال كحوادث كليلة و دمنة لا بن المقنع و حوادث ألف ليلة و ليلة المشوقة و لقد تناولت قيما و معايير اجتماعية كالعطف (1) و التسامح في الا سطورة الاولى دائما عندما سامحت الفتاة أخاها و أرادت أن تنقده في آخر المطاف لكن بدون جدوى و كذلك الحال في الا سطورة الثانية عندما عطفت الغولة رغم و حشيتها، على الفتاة و أعطتها هدية جميلة يوم ز فافها، هذا الى جانب صبرزوجة الرجل في الا سطورة الخامسة و تحملها زوجة جديدة و لم تغادرالبيت أو تقتل زوجها و الضرة مثلا .

---

(1) أ نظر الا سطورة الاولى في عطف اللبوءة .

المدلول السوسيولوجي للا سطورة السحرية القبائلية :

تتناول هذه الا ساطير المتناولة بالدراسة في مواضيعها الرجال كأبطال و كائنات خارقة للعادة ، و حوش عفاريت ، و أغوال، والروايات لها لا يتخذن منها مهنة للكسب و هي تروى في الليل للا عتقاد الشامل أن من يحكي في النهار يصبح أبناءه (صلعى) أى يصابون بداء الصلع، و تبدأ القصص بصيغة واحدة و تنتهي بصيغة واحدة أيضا لا صلة لها بمضمون الرواية ، و تبدو أن لها صفة أو مميزة سحرية هدفها طرد التأثيرات السيئة أو الشريرة وهذه الصيغ نجدها في الحكايات العجيبة ما قبل التاريخ، وهي قد تكون صحيحة أو محرفة بسبب الا نتقال من جيل لا خر و تتناول كل هذه النصوص الا حداث والامور بعالم من الرموز الذى نجده في كل صدر من صدور الا مهات و على الا لبسة و على الحلي و الاواني الفخارية و الالسن، وهذا العالم هوالذى يمنح قوة للثقافة و يجددها اذ متى قضى على الرمزانتهى الجسم الذى يحويه و متى ابعدنا الاوهام العالقة بالا سطورة كتصور معقد نتجت عنه تصورات و ممارسات ثقافية اجتماعية و سياسية لجماعة ما بل ما سر بقاء دلالتها ليومنا هذا اذا لم تكن ملحقة بهذا الخلود، قيم الفلكلورية و التفكير الخرافي؟ وهذا ما يجعلنا نتعامل مع الا سطورة كما وجدناها كقوة سياسية و ذاكرة شعبية مستمرة من خلا لها يتعرف الناس و يعطون لذاتهم هوية و موقفا بالنسبة للا خر مهما كان.

و الا ساطير في هذه الشروط لها قيمة الوثائق التاريخية الشروط السوسيوسياسية الخاصة في منطقة القبائل التي هي مجال بحثنا أين نجد هذه السلطة الا نتقالية منالوجود والصراع بين بنيتين الاولى تقليدية تكافح ضد الفناء و الزوال و الاخرى تبدو أنها كانت بصفة خاصة مناسبة لتطور الا دب الشفوى الشائع في الا ساطير وهذا هو أسلوبها لانها نصوص ألفت لان تكون مرددة حسب تعبير (مارسل موص) و مؤلفة أيضا لتكون مسموعة أو ليستمع اليها الا خرون انه من المؤسف أن لا يقدر الا نسان ايصال كل نصوص الحكايات فعلا كما يقول (موص) .

مفردات هذه الروايات المدروسة بسيطة و كلماتها بالا مازيغية أحيانا شعبية و أسلوبها واقعي مباشر و كلماتها عربية وهذا الشيء طبيعي اذا علمنا أن اللغة البربرية تأثرت كثيرا باللغة العربية و أخذت القبائلية منها عدد كبير من الكلمات بحيث يحدث أن يكون في جملة متكونة من عشر كلمات أن نجد 4 منها عربية ، فكلمة " توارق " مثلا يبدو أن أصلها عربي يعني الحجارة أو المهاجر بمعنى " هجر ".

أما من ناحية البنية الزمنية فان الا سطورة تتجنب كل تغلغل زمني صريح فالاحداث تدور

في ماضي أسطورى لا يمكن تأريخه (كان في القديم ... أو العامية " كان يا ماكان " لذلك فان الرؤية السحرية التي هي بمثابة الطاقة المولدة للحكايات الخرافية تحول دون أى ارساء زمني اذ أن عنصرى الزمان و المكان يمثلا ن ركيزتي العالم العقلا ني الا نسانـــي.

ان أصل هذه الحكايات قديم دون شك بما أن " ابن خلدون " اعترف بهذا عندما قـــال أن للبربر عدد كبير من الحكايات لدرجة أنه لو كتبناها أو دوناها كلها لتحصلنا على عـــدد ضخم من المجلدات .

اعترف " . FROBENIUS" أيضا أن البربر يحتلون المرتبة الاولى من بين الا فارقة في فـن تأليف القصص (الروايات) ان الا عتقاد الشائع عند القبائليين هو الخوف من الا ماكـــن القذرة و المدنسة و تجنبها لانها تعتبر سيئة لكثرة العفاريت و الا رواح الشريرة فيها (tazuligt) وهي أماكن لممارسة الطقوس السحرية مثلهامثل الغابة و المقابر والاماكـن الخالية فيتعامل الساحر مع تلك الكائنات أى الارواح الخاصة بالموتى الذين تمت موتهم في ظروف صعبة و بعد عذاب موت عنيفة ، و كذلك أرواح الا شخاص الذين لم يدفنوا ' الصالحين و المقدسين والا ولياء). ان الا سطورة من المنظور الاجتماعي هي شكل تقافـــي اجتماعي للتعبير عن حكم تكرارى أو ابتكارى يصدره الراوى في ظرف معين في حالة تنازعية أو حدث عادى و تبدو الا سطورة الشعبية من احدى المواجهات كشكل من أشكال التلا ســن الهادف الى ابراز الحكمة الكامنة في التمثيل الا جتماعي التحتي للثقافة ، و مهما يكـــن الا مر فان الا سطورة ربما تكون الشكل الا مثل و النموذجي لما نسميه الحكم الجاهز المتكرر من لسان الى لسان و من أذن الى أخرى الى أن ينصهر في منظومة المور وثات الثقافيـــة المتداولة والمبتكرات الثقافية المضافة .

و الا سطورة اذن تتميز بالشكل التعبيرى القصير من جهة و بصياغة عامية بلسان الشعـــب اللسان الدارج من جهة ثانية و تمتاز عموما بغنى التقافات الفرعية المتصلة بالثقافتيـــن الوطنية و القومية و وظيفتها الاولى التأثير المباشر في الشخص أوالا شخاص المعنييـــن، اما التعديل موقف و اما لا تخاذه و هذا يعني ان الا سطورة الشعبية تندرج بدورها فـــي مسار الصراع الثقافي الا جتماعي و صولا الى الصراع السياسي .

ان الا سطورة غنية بالتناقضات الا ساسية التي تبدع الثقافة الشعبية ذاتها وربما يكـــون احدى موادها الخام فهي تجمع الا ختلا ف الى الا ئتلا ف، الا نسجام الى التعارض، التوحد الى التكاثر و لهذالاتخلو الا ساطير الشعبية من شحنات فكرية مبسطة و عامة تتراوح بيـــن موروثات الفلسفة والمنطق والعلوم و الا خلا ق والديانات و تستمد الا سطورة قيمتها الوظيفية من مدى التمثل الا جتماعي الثقافي الا سلوب الا سطورى أى أن دور الا سطورة الا جتماعـــي

مشروط بعمليات التبادل الثقافي ذاتها، فهو كالعملة بقدر ما يتداول بشكل شبكة اتصال و ترابط بين الافراد والجماعات والا سطورة الشعبية لا تظهر اجتماعيا الا في سياق سجالي جدالي نزاعي أو تصارعي .

ان الا سطورة الشعبية هي نتاج تاريخي للعقل و غايتها الاولى أن يتمثل المجتمع حكمته أو يكشف تجاربه أن يعتبر بما فعل أن يستخلص من الفعل الا جتماعي الا سطورة الثقافية :

ان الا سطورة تتصل بالكلا م عموما و لكنها ليست كلا ما جداليا و حسب انها أيضا كلام مميز بنية و مضمونا و هدفا .

انها بمضمونها ترمي الى الانية و الحضور كما ترمي الى كشف المستقبل و لكن بما هو تكرار لحاضر- ماضي هذه هي المسألية الاولى التي تعترض سوسيولوجيا الثقافة الشعبية و هي تسعى الى وضع حدود الا سطورة الشعبية .

ان الا سطورة تبدو تمثلا ابداعيا للسلوك الا جتماعي و تعبير عن رؤية و عن جدلية مروية ، فالاسطورة الشعبية ليست موروثة بعيدة و لا خارجية يكررها الا نسان عند الضرورة ، و التسلية فحسب ، بل هي في هذه الحالة مباشرة اذ أن راويها تتمثل الحكمة المباشرة التي يقتضيها السياق الا جتماعي ذاته على طريقة لكل مقام مقال .

و هكذا فان أصل ا لا سطورة الشعبية يظهر لنا بوضوح أكثر اذا ما نظرنا الى حالة هذا المتقف الشعبي و هذه " الا نتيليجنسيا " الشعبية التي تبدع الا سطورة لاول مرة في سياق الحدث الا جتماعي ذاته ثم يروي عنها تواترا أو تعاطفا تواصلا أو تفاصلا الى أن تدخل في الرواية والمشافهة (1) و تترسخ في الموروثات الشعبية لتستعمل عند تدعيم فكرة أو حدث مشابه ، ان الا ساطير رغم لونها الخرافي تنطوى على حقائق غامضة باهتة عن المجتمع القبائلي القديم انحدرت الينا عن طريق هذه الروايات ، فهي تعطينا صورة من عقائد قدامى البربر وعاداتهم و تاريخهم الا سطورى و مثلهم العليا و أخلا قهم مجسمة في حياة الا بطال و أعمالهم و كفاحهم في بناء و طنهم، و الدور الذى لعبوه على مسرح التاريخ القديم. فهي رغم أ سطوريتها ليست محض خرافة و ليستطيع القارىء المدقق أن يستخلص منها حقائق كثيرة أثناء استمتاعه بما فيها من خيال قد يبدو لنا اليوم بمقاييسنا الحاضرة ساذجا بالقياس الى ما بلغناه من نضج عقلي و تقدم حضارى، و لكنه يصور لنا على أى حال بعد الشقة بين مرحلتين من مراحل الا نسانية الحضارى و الشوط البعيد الذى قطعته الانسانية (2)

---

(1) الا سطورة الخامسة مثلا .

(2) أنظر عنصر مراحل تطور الفكر الا نساني في الجانب السوسيو-ثقافي .

حتى بلغت ما عليه الا ن ففي التراث القبائلي القديم كثير منالا ساطير الخلا بة و القصص الجذابة و الشيقة مما لم نزل حتى الان في غفلة تامة عنها ، و تلك نتيجة جهلنا بالثقافة الا مازيغية القديمة و قد اتضح الكثير منها في السنوات الا خيرة و قد خطا المحققون خطوات واسعة في تحرى تلك الا ثار واستقصائها فمن المؤسف حقا أن يظل الشباب والطلاب منهم خاصة غافلين عنالقصص التي نبتت و نمتا بين جدران و طننا القديم .

الوظيفة الا جتماعية للسحر عبر الا سطورة القبائلية :

من المعروف أن هناك عدة وصفات سحرية تستعمل لاغراض مختلفة منها توسيع الرزق ، زيادة الفهم ، تقوية الذاكرة ،التوسل لدى أصحاب السلطة ، العثور على مفقود في حرب ، العثور على مفقود في غابة ، العثور على ضال أو غائب ،وقف صراخ طفل صغير ، المحبة ، هداية الا بن العاق و المنحرف ، التخلص من الحب ، التعجيل بالزواج ،و قف الغيرة ،علا ج العقم ، تعويق حمل امرأة ، تيسير عسر الولادة ، علا ج الا رق و علاج الا كتئاب والشعور بالخوف و من يفزع بالليل أو افاقة سكران ، انبات شعر أقرع و علا ج التسمم ، و غيرها و ذلك ليصبح للجسم قوة و نشاط كبيرين (فيزيائي و روحي) أو لجعل المحيط المادى والبشرى مناسبا للمسحور حسب معتقدات الناس. ان مختلف السحر يتنوع حسب وظيفته ، وهدفه (سحر السعادة ، أو سحر الشقاء) و ان السحر متنوع أيضا حسب قدرته التي تنتشر في ميادين كثيرة (عناصر مقدسة ، جبال ، غارات تاريخية مقدسة) و يبدو أن السحر الحالي و بواسطة تعدد عناصره يحاول أن يبحث على انقاذ الدين التقليدى الضعيف و يحاول أن يضمن للفرد اليوم ما كانت تضمن له الديانات من قبل و ذلك من حيث التأثير الذى يمارسه على الا شخاص سواء بالكلمة أو بالحركة أو بهما معا ، اذ أن لقدرة الكلمة المنطوقة امتداد طبيعي في قدرة الكلمة المكتوبة التي تكسب امتياز مرتبط بالاتصال في مجتمع تتسيطر عليه الا مية فالكلمات المكتوبة و المحتفظة في كيس (التميمة) مثلا لها قدرة الحفاظ من أذى العين والشر و السحر كذلك و تدخل الشياطين و يكتب فيها عادة في فرنسا اسم المسيح عيسى عليه السلا م و مريم العذراء و سلا طين العفاريت أوالقديسين و أحيانا هناك حالات تكتب فيها الصلوات باللغة العربية المستعملة لنفس الهدف. أما الحركة فلها أيضا أهميتها عند اللمس مثلا تتحرك يد الساحر على رأس المعني بالا مر لطرد الشر و الا ذى ، وهناك التصفير"LE SOUFFLÉ" المستعمل في حالات المرض المزمن و الدلك "FROTTER" بتدليك الا ماكن المصابة و المؤلمة بزيت الزيتون كما توجد حركات ثانوية كوضع معادن معينة في الماء ثم رميها بعد ترديد عدة صيغ سحرية و لكل هذه الحركات معاني رمزية متعددة وهي تضيف قدرتها الى الكلمات والا عداد مثلا رمز (CROIX) (✝) يعني ضربة ضد الشر بقدرة الساحر سواء عبر عنه في الادب الشعبي أو في الحياة اليومية. و السحر الحقيقي الناجح هو سحر الكلمات لانه سحر محسوس و سحر الفعل و سحر ملموس و مطبق، و علما ء النفس يعرفون أن السحر بمثابة انفجار داخلي و هو خارجيا رغبة قلب مملوء يسعى لتحقيق ما يريد ، أما اجتماعيا فان و ظيفة البحث عن نجاح معين هي وظيفة نادرة للصيغ السحرية والنجاح في كل ميادين الحياة و خاصة الزواج،

في الحقيقة فان الصيغة السحرية لها وظيفة مهمة تؤثر على المريض أو المسحور نفسيا بطريقة فعالة جدا بحيث تتركه يؤمن بفعاليتها و بقدرة و معارف الساحر معا . وان لهذه الصيغة حركية و دينا ميكية نشيطة ، بهجومها على الشر و الصعوبات التي تعترض الا نسان، وتوجد ثلا ث عناصر أساسية تخلق هذه الحيوية وهي صدمة الكلمات ،الحركات، والاعداد الذات قيمة سحرية عالمية و تقريبا الفردية منها : 3،5،7، المستعملة جدا كذلك الر قم 9 المتكرر و3 باستمرار و هو عدد مرتبط تقليديا بالقدسية وهو عدد عميق للرمزية بحيث نعيد الصلوات ثلا ث مرات،نسلم ثلا ث مرات على الميت ليشفي من مرض الصرع و العدد 5 هو عدد للجروح التي يعطيها الله ، هذا و يبرر استعماله و قيمته السحرية ، و العدد 7 منذ زمن هو العدد المقدس ، و العدد 9 ضعف (3) مفيد جدا و نادرا ما نجد أعداد أخرى تتجاوز (10) أو (12).

يؤدى السحر سوسيولوجيا و انطلا قا من (فان جينيب) (1909) و صولا الى (روجيه باستيد) (1950)(و.ج. غازنوف) (1958) وظيفة أولية وهي وظيفة الا سترجاع الجماعي المتذكر لاصول الا سطورة والدين و يظهرالاستعمال المستمر للسحر و كأنه ردة فعل على الحاجة نفسها ، على مستوى النفسيات الجماعية ، حماية الذات من التقلبات وحالات القلق المرتبطة حتما بالتغيرات الا جتماعية ،هذا بالاضافة الى الوظائف الرمزية والدينية الاخرى بحيث أنه يلعب نفس دور الدين و الطب و الصيدلة في حالة اخفاقهما الذى يمثل فشل العلم والدين في اشباع الرغبات الا نسانية ، وفي هذه الحالة يحاول السحر أن يعمل كموقف بديل(1). ان وظيفة هذا السحر تتعدى حدود الفرد و ادارته و لا تجد تفسيراتها الا في حالة العلاقات الا جتماعية . يستطيع السحر أن يكون فعلا فرديا أو جماعيا و أحيانا يكون موضوع شعائر بفضل قدراته المحمية أو الدفاعية الشريرة في الحقيقة ، نجد هذا التناقض بين الفعل و بين النتيجة الا أن هذا يصبح طبيعيا اذا علمنا أن الخير و الشر نسبيين ، فما هو شر لهذا، هو خير لذاك ، وهناك عناصر ذات وظائف دينية أكثر مما هي سحرية و عناصر أخرى عكس ذلك بحيث نجد السحر ذو الا ستعمال الجماعي و الفردى ، والجماعي مشترك بين عدة أجناس ،من بين السحر المستعمل فرديا و ذو التطبيق الديني أكثر من السحرى ،كما نجد حيوانات أليفة (الماشية) و موادغذائية (بيض ،ملح ، توابل ، زيوت نباتية وحيوانية) فواكه (الموز مثلا) و الا موال .

أما في المجتمع الا سلا مي فان السحر يلعب دور اللا شعور عند الفرد مخزن الرغبات المكبوتة

---

1) Mauss (M) : Sociologie et anthropologie. Paris : P.U.F 1968 P.54.

و العذاب المكن الذى لا يقدر الفرد التصريح به ، علنيا ، فالسحر هو أيضا ذلك المكان السرى للنشاطات العميقة مما يدفعنا الى البحث عن عناصره و الكشف عن حقيقتها

و هكذا فان الرجل الراغب أن يجذب حبا فتاة مثلا يقدر أن يكتب تميمة بحروف من النار فيها أعداد معينة و صيغ سحرية محدودة و ذلك يوم جمعة على الساعة الثانية عشر زوالا مع كتابة اسم الله تعالى .

و من هذا نقول أنه في الحقيقة كل انسان هو فكر في العالم و وظيفة الساحر هي محاولة دائمة لشتويه الواقع بالاتصال بالعفاريت و الشياطين و كسب رضاهم بالتضحية بالابرياء ان هذه الممارسة السحرية ترسي السعادة في المخيلة الجماعية و ذلك باضعافها لقوى الكون العادية ، و تكتسب حماية الجن انما في تراجع طقسي بسيط أصلا تقليديا يكفي اى حيوان من طائفة الطير (ديك) لاتمام الفعل السحرى .

يستجيب السحر لدوافع العلا ج أو البحث الصدفوى عن المعجزة (النجاح،الازدهار، الرفاهية ،السعادة) و يبقى الهدف نفسه ، اقامة حوار مع العالم اللا مرئي بهد ف ترويض قواه المؤذية و يسعى الا نسان عن طريق السحر للتقرب من العالم المقدس وهو في الحقيقة ما هو الا موضع لتهدئة اضطراباته المكبوتة .

يقول (ويتيـــس عيســى) :

" La fonciton de la magie dépasse les limites de l'individu et de sa volonté immédiate et ne trouve sur explication que dans l'état des rapports sociaux existants.

La magie vise en effet à remettre en cause le fonctionnement des différents rapports sociaux (rpports inter-familiaux, rapports hommes-femmes - logique des echanges matrimoniaux " (1).

بعنى أن وظيفة السحر تتجاوز حدود الفرد و ارادته المباشرة و لانجد شرح السحر الا في حالة العلا قات الا جتماعية الموجودة و السحر في الحقيقة يحدد توظيف أو وظيفة مختلف العلا قات الا جتماعية (العائلية ، رجال ، نساء ،و منطق التبادلات الزوجية) و نجد ذلك سواء في الواقع أو في الا سطورة على حد السواء ففي النص الاول مثلا نلا حظ أن دافع الممارسة هو الغيرة من زوجة الا خ ، والكراهية وبالتالي الا ضطرابات المكبوتة ،و في الاسطورة

---

(1) Ouitis (A): Les contradictions sociales et leur expression symbolique dans le setifois. ON.R.S. Alger : S.N.E.D. 1977.

الخامسة مثلا نجد أيضا نفس الدافع للممارسة الشريرة مع دافع الحب من الزوجة الاولى لاسترجاع زوجها و بيتها ، و ان معظم النصوص المتناولة بالتحليل تطرح أو طرحت مشكل العلا قات العائلية الداخلية و بينالرجال والنساء و منطق التبادلات الزوجية كما عبر عنه (و يتيسعيسى) في كتابه .

ملخص الفصـــل الثالث :

ان بنية المجتمع القبائلي الا جتماعية متميزة الى حدما، نظرا لكونه مجتمعا منغلقا ومحافظا ثقافيا فتحتل فيه المؤسسة العائلية مكانة ذات رواجا كبيرا، لانها الخلية الا ساسية للمجتمع الا أن دخول النموذج الغربي صعب اعطاء تعريف جامع و مانع لها . الا أن المتفـــق هو أن الا سرة الممتدة (أخام) هي الوحدة الا جتماعية الصغرى و تسمى (البيت الكبير) و تعنـــــي القرابة أو إلزواج و أحيانا المسكن أو الحومة العائلية و تتكون هذه الا سرة من عائلتين زواجيتين تربطهما علا قة دموية و يمثل مؤسس الا سرة الرئيس وهو الجد، و تسمى الا سرة الا برسية و مجموعها / ثخروبت) التي مجموعها (أذروم) و جدها المشترك في الغالب شخصية أسطورية. كما تدير شؤون المجتمع القبائلي مؤسسة (تاجمعت) التي يعين أطرافها من طـر ف المجتمع و تسهر على وضع القوانين المنظمة و تحل المشاكل بين العائلات و تجتمع مـــــرة واحدة فقـــط في كل أسبوعين بيوم الجمعة لتناقش بعض الا مور كما تنظم الجنازات والحفلات و يعاقب اجتماعيا من يخالف أوامرها . كما نجد للقرية مكانة اقتصادية مهمة و تنجز نشاطات انتاجية و استهلا كية بالا تصالات الا جتماعية المبنية على تقسيم العمل بين الرجل و المرأة . و تتكون القرية القبائلية من مجموعة (اذرمان) و يغلب عليها التعاون الجماعي، وأن تنظيمها الا قتصادى معتمد على استغلا ل الا رض و تربية المواشي مما يجعلنا نقول أن المجتمـــــع القبائلي يحقق نوعا ما الا كتفاء الذاتي بالتبادل التجارى مع اشراف مؤسسة (تاجمعت) . ان بنية الا سطورة القبائلية مرتبطة ارتبـاطا و ثيقا ببنية المجتمع المتداولة فيه، بحيث نجدها تعبر تعبيرا صادقا عن المواضيع التي تناولناها بالدراسة والتي يعيشها المجتمع باستمـــرار، ففي الوقت الذى نجد فيه مثلا طفولة الذكر موضوع رعاية واهتمام في الا سرة والمجتمع معـــا، نجد في المقابل اللا مبالاة و التهميش الذى تعاني منه الفتاة القبائلية ماعدا تعبئتهـــــا بالاشغال المنزلية، و هذا نجده واضحا في النصوص والواقع على حد سواء، ان كل هـــــذا و تعليمها بعض القيم كالحشمة و الحرمة و الشرف و العيب جعل مكانتها محصورة بين أربع جدران و مستسلمة لقوة الرجل (الاخ، الاب، الزوج ....) هذا كله مقابل المكانة الا جتماعيـة التي يتمتع بها الرجل اذ هو قوام الاسرة والمسؤول عنها، و صاحب السلطة والقوة في كـل الامور ، وهذا مازال الى يومنا هذا رغم اعطاء الا سلام حقوق المرأة و رغم تحقيق الثـــورة الجزائرية نظريا المساواة بين الجنسين ، و لعل هذا القهر هو سبب لجوء المرأة وبطريقـة مباشرة و قوية جدا الى ممارسة الشعوذة و السحر لتحقيق المساواة و تعويض النقص والضعف الذى تعاني منه (الا سطورة الخامسة مثلا) اذ أن الصورة الجميلة و الوحيدة التي تحتلهـــا

هي كونها أ ما ، ذلك الرمز الكبيـــر للحب و الحنان و العطف، و نجد في المقابل الـرجل رجلا حتى وان كان جبانا، و لقد طرحت و تناولت الا ساطير هذه القضية والقضايا الاخرى بأسلوب شيق و ألفاظ وعبارات بسيطةو شعبية و تحاول غرس القيم و الحكم الا جتماعيـــة و الا خلا قية .

مما لا شك فيه سوسيولوجيا أنه كلما كان مستوى التقدم الحضارى منخفضا كلما زاد انتشـــار السحر و الشعوذة و الخرافة أفقيا و عموديا في البنية الا جتماعية ، وان هذه المعارف النفسية ما ،هي الا مظهرا من مظاهر القوى العقلية عند الجزائريين، الا أن المعروف عالميا ان المرأة هي الا كثر اقترابا من ممارسة هذه الا عمال السحرية ، و المرأة القبائلية كغيرها من النساء بارعة في هذا الميدان خاصة في الا رياف و ذلك راجع بطبيعة الحال الى الوضعية التي تحتلها و التي و صفناها، و عيشها في مجتمع تقليدى واتصالها بعلا قة اجتماعية مـــع الرجل المقاسة بعلا قة العبد بالسيد، وهذا ما يجعلها في موقف غامض يترجم واقعيـــــا الى الممارسة السحرية كحل و كانتقام على الوضع السائد ، هذا مع جهلها لامور دينهـــــا و تخبطها في الجهل ، مع ذكر مختلف المشاكل الا جتماعية التي تعيشها حتى بعد الزواج من تشاجرمع الحماة أوالزوج ،وان المرأة رغم طبيعتها الحنونة الا أنها فيسبيل انقاذ سعادتها و تلبية رغبتها في الا نتقام كبيرة جدا، بحيث تستطيع أن تقتل أعز الناس لديها (الاسطـــورة الثامنة) بممارسة السحر الا سود المستعمل للا دوات والعناصر القذرة و فضلات الحيوانـــات و البشر في سبيل التحطيم، (تفرقة بين زوجين، غرس الكراهية بينهما ، اصابة أحدهمـــا بالعقم أوالعجز الجنسي ، ا .....)

وان لكل هذه الممارسات تحمل في طياتها رموز اجتماعية ذات أغراض متعددة و أوقات وأماكن متعددة أيضا و ان تعبير هذه النصوص أوالا ساطير عن المجتمع ليس محصورا في هذه القضية بل هناك مسائل وجوانب أخرى من المجتمع كممارسة الطقوس و العادات السحرية أوالتقاليد الخاصة بعبادة الاولياء المقدسين والتقرب لهم بالدعاء كطقس (انزار) الا سطورة التاسعة) هذا مع الايمان بفعالية بعض الحيوانات و أعضاء ها في التداوى و علاج بعض الا مراض العقلية والنفسية مع العلم سوسيولوجيا أن كلمة " طقس " مشتقة من (RITUS) الا تينيـــة و تعني عادات و تقاليد مجتمع معين.كما تعني الا حتفالات التي تستدعي معتقدات تكـــون خارج الا طارالتجريبي ،وهو يقوم بتكريس ديمومة الحدث الا جتماعي أو الا سطورى كما تعنـــي اعادة خلق الماضي الغامض له معنى ديني عند مستخدميه ، و له تأثير كبير على أنفـــس الناس نظر ا للفهم المزيف للا سلام , هذا مع ذكر مشكلة الزواج المعقدة جدا والتي تكون فيها الفتاة الضحية الاولى نظرا لكونه في الغالب قهريا فتلجأ هذه الا خيرة الى السحـــر

لانقاذ حياتها أو حيها و تسعى بالزواج الى الوصول الى مكانة اجتماعية كأم ، في حين يمثل الزواج بالنسبة للرجل أهمية نسبية من وجهة نظر التقاليد، و الزواج القبائلي غالبا ما يكون بين الا قارب لان الزواج الخارجي يعبر عن الغربة و يغلب على هذا الجانب من الحياة الطابع الخرافي السحرى لما فيه من مشاكل للمرأة المتمثلة خصوصا في الخوف من الطلا ق في حالة العقم أو في أخرى والذى يترتب عنه مكانة سيئة للمرأة أو صورة متوحشة من طرف المجتمع من جهة أو الى طرق غير شرعية كالا نحراف الجنسي أو السحر لارجاع الزوج الضائع أو الحبيب أو الا نتقام من أحدهما و غيرها من المشاكل الناجمة عن الطلا ق، الذى يكون في الغالب ظلما و مخالفا للشريعة الا سلا مية في اعطاء المرأة حقوقها ،فتشرد و تنحرف من كل النواحي حتى جنسيا محطمة في ذلك قيمة أو مبدأ العذرية الذى يمثل الشرف و الحرمة لكل العائلة القبائلية ، فتحمل بذلك أسوأ صورة و تكون مهددة بالقتل أينما ذهبت،الا في حالات نادرة أين يتم زواجها برجل متزوج فتنتخبط من جديد في مشاكل أخرى فتلجأ الى السحر مرة ثانية لكي يحبها أو يطلق زوجته الاولى،خاصة و أن الرجل القبائلي يتزوج لامور تافهة بأكثر من امرأة واحدة كأن تكون جميلة جدا أو غنية أو للذة فقط و هذا كله غير مراع شعور أو قبول لزوجة الاولى، مخالفا في هذا رأى الا سلا م ، هذا كله ما يدفع المرأة القبائلية الى السحر والشعوذة مما يخلق بينها و بين أختها نوعا من التضامن الا جتماعي ، نظرا للمصالح المشتركة والذى يظهر عبر مؤسسة (تاجمعت) في الامور الا جتماعية الا خرى المشتركة بين الناس كالعادات و التقاليد و الا خلا ق و الطقوس و هذا نظرا للنشئة الا جتماعية الواحدة . ان الا سطورة القبائلية تناولت قضية الا صل القبائلي العائد الى الجن من جهة و الحجر من جهة ثانية المقتربة من التراب من الوجهة الا سلا مية هذا مع طرح الصورة الرمزية التي يحتلها الحيوان في الذهنية القبائلية واستعماله للسحر. و لقد عالجت كل هذا بالرمز الذى يشكل سوسيولوجيا العالم الذي يمنح قوة للثقافة و يجددها اذ متى قضي على الرمز انتهى الجسم الذى يحويه و متى أبعدنا الا وهام العالقة بالا سطورة كتصور معقد نتجت عنه تصورات و ممارسات ثقافية واجتماعية و سياسية لجماعة ما. بل أن سر بقاء دلا لتها السوسيولوجية اليوم يكمن في خلود الفولكلورية و الخرافة ولهذا تعتبر الا سطورة الذاكرة الشعبية المستمرة التي نتعرف من خلا لها على الهوية الحقيقية للشعوب فهي في هذه الشروط السوسيوسياسية تكسب قيمة الوثائق التاريخية نظرا لاقترابها من المجتمع القبائلي في كل المواضيع التي عالجتها،وعبرت عنها تعبيرا صادقا لكونها نابعة من شعبية أفراده مما يجعلها تبدو كشكل من أشكال التلا سن الهادف الى ابراز الحكمة

الكامنة في التمثيل الا جتماعي التحتي للثقافة ،كما تندرج في مسار الصراع الثقافي مما تسببه من تناقض اجتماعي لانها ترمي الى الا نبية و الحضور و كشف المستقبل ،الا اننا نقول أن الا سطورة أكثر من مجرد و سيلة تسلية أو خرافة رغم أسطوريتها طالما أنها ما زالت تعبر عن المجتمعات و ان السحر عبر هذه الرواية يلعب سوسيولوجيا دورا متميزا بحيث يحقق الا سترجاع الجماعي المتذكر للا سطورة و أصولها و الدين وحماية الذات من حالات القلق المرتبطة بالتغيرات الا جتماعية ، مع محاولة دائمة لتشويه الواقع بالا تصال بالمتافيزيقا في الوقت الذى يسعى فيه العالم الى تفسير الاشياء بالعلم و التكنولوجيا مع خلق الا ندماج الا جتماعي بين الا فراد و عصبية اجتماء ية قوية ،متمثلة في عصبية التقاليد.

الجانب التأويلي و الا ستنتاجي للـــدراســـة :

ا1 ـ تقديم بعض الا راء حول ظاهرة الممارسات السحرية .

(احشكولن).

ـ رأى رجال الدين و الفقهاء.

ـ رأىْ الا خصائيين في طب التسمم .

ا2 ـ التحقق من الفـــرضيات

ـ التحقق منالفرضية الجزئية الاولى

ـ التحقق من الفرضية الجزئية الثانية

ـ التحقق من الفرضية العامة .

3) ـ الخاتمـــــة

4) ـ ملخـــص الفصـــــل

5) ـ الملخص الشامـــــل

6) ـ الملحـــــق

7) ـ نموذج من استمارة الا ستبيان .

8) ـ البيليوغرافيا (المراجع)

تقديم بعض الا راء حول ظاهرة السحـــر :

1) رأى رجال الدين والفقهـــاء :

ان كلمة الجن و بعض مشتبهاتها أو تفرعاتها اللفظية مثل جن وجنة و جنين تنطوى علـــى معنى الا ستتار و الخفاء في اللغة العربية ، وهذا يسوغ القول أن الشيء الخفي أو المستـــور بالنسبة الى الجن مما كان مستقراومفهوما في أذهان العرب، و لقد كان أهل الكتاب الذيـــن كان للعرب اتصالا و ثيقا و قديما بهم يعتقدون بوجود الجن و الشياطين و العفاريت كعناصر خفية شريرة و مؤذية تخالط الناس فتسبب لهم الجنون و توسوس في صدورهم على ما تفيـــده نصوص كثيرة في أسفارهم؟فمن الجائز أن يكون لذلك أثرا فيما انبثق في أذهان العرب مـــن معان لهذه الكلمة و مشتقاتها . ان شياطين ا لجن هم الذين كانوا يعلمون الناس السحـــر و يتصلون بالسحرة ويساعدونهم في أعـمالهم لتحطيم حياة شخص معين و الجن فيهم فـــي الا سلا م طوائف متفاوتة كالانس، الصالح و الطالح و المؤمن والكافر و منهم من يؤمن بالتوراة و نصراني كما تلهمه سورة الجن، لذلك نجد الناس يجتنبون بعض الا ماكن كالحدود (عتبـــة الباب) في حالة الغضب والبكاء اعتقادا منهم أنها مخزن للعفاريت الخبيثة و لذلك يقول الا سلا م ان قراءة ، آية الكرسي عقب كل صلا ة يضمن بسهولة قبض روح قارئها من جهـــة و تحميه من زيارة الشياطين و السحرة أثناء النوم ، كما توجد بعض الا يات المستعملـــة في شفاء بعض الا مراض بحيث تكتب و تذوب في الماء و تشرب أو تعلق على الجزء المؤلـم ، أو تتلى على الشخص المريض، كما أن سورة القصص اذا علقت فان الا نسان يؤمن نفسه مـــن الا خطار . لكن هذا بعيد كل البعد عن الممارسات السحرية ، اذ الشفاء بالقرآن ليس حراما و لا يكافىء الشفاء بالاتصال بالا رواح الميتة و الشياطين.يقال أن هناك رجل شكا الى طالب باصابة ابنته بانزلاق غضروفي فأشار اليه بمزاولة بعض التمرينات الرياضية و أضاف الـــى ذلك ما يلي :

يستحضر كمية من زيت الزيتون و يقرأ عليها و هو متوضىء و طرف سبابته اليمنى مغموسا في الزيت بعد البسملة ، الفاتحة مرة واحدة و سورة الناس ثلا ث مرات، سورة الفلق ثلا ث مرات و الا خلا ص أيضا و سورة ياسين مرة واحدة ثم يدهن موضع الا لم بهذا الزيت قائلا : " بأسم الله الرحمن الرحيم الشافي من كل داء اللهم بحق ماتلوته من القرآن الكريم وبجاه رسولك (صلعم) اجعل في هذا الدهان شفاء لهذا المريض و صلى الله على سيدنا محمد و على اله و سلم " . و يقول الفقهاء أن هذا .لا علا قة له بالسحر أبدا وهو حلال.ان السحر في الاسلام

يعتبر كفر بالله الذى لا يعلم الغيب الا هو و أنه هرطقة و شرك . ان الفراغ الثقافي الذى خلفه الا ستعمار هو الا ن في طريقه الى الا متلاء عن طريق مجموعة من القياسات المستخدمة في تحقيق الهوية الوطنية و من بينها بالطبع اختيار الا سلا م دينا للدولة و اللغة العربية لغة وطنية، و يقال أن هذه القياسات لا تعبر الا عن طموحات الجماعات التي يصل حماسها الديني مؤخرا الى نسب قل نظيرها و يدل على ذلك (كما يعترف رئيس المجلس الا على الا سلا مي " حماني " في مقابلة أجريت له في الجزائر بتاريخ 29 / 11/ 1990) عدد المساجد الذى ازداد بمقدار عشرة أضعاف على الا قل خلا ل عشرين عاما في مدينة الجزائر و حدها انتقل العدد من 9 عام 1962 الى 100 عام 1978 بالاضافة الى ذلك أصبح بناء هذه المساجد ضرورة ملحة باعتبار أن ثمة مطالبة شديدة بارتيادها من قبل الشبيبة الذين يبلغون نسبة 75 ٪ من عدد السكان ،هذه النتيجة و حدها تعزز السياق الديني ، و حسب قوله دائما يبدو أن مفهوم البدعة غير كافي لعرض خطورة هذه الانحرافات (ظاهرة السحر) بالنسبة للتقليدية ، هذا يعني اذن أنه يمكننا من التجديد البسيط الافضاء الى الشرك و نتيجته الحتمية الكفر، و هما سلوكان ينمان عن الزندقة و يستحقان العقاب. و ليس هناك أدنى شك في أن هذه الممارسات السحرية مناقضة للفكر الا سلا مي و رسالته، اذ يبدو أنها تلجأ للتفاخر كوسيلة للتنافس بين الجماعات الا جتماعية مما يحولها بشكل ملموس عن أهدافها الرئيسية (أى الدينية) .

أما الشيخ (أبو - جرة سلطاني) فيقول أن السحر معروف و قديم قدم البشرية و قد ذكر في القرآن الكريم (63) مرة في أمر موسى الذى تحدى فرعون و بين أن الشياطين هم الذين كذبوا على الناس و يعلمونهم السحر،والسحر صنعة شياطنية و لا يجوز تعلم السحر حتى ولو للمنفعة الشخصية ، و يضيف أن السحر هذا لا يقدر الناس أن يضروا به أحد ا الا باذ ن الله ، و تتركز ممارسته حول الزواج و الطلا ق (1) و ما يجرى بين الزوج و حماته و أهل البيت حول محور العلا قات الزوجية، و لذلك يقول من هنا نسمع أن النساء تلجأ اليه قبل الزواج في أغلب الا حيان وهؤلاء النساء في الغالب أميات، و جاهلا ت وهو موجود في الا رياف و المدن الصغرى التي يكثر فيها النزوح الريفي ، و السحر جانب سلبي كله والشيء الايجابي الوحيد فيه هو العلا ج لازالته و أن ازالته تكون بتفوير الريش و بالحرباء(2) ، و هذا كله نوع من الدروشة حسب رأيه .

---

(1) أى العلا قة العائلية كما عبر عنها (و يتيس)

(2) أنظر الا سطورة الخامسة في الملحق .

لقد حوربت هذه الممارسات من قبل الحركة الاصلاحية منذ و لادتها والثورة الجزائرية و ضعت حدا لهذه البدع المسيئة لرسالة القرآن و فعالية النضال في سبيل التحرر، و ان يكن هذا الشرك قد ظهر بعد الاستقلال ، فذلك يدل على اهمال مرحلتين من جانب السلطة الدينية ، و لسوف تباشر الادارة الوزارية منذ الان كما يقول (حماني) بوضع الامور في نصابها لتمنع هذا الميل الاحيائي السيىء على أكثر من صعيد .

يقول " حماني" في هذا الشأن : انني في الحقيقة متفائل جدا لانني واثق من القوى الحيوية في الامة (الشبيبة) اذ اختاروا درب الدين و يمكنني على سبيل المثال أن أقدر نسبة تردد الشبيبة على المساجد بأكثر من 70 ٪.يتضح أخيرا أن هذه الظاهرة مرتبطة أحيانا و بصورة تلقائية و حتى بشكل غامض جدا مع التغيرات العديدة التي أصابت المجتمع الجزائرى في بعده المديني ، يقول أحد الفقهاء في هذا الصدد : " أنا لا أفهم ما يجول في رأس الجزائريين فهم لا يدرون ما يفعلون و لا يعرفون درب الحقيقة ، ربما يكون ذلك نتيجة كل هذه التجديدات التي تأتينا من الخارج (الغزوالثقافي) .

رأى الا خصائيين في طب التسمم :

يتفق الا خصائيون في طب التسمم على أن حالات الموت بالسحر أوالشعوذة كثيرة جدا ، و متعددة و أن ما يعتقد به الناس من أنه يؤدى الى أسباب ناجحة اجتماعيا في كون السحر يجعل من شخص معين يميل أو يتزوج بفتاة معينة و هذا راجع فقط لكون موضوع السحر له اقتناع كبير و أن الجماعة هي التي تشترك فيه و التي تعيش فيها الضحية وأن المسحور بعد تلقيه السحر يبدو للناس على أنه الميت الحي " لان شخصيته الا جتماعية تزول بتاتا كمفعول الخوف الذى يقتل الفكر أو النسق العصبي و الذى ينتهي بعدم أداء الجسم و ظائفه كما ينبغي و يحدث بذلك خللا في الجسم ، مما يؤدى الى انخفاض في حجم الدم والضغط المسؤول عن اضطرابات الدورة الدموية ،وهذا الخوف يصبح عنصرا مباشرا في فقدان الشهية مما يسبب نشف في الجسم و تشقق في الشرايين ، ثم انخفاض آخر في حجم الدم فالموت أجلا أم عاجلا ،بسبب هذا التسمم الحقيقي الذى يسميه الناس السحر .

كما يسبب السحر في فقدان الوعي و أحيانا الجنون اللهم الا اذا تدخلت قوة الله عادة لانقاذ المسحور.

فمثلا المرأة التي تريد أن تسأل العفاريت تخرج من بيتها معصوبة العينين و تأخذ بالصدفة في أصابعها كمية منالتراب من و سط الطريق و تعود و هي تردد هذه الكلمات "أرقدت المزعزع من حجر أمه ما أنرده شيء لمضربه حتى يهدر لي كل شيء بمفه" ثم تضع هذه المرأة كمية التراب على سريرها و تنام معها،فترى في منامها امرأة جميلة و أحيانا فوج من سبع نساء جميلا ت تجبنها عن أسئلتهاثم تعود بالكمية الى مكانها الاصلي بشرط أن تضحى بأحد أقاربها سواء بقتله أو باصابته بمرض عقلى.

يقول أطباء التسمم مثلا أن مثلهذه الا مور قد تكون لها مصداقية اذا اتصلت الساحرات بالعفاريت و هذا السحر موجود صداه في القرآن الكريم،أما أن يزرع نوعا من الكراهية أوالمحبة في قلوب الضحايا فهذا لا أساس له من الناحية العلمية لانه يتسبب في أمراض خطيرة فقط كالجنون أوالموت أو فقدان الوعي أواحداث قيء أو البكم بسبب الوقوع تحت صدمة معينة .

يقال أن أحدى النساء بعدما رددت هذه الكلمات (1) و سلمت على جارتها و نامت وجدتنفسها في صباح الغد بكماء و يقول المتخصصون أن هذه القارئات أو الساحرات كلهن كافرات لانه

---

(1) فوجي يالعابس يالي كنت أخضروا من بعد أرجعت يابس - ماذا دخلت من اعرايس أو ماذا خرجت منابرايس - اتجيب لي سعدى ولو يكون بالبحر غايس- سعدى بين السعود ايجيني و الناس ارقود - الي من سعدى يسمعنى من الا حرار ولا من العباد.

لا أحد يعلم الغيب الا الله فكيف بتلك المرأة اصدار أحكاما تسعد بها أناس و تشقى آخرين و لا تصدر أحكاما لنفسها فتسعدها من البؤس و التعاسة التي تعيشها هي ، يجب على الا نسان أن لا يصدق كل عرافة و يرفض أن يكون عبدا لها و لاحكامها .

ان السحر حسب الطبيب (توارى محمود) المختص في الامراض العقلية ما هو الا طب تقليدى ولا يعالج بالطريقة العلمية والمتطورة الحديثة وهو ما نسميه بـ "COTHERAPIE" فمثلا في (داكار) بالسنغال هناك الدروشة المستعملة في علاج الا مراض العصبية في المستشفى اذ خصص لها مصلحة و لكن هذا ليس معناه التخلص من التداوى بالوسائل الطبية الجديدة الا أن هذا يعتبر حسب رأيه عائقا أمام التقدم العلمى و لذلك لا يجب التوقف عند هذا الحد رغم نجاحه أحيانا في علا ج أمراض الهستيريا مثلا .

التحقق من الفرضيـــات :

- التحقق من الفرضية الجزئية الا ولى :

انطلا قا من كون الا سطورة وسيلة تعبير عن المجتمع القبائلي وهذا بناء على التأويلات السوسيولوجية المتوصل اليها أو المستخلصة من المحاور المدروسة أوالمحللة ، و انطلا قـا من كونها اذن جزء منالواقع الخاص بهذا المجتمع ،نقول أنها بعيدة عن الخيال والخرافـة الى حد ما ، بسبب ايمان و تمسك الشعب بها و تطبيق مضمونها في حياتهم اليومية .

ان هؤلاء الافراد يخلقون ما يسمى بالتلا وُم و التفاهم فيما بينهم مما جعلهم يتفقون و يكونون جماعات محلية أو مجموعات كبيرة و أحيانا فئات صغيرة ، المتمثلة في الممارسين لها من جهة (السحارات) و المترددون عليهن (الزوار) من جهة ثانية والمؤمنون بها (المصدقين لها) مـن جهة ثالثة : و أن هذا التلا وُم أو التراضي بتعبير آخر هو في صالح كل هؤلاء مما يتسبـب في استمرارية ظاهرة السحر و ثبوتها في بنية المجتمع القبائلي السوسيوـثقافية ،وهذا ان دل على شيء، انما يدل على العلا قة الجدلية العميقة الموجودة بين المجموعات الثلا ث المذكورة اذا كلما ازداد عدد الزوار كلما كانللساحرات دورا أكبر في تشويه الحقائق، و كلما ارتفعت درجة ايمان الا فراد بها و تصديقهم لها ، كلما ساهمت في زيادة درجة نجاح الساحرات في تحطيم العلا قات الا نسانية لان زوال هذه الفئة منالنساء متوقف و مرهون بزوال الفئـات الاولى من زائرات و مصدقات. ان الرؤية المطابقة و القريبة بينالا ساطير و الواقع و تعبيرها عنه في مجال الممارسات السحرية ، جعل الا فراد في المجتمع القبائلي يتعاملون مع نفـس الرموز و نفس المفاهيم و بالتالي نفس الا فكار مما يقضي على أى نوع منالتناقض بينهم ، فيدفعهم الى المشاركة في الحفاظ علىهذه الا يديولوجية في جميع ميادين الحياة الا جتماعيـة و العملية ، وهذا ما يسمح بصفة مباشرة أو غير مباشرة لظاهرة السحر بالبقاء و الا ستمراريـة في هذا المجتمع منجهة ، و أداء وظيفة الا ندماج الا جتماعي بين الا فراد من جهة أخرى الذى يظهر في التلا وُم والتراضي المتبادل و الا تفاق فيما بينهم ، في نمط التفكير البشرى الذى يبدو واضحا فى الممارسة الواقعية للسحر و التعبير عنه في النصوص ، وهذا في الغالب بسبب الصدفة التى تلعب دورا فعالا في هذا الا طار فمثلا (خالتى الجوهر) عجوز في الخمسين مـن العمر لم تقصد القزانة أو الساحرة في حياتها أبدا ، و لم تؤمن بما تقوله اطلاقا ، لكن فـي يوم منالا يام بينما كانت رفقة أختيها باتجاه " عين الماء " لمحت من بعيد احدى الساحرات ترافق ابنها ، و لما و صلت اليهن طلبت منها أن تعطيها كفها فامتنعت،و طلبت من أختهـا الثانية رفضت لكن الثالثة أعطتها كفها ، نظرت اليه طويلا ثم قالت لها :

" أنتن ثلا ث أخوات قلوبكن منواة يعني حزينة وراكم ذليلات ربي راح يخفف قرعتكـــن وكل واحدة فيكم ترجع سعيدة " . و بالفعل فقد كان كلامها صادقا لان (خالتي الجـوهر) و أختيها كانتا حزينات لانهن فقدن أمهن ، في تلك الا يام ، أما بالنسبة لكلمة ذليلات فمعناها قليلات الرجال و فعلا فقد كان لهن أخ واحد فقط، و بعد أيام من رحيل تلـك الساحرة عن ديارهن خطبت هي و آختها الثانية وهكذا كانت بالفعل قرعتهن خفيفـــة و تزوجن.و منذ ذلك اليوم أصبحت (الجوهر) كلما حدث لها شيئا أفزعها أو أقلقهـــا الا و أرتدت ملا ء متها و توكلت على اللهطالبة بيتا من بيوت الساحرات .

ان حقيقة ما أظهره لنا التحليل السوسيولوجي هو أنالتأليف الا جتماعي في ما بيـــن هذه الظواهر الثقافية هوالمعيار الحقيقي لوحدتها (الترابط،التفاعل،التواصل)فالاعتقادى هو هذا الرابط الداخلي بين كافة الظواهر التى تناولها بحثنا (المحاور العشر) والانسان الاعتقادى القبائلي يبدو لنا من خلا ل النصوص والواقع معا ، مقهورا مغلوبا على أمـــره مسحورا مبهور ا بسلطان معتقداته و كأن هذه الا عتقادات و الطقوس استحالت الى نوع من الزعامة الباهرة في المجتمع القبائلي .

التحقق من الفرضية الجزئية الثانية :

ان استمرارية الا سطورة تكمن في كونها تعطى هوية ماضي تاريخ معين، تعطي هوية لكل أعضاء الجماعة فهم يحددون أنفسهم و مواقعهم عبرها، كما تعمل على اقامة أواصر التضامن و المحبة و تقوية عصبية أفراد الجماعات الا جتماعية، ان الخلا فات بين الا فراد مثلا بين الزوج و زوجته تعبير أحيانا على أن الشيطان قد لعب بعقل أحد الا طراف و بذلك يكتفي بهذا التفسير عن الدخول في تفاصيل الموضوع و البحث عن أسبابه الحقيقية ،وان كان الا نسان العربي المتعلم قد بدأ تدريجيا و ببطء شديد يتخلص من بعض المظاهر التشكيلية للخرافة فان الميكانيكية الخرافية ما زالت تعمل في العقل العربي لتعطيل الميكانيكية العقلا نية العلمية ، ذلك أن مفهوم الشيطان أو الا فكار الخرافية عموما تحرم العقل العربي من ادوات التحليل العلمية و التي تتطلب عادة قدرا كبيرا من الجهد و المتابعة و المسؤولية .

ان كون الجماهير تقبل ما يقال لها باسم العلم راجع الى حد كبير لسبب جهلها معنى العلم واذا عرفته تعرفه على شكل معلومات و عبارات محفوظة لا تعرفه على أنه شك و تجربة و اختبار و معلومات ، تجرد و بحث و أدلة و خبرة و ممارسة و حرية ، وانطلاق و خلق وثقة بعقل الانسان .

ان التقاليد الا جتماعية والعادات بما فيها من كبت و قهر و تسلط طبقي من جهة و تسلط الرجل على المرأة من جهة أخرى (1) و حالة الانغلا ق و التزمت الا جتماعي تجعل من ظاهرة الممارسات السحرية أداة للتلا عب يقوم بها الفرد حين تدفعه الحاجة و حين يعجز عن تحقيق غاية معينة بالوسائل التي يرضى عنها المجتمع ، ان فقر الطبقات الدنيا يجعلها في كثير من الا حيان عاجزة على اتباع الوسائل العصرية في حل أكثر مشاكلها ، وخاصة تلك الا كثر التصاقا بنشاطاتها المعيشية مثل الا مراض و المشاكل الاجتماعية كالزواج و الا نجاب، وكون ابناء الطبقات الدنيا فى أسفل السلم الا جتماعى يعني بالضرورة كونها أكثر الطبقات معاناة للكبت و الحرمان الا جتماعي والاقتصادى والسياسى و بحكم جهلها و قلة وعيها الديني ، والغدام الا مكانات لديها الى القبول بالحلول الخرافية كسبيل لمواجهة الواقع و الا ستغراق في الا وهام و الاحلا م الخرافية ، التي تحمل في ثناياها الثروة و الصحة والسعادة الدائمة ، كما أن ربط الخرافة بالدين سواء أصلا أو افتراضيا مع الزمن يكسبها قوة و يدفع الجماهير الجاهلة الى قبولها و تصديقها مما يتيح لمحترفي الشعوذة في المجتمع فرصة أكبر لاكتساب مكانة أكبر على الصعيدين الا قتصادى والاجتماعي

(1) انظر محور صورة المرأة و الرجل في المجتمع القبائلي .

ان الدلالة السوسيولوجية للخرافة والطقوس السحرية هي الا لتجاء من داخل المجتمع ، الى قوة خارجية كالسبحة فى الا ستخارة والكلمة في الا ستعاذة ، وبالطبع لا نقصد هنـــا أن السبحة الكلمة ليست من انتاج المجتمع بل نقصد بالقوة الخارجية الدور الاعتقاد ى الفوقي و غير العادى المعطى للسبحة أوالكلمة . ان الا عتقاد الكلي بقوة الكلمة المقدسة فوق الكلمة الا جتماعية العادية يعطي اذن للظواهر المدروسة سوسيولوجية مميزة ،فالكلمة لم تعد محمولا اجتماعيا للتقافة ، بل انقلبت الى أداة فعل و توجيه متفوقة : فهى تـدفع الاذى عن الشخص العائدٌ كما في صيغة (أعوذ بالله من شر كذا) وهي تلحق الا ذى بشخص آخر (كما في الدعاء على الشخص)، و لهذا السبب نجد لها صدى كبير في أذهان ونفوس الا فراد المؤمنون بها ، مما يساهم في خلق نوع من التعاون الا جتماعي فيما بينهم للاستجابة للـ مصالح المشتركة سواء في النصوص أو فى الواقع المعاش نجد نفس صورة المرأة والاسطورة تدعم مكانتها الموجودة فى الحضيض مقارنة بتلك التي يحتلها الرجل في المجتمع القبائلي مما لا يسبب أو ينفي أى تناقض بين نمط تفكير كل جانب، وبالتالي ينفي كل صراع بينهما و يخلق ما يسمى بالاندماج الاجتماعي بين الا فراد الذى يظهر في التعاون على ابقـــاء المرأة في هذه الوضعية سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، بصفة واعية أو غير واعيـة ، بالمحافظة على هذه المفاهيم والتصورات الموجودة في النصوص عن السحر والمرأة والزواج ، و الطلا ق و بقية المواضيع الا جتماعية المدروسة وهذا تجنبا لوقوع أى صراع و ثورة اجتماعية من طرف المرأة مثلا .

لذلك نقول أن كون رؤية و معالجة النصوص للقضايا الا جتماعية المذكورة مطابقا لما هـو موجود في أذهان الا فراد واقعيا ، يخلق التعاون بينهم كمؤشر على الا ندماج الاجتماعي • ان الكلمة السحرية تأخذ كل أشكال قوتها التعبيرية في هذا المستوى الا عتقادى و تبدو الدلالة السوسيولوجية للسحر قائمة في انقلا ب دور الكلمة المكتوبة المحكية : مـــن نتاج ثقافي وتاريخي للمجتمع القبائلى الى قوة متفوقة تلا زم الفرد القبائلي في حالـــة الدناسة (النجاسة) و تستعلى على المجتمع في حالة القداسة فترتفع اعتقاديا الى مكان العبادة في مجتمعنا عبادة الكتاب المكتوب أى عبادة القديس،الكتاب المقدس(مثـل القرآن الكريم) و ذلك بسبب قلة الوعي الديني وانتشار الا مية الخطيرة (7مليون نسمة) من جهة و قابلية ذهنية المجتمع القبائلي لما هو ميتا فيزيقي و خرافي من جهة أكبر.

التحقق من الفرضية العامة (الام):

انطلا قا من كون جميع الظواهر الثقافية متصلة ، متداخلة ، متفاعلة و متصارعة وهي تعبير سوسيولوجي عن الا تصال البشرى و تداخل القوى الا جتماعية تفاعلا و تصارعا ثباتا و تغيرا ، فانه من المشروع علميا التساؤل عن مدى الا تصال الشكلي و المضموني ما بين ظاهرة التمثل الا سطورى ، السحرى و التمثل الديني الا خلا قي و حتى الفلسفي ، أوالحكمى في داخل هذه الثقافة الشعبية المأخوذة على شاكلة ظواهر ، ضمن نصوص شفوية في المجتمع القبائلي خاصة .

ان العقل ينساق بفطرته الى النظر فيما و راء الطبيعة ، و لقد تبين لنا أن الانسان يشعر بحاجته الى هذا النوع من التفكير كلما شعر بنقص العلم وعدم قبرته على سد حاجة حياته الا جتماعية و العقلية ، و ذلك عبر مروره بمختلف مراحل تكوين الذهن البشرى (1) وبالتالي تعتبر الا سطورة شكل من هذا النمط البدائي الخرافي و هي مازالت متداولة الى يومنا هذا ، الا أن الشيء الذى يثير الدهشة فعلا هو سر تطابقها مع الواقع المعاش حاليا و تماشيها مع فكر مغاير لها ، لما وصل اليه من علم و تطور تكنولوجي، و سراستمرارها بهذه الصورة المذهلة .

و لعل هذا يبقى منطقيا الى حد ما اذا علمنا أن ذلك نابع من ظروف التخلف والجمود التي لا زمت المجتمع المسلم لعدة قرون و أصابت شخصيته بالتمزق، فانفصل الفعل عن القول و العمل عن الا يمان و السلوك عن العبادة وانفصل بالتالي الدين عن الدنيا ، مسببا نقصا في هذا الوعي لدى المجتمع القبائلي. انطلا قا من التحليل المقام في هذه الدراسة المتواضعة نقول أنه من المفروض و منطقيا أن تزول ظاهرة الممارسات السحرية فى الوقت الراهن ، لانها جزء لا يتجزء من الفكر البدائي المعبر عنه برواية أسطورية خرافية أكثر من واقعية ، و ذلك لكونها لا تتلاؤم و التطور التكنولوجي العلمي من جهة والذى يحطم هذا النوع والطريقة في معالجة الا مور أو القضايا الا جتماعية ، والدين الاسلا مي الحنيف من جهة أخرى الذى يدعو الى القضاء على كل ما له علا قة بالشعوذة و الخزعبلات واحداث قطيعة فكرية ابستمولوجية معها ، مما يجعل هذا النمط التفكيرى لا يؤدى أية وظيفة في هذا العصر عكس ما كان يؤديه فى زمانه من اندماج اجتماعي بين الا فراد. الا أنه و في الحقيقة غير ذلك بكثير بحيث نجد هذه الوظيفة السوسيولوجية راسخة و متينة و مدعمة جدا في المجتمع القبائلي مما يبرر وجود واستمرار ظاهرة (احشكولد) أوالممارسات

(1) أنظر عنصر مراحل تطور الفكر الا نساني في الجانب النظرى (السوسيوثقافي) للدراسة.

السحرية في بنية هذا المجتمع الذى مازال أفراده قابلين على تقبل معالجة قضاياهم الا جتماعية ، بطريقة بدائية متخلفة ، و لعل هذا ما يفسر تقبلهم لهذه الهرطقة و ايمانهم بها بصورة موضوعية و منطقية بعيدة عن التناقض لانها تعبر عن آراءهم و تخدم مصالحهم في القضايا التي تم تحليلها ، والتي بينت لنا التطابق الموجود بين الا سطورة اللا زمانية و اللا متناهية و الواقع الا جتماعي القبائلي المعاصر.

ان المجتمع ، القبائلي بحكم جهل و أمية عموده الفقرى الذى هو المرأة يساهم بقدر كبير في استمرارية ظاهرة السحر بطريقة مباشرة أو غيرمباشرة و ذلك نظرا للتطابق الكبير الموجود بين الا سطورة كشكل تعبيرى خرافي ، و بنية هذا المجتمع الثقافية و ذلك في موضوع الممارسات السحرية والمسائل الا جتماعية اليومية الا خرى ، ولذلك نجدها تلقى و تحضى برواج كبير فى الذهنيات و لا تسبب أى تناقض في الا راء و النظرة للا شياء ، في العالم الروائي أوالحقيقي،مما يجعل ظاهرة الممارسات السحرية تؤدى وظيفة الاندماج الا جتماعي بين الافراد الذى يبدو واضحا في التلا وُم بينهم من جهة،عند التعامل مع نفس المفاهيم و الصور للا شياء والتعاون بين الا فراد في المجتمع القبائلي من جهة أخرى ، على ابقاء هذه الظاهرة واستمراريتها برسوخها فى الا ذهان و ذلكبتقويتها سواء بالايمان بها أو بممارستها في سبيل تحقيق المصلحة الجماعية ، لان السحر والا سطورة كلها تؤدى وظيفة استلا بية فى مجتمع اعتقادى كالجزائرى عامة و القبائلي منه خاصة المنقاد لثقافة ماضوية و فئوية تنتج الخناقات الفكرية التي تمنع الناس من تغيير عالمهم .

ان المثل الا عتقادى (آمن بالحجر تبرأ) ربما يعطينا مفتاح هذا المجتمع المبني بالمقلوب حيث الا نسان منقاد للا عتقادات و حيث أن دوره الا جتماعي مرهونا و مبنيا على هذا الايمان .

اخيرا ، نقول أن ظاهرة (احشكولن) هذه تحصر كل الاراء و المواقف التي ذكرناها في الجانب النظرى ، بحيث هي فعلا شكل من أشكال الهرطقة و الشعوذة كما يقر بذلك الدين الا سلا مي الحنيف وبالتالي الموقف الخلدوني ، وهي تعتبر أيضا شكلا من أشكال التفكير البدائي لا تساير العصر الحالي كما يقر بذلك أيضا الا تجاه أو الموقف البنيوى ، هذا بالاضافة الى كو نها تؤدى وظيفة الا ندماج الا جتماعي بين الا فراد كما يقر بذلك الاتجاه الوظيفي .

الا أن الكل يتفق في نقطة واحدة وهي وجوب القضاء على الممارسات السحرية كفكر معادى للتقدم والتطور،مما يخلقه من تناقض عند محاولة تعبيره عن بنى المجتمعات البشرية الحالية ، لانها هرطقة حسب الا سلا م و ابن خلدون ، و فكر بدائي متخلف حسب البنيويون

و لها وظيفة فعلا حسب الوظيفيون لكنها تبقى مؤشر عن الفوضوية و اللا معيارية حسب (اميل دوركايم) ، لانها مجر د أفكارمسبقة و تسبب خللا وظيفيا فى بنية المجتمعات الثقافية و الا جتماعية ، نظرا لوجودها في عصر و زمان لا يلا ؤمها و لايتماشى و نمـــظ تفكيرها و معالجتها للا مور .

الا أننا نزفر و نقول ، مهما يكن فانه لا يوجد مجتمع لحد الا ن تمكن من الا ستقلا ل نهائيا من الماضي .

الخـــاتمـــــة :

و هكذا ينتهي هذا البحث على صورة يمكن أن نقول فيه :

أولا : ان الا سطورة أصبحت تمثل اليوم الروح الشعبية الجزائرية عامة و القبائلية خاصة ذلك لانها امتزجت بالبيئات المختلفة حتى أنه لا يتلفظ راو أو راوية الا وهو يروى قصة أسطورة خاصة بنوع من أنواعها المتعددة سواء كانت للتسلية أو لاهداف أخرى،بحيث أصبحت هذه الا سطورة وسيلة من وسائل التعبير لدى الشعب القبائلي ، عما يختلج في فؤاده من عواطف و مشاعر و عما يجيش في خاطره من معتقدات و نزعات ، كما أصبحت أيضا أداة للتصوير آرائه المكنونة و أفكاره العميقة في الاوقات الهامة والمراحل الصعبة التى مر بها أثناء تاريخ الجزائر المجيد.

ثانيـــا : ان الا سطورة كشكل تعبيرى تعد أدبا قويا يتناول موضوعات قريبة من اهتمام الشعب و قضاياه و مشاكله وهنا يبرز دور الا دب الشعبي،و لا سيما في الا سطورة في مخاطبة الشعب بلغة يفهمها و في معالجة موضوعات تمس صميم حياته و تثير كامن مشاعره،و تلهب حماسته، حتى في و قتنا الحالي و ذلك نظرا لكون الذهن الا جتماعي مازال قادرا و مستعدا لتوليد الخرافات و ترويجها ، هروبا من التفسير العلمي للواقع ، و جريا و راء المعجزة التي ينتظر حدوثها بين الحين والاخر.اننا لا نريد أن نرمي هنا الى محاربة الفولكلور ،بل لا بد من تسجيله و دراسته فيبقى منه ما هو صالح للبقاء ملا ئم للعصر، و يزول منه ما لا يمكن أن يبقى ولا يتماشى مع رقى العصر و ذلك بالقضاء على الاوهام والبدع .

اننا نجمع الخرافات و نسجلها و ندرسها كجزء من حياتنا في عصر من عصور هذه الحياة و كما يقول أحد المفكرين (سمنز) : " ان في سبيل التصارع من أجل البقاء تتكون الطرق الشعبية و تنشأبطريقة غير واعية و غير شعورية و بمرور الزمن تبدو ثابتة و أصلية وراسخة (1)".

أخيرا يمكن القول أننا في حاجة الى جهد نظرى كبير لتخليص العقل العربي من آلية التفكير الخرافية ، تلك الا لية التي تفسد هذاالعقل و تجعله عاجزا عن التحدى و الانطلا ق و الا بداع ، و ذلك بالدين لان سلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته و متى قوى هذا السلطان في مجتمع ، كان حميا أبيا لا ترغمه قوة و لا يعنو للقهر حتى ولو افترضنا أن هذهالطقوس والممارسات السحرية ، ليست في نهاية الا مر سوى نتيجة نقل ترسيمات السلوكات التقليدية الى المدن ، وهي تحولات تتم بواسطة الهجرة الريفية . فهي لاتفسر تماما و هيهات أن يتم ذلك استمرارها في هذه المرحلة الغريبة من تاريخ الجزائر حيث

---

(1) ذياب (ف) : القيم و العادات الاجتماعية.بيروت : دار النهضة العربية 1980ص125.

يتعمم القضاء على الا مية من جهة و الصحوة الدينية من جهة أخرى (1).

الا أننا نقر في نـهاية المطاف أنه اذا كانت هذه الدراسة المتواضعة قد أثارت بعض الا سئلة في بدايتها و حاولت الا جابة عليها، فاننا نرجو أن نتمكن في المستقبل مـــن مواصلة تحليل هذا الموضوع الحساس و الخطير و المتشعب معا أو يقوم بذلك غيرنا مـــن الباحثين .

(1) أنظر رأى الفقهاء في تكاثر عدد المساجد و نسبة المترددين عليها .

ملخص الفصـــل الرابع :

ان السحر أو الشعوذة من المنظور الديني ما هو الا بدعة و كفر وهرطقة ، وهو من الانحرافات الدينية الخطيرة لما تسببه من تشويه للدين الاسلا مي و خلق الزندقة ، وهذا راجع حســـب رئيس المجلس الا على الا سلا مي (حماني) الى الفراغ الثقافي الذى خلفه الا ستعمار الفرنسى ، و الذى يكمن في غياب الوعي الديني و انتشار الجهل و الامية ، و يتفق الشيخ (أبو جرة سلطاني) معه فى تحريمه للسحر و كونه شكل من أشكال البدعة المزيفة للواقع الا سلا مي الحقيقي الذى يرجعه أحد الفقهاء الى الغزو الثقافي الغربي، هذا بالاضافـة الى رأى أطباء التسمم الذين ينكرون فعالية هذه الممارسات السحرية في التداوى موضحـة خطورتها على صحة الناس و اصابتهم بامراض عقلية خطيرة من جهة واصـابة ابدانهـــم بالتسمم القاتل في الكثير من الحالات والذى يؤثر على الجهاز العصبي ووظائفه الاساسيـة في تسيير الدم فى الجسم المتسببة في الموت أجلا أم عاجلا من جهة أخرى .

ان الا فراد في المجتمع القبائلي يخلقون ما يسمى بالتلا وُم أو التفاهم الا جتماعي فـــي المواضيع المختلفة التي حللناها وهذا بطبيعة الحال متمثل في الفئات الممارسة للسحـــر أو المتردد ين على السحرة او المؤمنون بهم و بفعالية السحر على الا فراد ،وان استمراريته في بنية هذا المجتمع متوقفة على هذا الا تفاق عبر الا سطورة المؤدى الى التعاون فيمـا بينهم ، هذا ما يوضح مدى استعداد الذهنية القبائلية لتقبل و لمعالجة الا مور بالخرافـة و الميتافيزيقا مما ينفي أى تناقض بين الا سطورة و الواقع والسحر أيضا مما يدفع بطبيعة الحال الى رسوخ هذه الا فة و أداءها و ظيفة الا ندماج الاجتماعي في المجتمع القبائلي ، رغم كونها بدائية كما نادت بهذا المدرسة الوظيفية والبنيوية.الا أن المتفق عليه هـــو كون هذه الظاهرة تخلق خللا وظيفيا و بالتالي وجب القضاء عليها من الوجهة الدينيـــة و الخلدونية .

اننا أخيرا لا ندعو الى القضاء على الفولكلور بقدرما نود شرح فكرة تطهيرة مما هو غيرنافع أى من الخز عبلا ت التي تسيء الى البشرية ، فالادب الشعبي مهما كان بدائيا يبقـى من المنظور السوسيولوجي موضوعا يستحق الدراسة و التحليل لفهم وضعية المجتمع الماضية والحاضرة والمستقبلية دون محاولة تفسير الواقع به،لانه سوف يؤدى لا محالة الى نتائج خاطئة من تشويه الواقع أكثر من فهمه .

الملـــخـــص الشـامـــل :

ان كونالا سطورة الجزائرية عامة و القبائلية خاصة مهددة بالزوال و التهميش كعنصر من عناصر الثقافة الشعبية ، دفعنا بصفة غير مباشرة الى اختيار موضوع السحر عبرهـــــا ، كجانب من جوانب الخرافة الشعبية القبائلية الذى مازال يهدد المجتمع بصفة خاصـــة بالزندقة والتخلف، و معالجة الا مور بطريقة مزيفة لا أساس لها من الصحة لمعرفة الدور الذى تؤديه.هذه الظاهرة في بنية هذا المجتمع السوسيوثقافية؛فتساءلنا بصفة موضوعيـــة عما اذا كانت ستخلق ما يسمى بالتشوش الثقافي أم سوف تؤدى دورها الطبيعي المتمثل في الصراع الاجتماعي بين الا فراد، و ذلك كله عبر آراء متضاربة في هذا المجال منوظيفيون و بنيويون و ابن خلدون بجانب الرأى الا سلا مي ، فهذا ينادى بضرورة بقاءها لاداءهـــا وظيفة الا ندماج الاجتماعي ، في حين ينادى الا خر بضرورة القضاء عليها لكونها زندقـــة و كفر و لكونها فكرا بدائيا يخلق خللا وظيفيا، فافترضنا و فقا لهذا فرضية أداءها وظيفة الا ندماج الا جتماعي الذى يظهر من خلا ل مؤشرى التلا ؤم من جهة والتعاون من جهة ثانية ، وذلك طبعا بالا ضافة الى تحديد المفاهيم السوسيولوجية من وظيفة و ثقافة و تراث شعبي و الا سطورة و السحر و غيرها المتكررة في الدراسة ، هذا مع و صف المنهجيـــة المستعملة و حصر الموضوع و التقنية المستعملة مع و صف مدونة (CORPUS) البحث و ذكر الموضيع و القضايا الا جتماعية ، التي تعرضت لها بالا ضافة الى الموضوع أو المحورالرئيسي المشترك بين الا ساطير العشر ألا وهو السحر ثم تطرقنا في آخر هذا الجانب الاوليللدراسة الى أهم الصعوبات التي واجهتنا و حا لت بيننا و بين توسيع الدراسة .

مما لا شك فيه أن الا سطورة كعنصر شعبي تنتمي دراستها الى سوسيولوجية الفن و الا د ب لكونها نتاجـــا اجتماعيا من جهة ، و كونها عنصرا شفـويا من جهة ثانية المتنقل مـــن وسط الى آخر بواسطة الذاكرة الجماعية ، و المعبر بصدق عنالمجتمعات لكونها نمطـــا فكريا مرتبطا بالعقل البشرى و تطوره عبر العصور مرورا بالمرحلة البدائية ، أواللاهوتية ، فالاميتافيزيقية تم المرحلة العلمية الحالية (حسب أ . كونت) ، و لعل ما يمكن قولـــه هنا هو سر بقاء هذا التخمين (الاسطورة و السحر بكل أنواعه) كخرافة الى يومنا هـــذا مع التعبير عن بنية المجتمعات و أداءها و ظائف كان من المفروض أن تزول ، وهيالتضامن و التماسك الاجتماعيين ، من المعروف أنالمجتمع القبائلي مجتمعا متحفظا و متغلقـــا على نفسه ثقافيا، و تحتل فيه الا سرة أوالعائلة مكانة مهمة جدا ، وهي الوحدة الاجتماعية الصغرى (أخام) و تتكون من عائلتين زواجيتين يعيشون تحت سقف واحد و تحت سلطـــة الجد و مجموعها (تخروبت) التي تشكل في مجموعها (أذروم)اذو شخصية أسطورية وخياليـة

كجد مشترك مقدس. كما يدير شؤون المجتمع مؤسسة (تاجمعت) التي تحل المشاكل الا سرية وهي مجلس يضم عقال القرية، هذه الا خيرة التي تحتل مكانة مرموقة في البنية الاقتصادية للمجتمع القبائلي لكونها تقوم بالنشاطات الا نتاجية و الا ستهلا كية بواسطة الاتصالات بين القرى المجاورة و تتكون من (اذرمان) و فيها يغلب الطابع التعاوني بين الناس ، ضمن كل هذه البنية الا جتماعية نجد الا سطورة و رغم بدائيتها و خرافتها تقترب و تعبر عن مختلف القضايا الحالية لهذا المجتمع ، ففي الوقت الذى نجد فيه مثلا الولد ذوقيمة من طرف الا سرة و المجتمع ، نجد للفتاة القبائلية مكانة حقيرة منخفضة سواء في الرواية أو في الواقع معا، و أن تر بيتها المعتمدة على الحشمة و الطاعة والشرف و العيب، جعلها دائما تعاني من عقدة النقص والجهل بأمور الدين والا مية مما يدفعها بطريقة أو بأخرى الى اللجوء الى السحر كوسيلة للدفاع وتعويض ضعفها تجاه الرجل كحل و انتقام من الوضع السائد، و لكون السحر يضمن لها نوعا من الا من المادى والمعنوى الذى يساعدها على تحمل الحياة و أعبائها ، و ذلك بمختلف الطرق كالتفرقة بين الا زواج و غرس المحبة في قلوبهم تجاه أشخاص معينين أو للنجاح و القضاء على الا عداء كما في الا سطورة الرابعة و الثامنة والثالثة ،التي نجدها تعالج هذه الا مور بالا ساليب الرمزية موضحة جانبا اجتماعيا من حياة القبائل من دوافع ممارسة السحر التي تنجر عنها التماسك و الاندماج الا جتماعيين بين الا فراد، في التلا ؤم و التفاهم بينهم المؤدى الى التعاون على تحقيق المصالح المشتركة خاصة بين النساء، هذا مع الا شارة الى الممارسة الطقوسية حول الاضرحة و الا ولياء المقدسين كطقس (أنزار) للحصول على الغيث (الاسطورة التاسعة) و الايمان بالخزعبلا ت الخاصة بفعالية أعضاء الحيوانات في غرس المحبة و الشر أو الكراهية في قلوب الناس ، و معالجة الامراض النفسية و العقلية بها، هذا مع تطبيقها في الزواج و الطلا ق لما لهذين المجالين من أهمية قصوى في انشاء العلا قات الا جتماعية والتي تتوقف عليها المكانة التي قد تحتلها المرأة و بالتالي الصورة التي سوف تحضى بها في أذهان الناس ، هذه المكانة التي تتسم بالكراهية والحقرة و السوء فى حالة الطلا ق أوالعقم في حين تتسم بنوع من الا حترام في حالة كونها زوجة و أما للا ولاد الذكور،هذه المكانة التي تخلصها من مشاكل ثانوية كتعدد الزوجات أو اللجوء للعلا قات الجنسية الغير شرعية لتحقيق هدف معين للحفاظ على بيتها و زوجها . كل هذا يساهم في ابقاء ظاهرة السحر و ممارسة المرأة له مما يخلق تضامنا اجتماعيا بين الزائرة والمؤمنة بالسحر و التي تمارسه بطبيعة الحال مما يجعل أو يسمح للظاهرة البقاء و الاستمرارية في بنية المجتمع القبائلي .

ان سر بقاء دلالة الا سطورة السوسيولوجية اليوم مرهونا بخلود الفولكلورية والخرافة و لهذا تعتبر الذاكرة المستمرة التي نتعرف بها على الهوية الحقة للشعوب، فقد برهن لنا التحليل السوسيولوجي لهذه النصوص الخاصة بالسحر الا قتراب الكبير بينها و بين الواقع الحالي في كل القضايا الا جتماعية التي طرحنا ها من زواج و طلا ق و صورة المرأة والرجل و أصل السحر و غيرها مما يجعلنا نقرأنها ليست ضرب خرافة محضة من جهة وأنها و السحر رغم كونهما فكرين بدائيين ، و محاربة الاسلا م لهما كبدع، الا أنهما مازالا يؤديان وظيفة سوسيولوجية في بنية هذا المجتمع آلا و هي التماسك أوالا ندماج الاجتماعي الظاهر في التلا وُم والتعاون بينالناس مشكلين بهذا ،العصبية الخاصة بالتقاليد حسب تعبير (ابن خلدون) هذه الوظيفة التي من المفروض أن تلعبها فقط في فترة زمنية محددة بعيدة عن الوقت الحالي ، الذى يسعى فيه العالم الى تفسير الا مور بالعقلا نية والمنطق العلمي، و فى الوقت الذى يسعى فيه الا سلا م الى تخليص الفكر البشرى من الخزعبلات والبدع التي تشوه الواقع و تحقق التناقض الا جتماعي بينالناس . ان استمرارية السحر عبر فكر الاسطورة مرهونة بالا تفاق بين الناس في الا راء و الافكار والمفاهيم مما يدفعهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى التعاون للمصالح المشتركة و بالتالي الحفاظ على نفس النظرة للاشياء وهذا راجع الى تنشئة الا جتماعية الواحدة مما يرسخ الفكر الخرافي في الذهنية القبائلية ، و بقاءه بطريقة أو بدرجة قوية كما أشارت الى ذلك المدرسة الوظيفية بحيث تؤدى وظيفة الا ندماج بين الناس،عكس العلا مة ابن خلدون والتيار الا سلا مي الذين يحاربانه لكونه يخلق تناقضا و هو كفر و زندقة و فكر بدائي متوحش حسب البنيويون ،الا أن الكل يتفق على أن هذه الظاهرة تخلق تشوشا ثقافيا رغم وظيفتها و تعبر عما سماه (ا.دوركايم) بالخلل الوظيفي . الا أننا نقول أنه مهما كان الفكر بدائيا و خرافيا الا أنه يساهم سوسيولوجيا في اثراء البحث العلمي و الثقافة الشعبية و لذلك ندعوالى ضرورة جمعه و دراسته موضوعيا مع حسن استخدامه دون تشويه الواقع كماهوالحال بالنسبة للسحر في وقتنا الحالي ، الذى يدمر البشرية أكثر مما يصلحها .

" Quatre obstacles principaux empèchent l'homme aussi erudit soit - il d'accéder à la vérite, de sorte qu'il est presque impossible à quiconque d'acquérir un droit inconteste au savoir, se sont :
Laz soumission à une autorité imparfaite et méprisable, le poids de la coutume, les préjugés populaires et la dissimulation de sa propre ignorance sous un prompeux etalage de savoir".

- ROGER BACON -

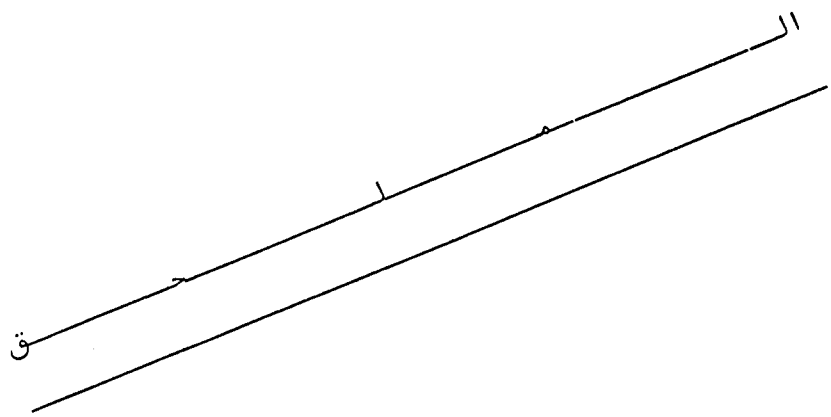
ا
م
ا
ح
ق

Machaho ! tellem chaho ! c'est la formule incomprise mais toujours évocatrice par laquelle s'ouvrent tous les contes et les légendes que depuis des temps trés anciens, les vieilles grands mères bérbères de kabylie, rédisent à leurs petits enfants (et aussi à ceux qui le sont moins).
c'est la marque de l'ancienneté c'est aussi le magique sésamme la formule, qui donne accés au monde à la fois étrange et familier, ou toutes les merveille sont à portée de disir et tous les rèves ou cruellement deçus - comme dans la réalité, tous ces contes et légendes sont oraux.
Ils ont pour venir jusqu'à nous, traversée des dizaines de générations. Peut être vivent - ils les dernières années ou nous pouvons les entendre encore sous cette forme d'autre jeux, d'autres modes de dire et de réveler -(de réver?) les remplacent. Il était donc grand temps de leur donner même cette vie demi - morte de l'écrit qui les réduit, les modifie mais en sauve au moins l'image!!.

- Mouloud - Mammerie.

الا سطـــورة الاولـــى :

كان هناك رجل يعيش مع زوجته وابنتهما الوحيدة ، و في أحد الا يام وجد الا ب عصفـورا أحضره للبنت لتلعب به . حذرها و أمها من هروبه ، لكنه هرب في الليلة التاليـــــة ، و لما عاد الاب طرد زوجته و ابنته معا ، فذهبتا الى الغابة المتوحشة و أخذتا تمشيان حتى التقيتا بلبوءة ، التي أخفتهما فوق شجرة كبيرة . و لما عادت الحيوانات من الصيد شم الا سد رائحة بشر و أخذ يبحث لكن دون جدوى .

لكن خوف الطفلة الشديد جعلها تبكي بكثرة حتى أسقطت دمعة على رجل الاسد الذى أرسل نملة للتأكد من الا مر فقتلتها الا م ، ثم أرسل الا سد ثعبانا كبيرا لسع الا م و سقطت جثتها على الا رض و لقد كانت حاملا . أكلتها كل الحيوانات الا اللبوءة التي قررت أخذ الرضيع على أنه حصتها . في الصباح اليوم التالى أعطت اللبوءة الجنين للطفلة طالبة منها الفرار و أن ترضعه من عظا م أمها و نخاعها الشوكي ، و لما كبر الولد و تزوج ، عاش فترة في سعادة ، لكن الزوجة الجديدة كانت تكره الفتاة كرها شديدا ، فأرادت التخلـــص منها بأية طريقة فأعطت لزوجها يوما و جبة غذاء فيها بيض تعابين مع ترديد بعض الصيغ السحرية عليها حتى يكره أخته و يرميها ، كما أعطت للفتاة وجبة غداء أخرى من سم ثعبان. و لما أكلتها انتفخ بطنها كأنها حامل ، ثم ذهبت و أخبرت زوجها أن أخته حاملا ليتـــم طردها خوفا من العار والفضيحة .

في صباح الغد ذهبت المرأة و زوجها الى الغابة مع الا خت و تركاها هناك، وفى تلـــك الليلة و جدها فارسا شجاعا و تزوجها و عاشا في هناء مع ابنهما الوحيد .

لكن فى يوم من الا يام طلب الا بن زيارة أخواله ، فلبت الا م الدعوة بشرط أن تتنكـــر ففعلت كأنها متسولة في لباسها و ذهبت مع ابنها عند أخيها و زوجته ، و طلبت منهمـــا أن تقضي وولدها الليلة عندهما فوافقا . و لما حان الليل طلب الولد من أمه أن تقـص عليه حكاية أو أسطورة جميلة فأخذت تقص حكايتها هي منذ البداية ، و ما كادت تنهيهـــا حتى رأت أخاها و زوجته تبلعهما الارض بشدة و كادا يغرقا ، فأسرعت لتنقذ أخيهـــا ، لكن فات الا وان و لم تسحب في أصابعها الا شعره ، و قال أنه و هكذا صار الشعر مستعملا في السحر لتمثيل الا شخاص المعنيين بالامر . كما يقال أنه هو أصل الحبل الذى تغسل به النساء الا واني في البيت و كذلك صارت النساء و نسبة لهذه الا سطورة تؤمن بفعاليـــة بيض التعابين في الممارسات السحرية لزرع الكراهية بين الناس .

الا سطورة الثانيـــة :

يقال أنه كانت تعيش أسرة من الا غوال في غابة كبيرة ، و لما رأت الا م أن لديها كثير من الا بناء ، أرادت احضار فتاة تساعدها في أشغال البيت. فأحضرت واحدة ، وطلبت منها أن تدخل كل الغرف ماعدا واحدة ، لكن الفتاة بحب استطلا عها دخلتها ووجدتهـــا مملوءة بالمجوهرات فأخذت تسرق البعض منها ، و كانت تكسر الا واني والاثاث و تقتـــل حيوانات الغولة.و لما رأت هذه الا خيرة عملها هذا طردتها و أحضرت فتاة أخرى التى كانت تعمل بكل اخلا ص ووفاء و احترمت رغبة الغولة فى عدم الدخول الى الغرفة الممنوعة من طرفها .

و في يوم من أ يام زواج الفتاتين معا ، ذهبت الغولة لزيارتهما لتعطي لكلو احـــــدة منهما هدية العرس فأعطت للا ولى كيسا مملوءا يحوى على : ثعبان ،ضفدع و قط قائلة لها : " ZBING ZBING, LALLA TEREBBID KHOU, KHOU ".

يعني الشيء السيء يقابل السلوك السيء ، وهي الا دوات التي تستعمل في السحر، و لذلك عاشتتلك الفتاة طول حياتهاحزينة و شقية ، في حين أعطت للفتاة الثانية كيسا فيه جواهر قائلة لها :

" ZBING , ZBING , LALLA THEREBBID LOU, LOU ".

أى العكس، الشيء الجميل يقابل السلوك الجميل وعاشت الفتاة سعيدة طول الحياة .

الا سطورة الثالثة :

كان في قديم الزمان أحد السلا طين و له خمسون ولد، و طلب من سلطان الا لهة الحضور يوما ليتغدى عنده ، و لما حضر أعطاه لحم أحد أبناءه ليعرف عما اذا كان فعلاالهها أم لا. و لما علم الا له بالا مر ضرب الصحن علىالحائط و ذهب وارتفع الى السماء و قرر أن يقتل كل الناس فأعطى اعصارا شديدا أهلك كل شيء، و لم يبق الا رجلا وزوجته الذين أنشأ قاربا صغيرا بقيا يسبحان فيه مدة تسع أيام و ليالي ، و في اليوم العاشر وصلا الى جبل بقيا فيه . (لكن لما رأى الرب أنالعالم زال و لم يبق الا هما حن عليهما و أرجع للعالم حياته و جماله . فبكى الرجل و زوجته و أخذا يتضرعان الا له لمعرفة سبب عمله بالبشر فرد عليهما : " غطوا وجوهكما و ارميا وراءكما عندما تمشيان عظام جدتكما " . فلم يفهما معنى هذا القول و أخذا يفكران حتى قال الرجل ، فهمتاان الجدة هي الا رض والعظام هي الحجارة. و قاما يرميانها فعلا فكانت تتحول الحجارة التي كانت تلقيها الزوجة الى نساء في حين تتحول الاخرى التي كان يلقيهاهوالىرجال . و لهذا يقال و نسبة لهذه الاسطورة أنالا نسان صار شريرا و قاسيا جدا لان أصله من الحجر وهو الساحر بصفة خاصة .

الاسطورة الرابعـــــة :

يقال أنه كان أحد السلا طنة متزوجا، و لما حملت زوجته مرة و أنجبت له جنا (عفريتا) سرعان ما التحق بمملكة الا رواح ، غضب السلطان وتزوج مرة أخرى و انجبت له زوجته جنا التحـــق هو الاخر بعالمه . فتزوج السلطان مرة و مرة و مرة حتى وصل الى ستين زوجة ، و كانـــــت دائما نفس النتيجة . غضب الملك و جمع أهل القرية كلهم و طلب منهم أن يدلوه علـــــى حل لا بقاء ابنه معه . فتكلم شيخ القرية الحكيم قائلا : " يا أيها الملك يبدو أن اللـــــه لم يرد هذه المرة أن يكون صاحب السلطة من بني و من بطن بشر " .

و بعد هذا تزوج السلطان بجنية أنجبت له أمراء كثيرون و يقال أن هؤلاء هم الحكام القبائليون الاوائل و كما يقال أنه و نسبة لهذه الا سطورة أن القبائل معروفين بالاتصال بالارواح الشريرة و استخدامهم للممارسات السحرية لان أصلهم منها .

الا سطورة الخامســـة :

كان يعيش رجل وزوجته بخير و سعادة الى أن تدخلت يوما احدى النساء فسحرت الزوج حتى يتقبلها كزوجة ثانية له و بعد ذلك نسى امرأته الاولى و أولاده كلهم نسيانا كبيرا، رغـــم أنهم كانوا يعيشون تحت سقف واحد . و لكن في احدى المرات و لما رجعت الزوجة الاولى من الغابة حاملة حزمة حطب و وضعتها على النار للتدفئة ، و فجأة استفاق الزوج مـــن غيبوبته و سحره واندهشت عندما رأت خلخال الزوجة الثانية الذى كان في رجلها ينقســم الى ثلا ثة اقسام فنظرت الزوجة الا م الى النار فرأت أن هناك حرباء تحترق فعرفـــت أنها هي السبب في زوال مفعول السحر فهر بت الزوجة الساحرة بعدما انكشف أمرها .

أما الزوج فسأل عن حال أبناءه و أين كانوا كل هذه المدة الطويلة . ثم ذهبت الزوجـــة الا م الى الحرباء و أخذت جسدها و قالت ما يلي :

" أعاهدك أيتها الحرباء التي حطمت الخلخال على ثلا ثة أجزاء انني سوف أخذك أينمـــا ذهبت " .

" أعهد غكم أثاثا بيضان أخلخال ، أفثلا ثة ، أرندا أديغ أر تسدوض بيذى ".

و منذ ذلك الوقت أصبحت الحرباء تستعمل للتبخير بها و حرقها لا زالة مفعول واثار السحـر عند القبائل .

الا سطورة السادســـة :

يقال أنه في يوم من الا يام خرج خبر جديد في السوق مفاده أنه ابتداء من ذلك اليـــوم فسوف تتزوج الفتيات من الشيوخ و العجائز فسوف تتزوج من الشبان فأخذت الفتيات تصرخ و تبكي في حين فرحت العجوزات الشريرات كثيرا و قلن لتبرير القول :

لا حق لكن أيتها الشابات في المعارضة لاننا منذ الا زل و الر جل قوامون على النساء ثم أنهم أدرى بمصلحتكن من أنفسكن لذلك هم المسؤولون علينا جميعا مدى الدهر.

و منذ ذلك اليوم و كما تقول الا سطورة صارت النساء تحت سيطرة الرجال في كل الا مـــور و هذا سر لجوءهن الى السحر لتعويض ضعفهن تجاه الجنس الخشن .

WIN INTERREN ADIQLILEH,

Yeffey uberrah di ssuq. nnan as : " tura, akka dassawen , timyarin ad ttayent ilmez yen - tilmezyin ad tt ayent imyaren". tilmezyin la trunt - nnantas:

" nekkwentiur nebyi ara imyaren, dilmezyen inebya.

Mattimyarin nnantas : " tura nekkwenti, macci d nekkewenti i gezran, dirgazen i gruhen ar ssuq dintni i gezran amek ara xedmen!".

الاسطورة السابعـــة :

يقال أن أصل العجوزات الشريرات اليوم هى ساحرة كبرى وهي (أم الدنيا) التي ذهبت يوما في نهاية شهر جانفي الى الجبل راعية أغنامها قائلة لهذا الشهر : اللعنة عليـك يا يناير خرجت و معي أغنامي رغما عنك " فغضب شهر يناير و طلب من شهر فيفرى أن يعيره 7 أيام فقط لينتقم من الساحرة ، فوافق الشهر الجار، و عصف شهر جانفي و أمطر و أثلج لمدة أسبوع كامل حتى تجمدتالساحرة و أغنامها .

و يقال أنه منذ ذلك اليوم صار عدد كبير من الساحرات يموت في هذه الفترة من السنـــة و يـــفـــســـبـــــر هكذا سبب كون كل العجائز القبائليات شريرات لان اصلهن ساحرة ماكرة .

كما يقال أن جثة العجوز و أغنامها أصبحوا تماثيل و مازالوا في جبال جرجرة الى يومناهذا.

الا سطورةالثامنة :

كان هناك أمرأة غادرها زوجها عدة سنوات ، ولما ذهبت الى ساحرة أرجعته لها بخلط الماء و القطران والجاوى ورددت عليها بعض الصيغ السحرية فاسقطت القمر على صحن كبير، و طلبت من الزبونة أن تقبل التضحية بأعز مخلوق لديها .

و ذلك لكي تتمكن منارجاع القمر الى مكانه فوافقت المرأة و ضحت بوالدتها . و منذ ذلك اليوم صارت النساء الساحرات قاسيات جدا عندما يتعلق الا مر بالتضحية في سبيل الممارسات السحرية لدرجة قتل صبي برىء لاستعمال الا صابع في فتل الطعام .

و لقد غنى المطرب القبائلي المرحوم " سليمان عازم " هذه الا سطورة هذا هو نصها بالقبائلية :

- AKKA IDNNAD -

AKKAGI I D IFFEY LEXBAR

NNAN T ID MKUL MKAN

LUKAN D SSEH A INZER

YIBBAS LABUD AD - DIBAN

MA YELLA D LEKDEB NESTEYFER

LHASULIN AKA ID NNAN

TAMYART TEHREC D AYEN KAN

TETTAWI D MKUL SSHUR

TEXLED QEDRAN D WAMAN :

SL GAWI TYEDLD AGGEUR

MIDIHDER A TTER S'AMKAN

DWIN AAZIZEN AY TYUR.

الا سطورة التاسعـــة :

كان في قديم الزمان عفريت يدعى " آنزار" وهو سيد المطر و كان يريد الزواج من أجمـل فتاة على وجه الا رض ،بحيث تلمع في كل مكان في نفس الوقت الذى يلمع فيه البدر فـي السماء .

و كان من عادة هذه الفتاة التي كانت تسكن بقرية صغيرة في منطقة القبائل ـ الا غتسـال و الا ستحمام في الواد الفضي . و لما ينزل أنزار عليها تهرب خائفة .

و ذات مرة استطاع أن يمسكها و يقول لها :

شققـت ، عظمـة السماء كاللمعان

يا ألمع نجم ، اعطـني كنـــز ك

والا حرمتـــك مـــن المـــاء .

فردت الفتاة الجميلة :

أتوسل اليك ياسيـــد المـطـــــر

على الجبيـــن المزيـــن بالمرجـان

أعـــرف أننا خلقنـــا لبعضـنـــــا

ولكني أشك في ما يقوله الناس عنـــي

وعند سماعه هذه الكلمات غضب و حرك خاتمه فزال الواد الفضي نهائيا . صرخت الفتاة وبكت ثم تجردت من ثيابها و بقيت عارية تمد يديها للسماء منادية .

يا أنزار يـــا أنزار

يا أزهـــار البـرارى

أترك الواد يجرى من جديد

وتعال و انتقم مني وخذ كنزى.

و في هذه اللحظة فقط نزل أنزار ملك المطر تحت مظهر الضوء و النور القوى و ضـم الفتاة الى صدره فعاد الواد الى مجراه الطبيعي و اكتست الا رض خضرة وجمالا .

و منذ ذلك اليوم والنساء تحتفل بهذه المناسبة أى حفلة أنزار في وقت الجفاف للحصول على المطر.

Legende explicative du rite :

ZIK Yella yiwen qqarn´as "ANZAR´ Dneṭṭa id Agellid ugeffur yebya adyayt yiwet tteqši št : Agur G.Genni, Neṭṭ at di lqqaa - udmi - is yeṭṭak tiss , talaba s dleḥrir am - se" El - taqšišt - agi G- Mara dekker teṭṭ essef G.wen Wassif, aman - is dimzarfen - akken ara d - iṣṣubb ugellid enni ugeffur ar el qaa er - teqsišt eni neṭṭat ṭeṭṭa - Gad, dya adyuyal - almi dyiwen wass yenna y-as : aql - i Gezwey d igenwan, a yiwen ggetran, ff - iyi akejjud - i.M efkan,
my am ekksey aman
terra - yas teqqšišt :

Ḥuilk , ay agellid bbawman
abu, te šaḅt el lumerjan,
nkki kecc iwrni yi - d efkan
malna igadey imenan.

d y a yekker fell - as ugellid enni bbawman
Yebren tahatemt teṭṭurey - dya yeqqel
wasif enni - dafyeryar, agellid, iyab taqšišt tuymas erruḥ - is d´aman : teṭru, teṭru, temmey tekkes talaba - wni lḥrir, teqquim ṭṭa ariṭ, tessawal ar igeni:

ay anzar, a y anzar,
ay ayajjig uzayar,
asif - ar - as linsar, ṛuḥadd errd eṭṭar

dya šuit kan akka twala iffettiwej d´ameqqran .
y aqql ugellid enni l . lahwa iger taqšišt - enni y - iri -s asif - enni yeqqel akken yella, tzegzew ak et murt .
d y a teqquimd akken ttisirit . Tiski yernney uy er yar ad - nbder mekla lecdil " anzar" dayni tettekkes teqšišt aryam.

الاسطورة العاشـــرة :

ذهبت نساءاحدى القرى القبائلية يوما للرقص في الريف ، فتم القبض عليهم و خطفهن من طرف العفاريت و الشياطين و اغتصبوهن .

و بعد عودتهن الى القرية في شهور، عرف أهل القرية سر هن و سر ضياع شرفهن لانهن كن حوامل. فقررت الجماعة " تاجمعت " قتلهن لانهن مسسن بعرض و شرف القرية . لكـــن القاضي اقترح فعل ذلك و تركهن بعد الولادة . و لما تم ذلك فعلا أى لما تمت الولادة عاد أهل القرية و الجماعة و طلبوا قتل النساء و أولادهن ، لكن القاضي قال : لا . و قـرر أن يفعل هذا بعد أن يكبر الا ولاد قائلا :"لا أحد يقدر أن يخلق الروح غير الله ."

و لما كبروا، صاروا أقوياء جدا لانهم عفاريت و حكموا البلا د .

و يقال أن هؤلاء هم القبائل الاوائل على الا رض و أن أصلهم عفاريت وهذا هو سر ممارستهم للسحر.

ترجمـــة بعـــض المصـــطلحـــات القبائلية الواردة في الا طروحـــة :

ADRUM :	:	مجموعة من الا ســر فـــي حـــي واحـــد
AMYAR :		عجـــوز ، شـيـــخ
AQARUY :	:	الرجل الرئيســـي
AXXAM :	:	المنزل و أحيانا يعني العائلـــة
THADDARTH :	:	القـــريـــة
TAJMATH :	:	مقـــر و مجلس عـــام للقرية
THAQSIT :	:	الا ســطورة

نموذج من استمارة الا ستبيان :

1 ـ القسم الخاص بالمعلومات الشخصية :

1) الجنس : ذكـر ☐ أنثـى ☐

2) السـن :

3) المستوى التعليمي : ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوى ☐ عالي ☐

4) الحالة الاجتماعية : أغزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐

II ـ القسم الخاص بالمعلومات حول الظاهرة (السحر) :

1) ـ هل تسمع عن ظاهرة السحر ؟ نعـم ☐ لا ☐

2) ـ ماهي حسب رأيك ؟ عرفهـا .

.....

.....

3) هل تراها موجودة في مجتمعنا الجزائرى ؟ نعـم ☐ لا ☐.

4) الى أية درجة ؟ بشدة ☐ بدرجة متوسطـة ☐ بدرجة قليلة ☐ .

5) في أى جهات الوطن ؟ الشرق ☐ الغرب ☐ الوسط ☐ الجنوب ☐ الريف ☐
المدينة ☐ .

6) اذا كانت ظاهرة السحر تمارس فمن طرف من حسب رأيك .

رجال ☐ نساء ☐ شيوخ ☐ شباب ☐ فئات أخرى تذكر .....

و لماذا ؟.....

III ـ القسم الخاص بالمعلومات حول موقف الا سلا م من السحر :

1) هل الدين الا سلا مي يقر و يعترف بوجود السحر في المجتمعات البشرية ؟ نعم ☐ لا ☐

علل أجوبتك بأمثلة (آيات قرآنية ، أحاديث نبوية ، أقوال الصحابة) .....

.....

2) ما حكم الا سلا م منه ؟

مباح ☐ مكروه ☐ شعوذة ☐ حرام ☐ حكم آخر يذكر .....

لماذا ؟ .....

.....

4) ـ القسم الخاص بالمعلومات الفردية حول الظاهرة أو (الرأى الشخصي).

1) هل تؤمن أنت شخصيا بمفعول السحر في الا شخاص ؟ نعم ☐ لا ☐ .

علل بأمثلة أو حوادث شاهدتها أو سمعتها عن الموضوع ؟ .....

.....

2) لماذا حسب رأيك يمارس السحر في المجتمعات العربية عامة والجزائرى خاصة رغـــم

محاربة الا سلا م له ؟ .....

.....

3) هل تتمنى أن تزول هذه الظاهرة ؟ نعـــم ☐ لا ☐

لماذا و كيف يتم ذلك ؟

4) هل ترى أ ن وجودها ضرورى و لها دور في المجتمع ؟ .....

.....

- البيبليـــيـــو غـــــــــرافـيـــــــة -

باللغة العربيـــة :

أ) في الكتب المنهجية :

1) بدوى (عبد الرحمن) : مناهج البحث العلمي ـ القاهرة : مكتبة النهضة العربية 1968.

2) بدوى (أحمد زكي) : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان 1978.

3) بوحوش (عمار) : دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية ـ الجزائـر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985

4) شكرى (علياء) و الجوهرى (محمد) : نظرية في علم الا جتماع القاهرة : دار المعارف 1980.

ب) في الا دب الشعبي :

1) اسكاربت (روبر) : سوسيولوجيا الا دب : تر : عرموني (آمال أنطوان) بيروت ـ باريس ـ مشورات عويدات 1978.

2) الجوهرى (محمد) : الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ـ القاهرة ـ دار الكتاب للتوزيع ط 1 1978.

3) دوستال (مدام) : في الا دب وعلا قته بالمؤسسات الاجتماعية (الخطاب التمهيدى) .

4) روزلين (ليلى قريشي) :القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي ـ الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1980.

5) زكي (أحمد كمال) : الا ساطير : دراسة حضارية مقارنة ـ بيروت : دار العودة ط 2 1979.

6) العنتيل (فوزى) : الفولكلور ..... ما هو ؟ القاهرة :دار المعرف 1965 .

7) الكعاك(عثمان) : التقاليد والعادات الشعبية أو الفولكلور التونسي : تونس : الشركـــة القومية للنشر والتوزيع 1963.

8) المرزوقي (سمير) والشاكر(جميل) : مدخل الى نظرية القصة : الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية السنة غير مذكورة .

ج) في الفكر الديني والاجتماعي :

1) الابراهيمي (محمد البشير) : عيون البصائر ـ القاهرة : دار المعارف 1963.

2) بدران (ابراهيم) و الخماشي (سلوى) : دراسات في العقلية العربية ـ بيروت : د. ار الحقيقة ط 2 1979.

3) الحطيب (أحمد): جمعية العلماء المسلمين و أثرها الاصلا حي في الجزائر : الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1985.

4) الديالمي (عبد الصمد) : القضية السوسيولوجية (نموذج الوطن العربي) ـ الدار البيضاء ـ مكتبة افريقيا للشرق 1989:

5) ذياب (فوزية) : القيم والعادات الا جتماعية ـ بيروت : دار النهضة العربية 1980.

6) شريط (عبد الله) : نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون ـ الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.

7) طوالبي (نور الدين) : الدين والطقوس والتغيرات ـ تر : (وجيه البعيني) الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية 1981.

8) عون(الشريف قاسم) : الدين فى حياتنا ـ بيروت : لبنان دار القلم 1980.

9) الغلا ييني (مصطفى) ـ التعاون الاجتماعي ـ صيدا ـ بيروت المكتبة العصرية ـالسنة غير مذكورة

10) الغندور (أحمد) : الطلا ق في الشريعة الاسلا مية و القانون ـ القاهرة : دارالمعارف ط 1 1967.

11) القرضاوى (يوسف) ،الحلا ل والحرام في الا سلا م . القاهرة : مكتبة وهبة 1977.

12) مغربي (عبد الغني) : الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون : الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.

د) في السحر والشعوذة :

1) أبو بكر (بن محمد بنالحنبلي) : علا ج الا مور السحرية من الشريعة الا سلا مية ـقسنطينة : دار الهداية ط 2 1990.

2) المقالات الصحفية :

أ) حمادى (رشيدة) ـ عتوت (يزيد) ـ"الساحرات" تحقيق قصير في حصة معالم التلفزيونيـــة لرابح خوذرى يوم 1992/02/09 على الساعة العاشرة مساءا.

ب) احريشن(فاطمة) : أستطلا عالمعرفة حول قارئات الفنجان " جريدة المعرفة ، العدد(1) يوم الخميس 6 فيفرى 1992 ص : 12 و 13.

ج) معقال(فريد)ـ "السحر و الاعتقادات الشعبية" تحقيق تلفزيوني يوم الاثنين 10 أوت1992 على الساعة 10 مساءا.

د) يد الساحرة : فيلم جزائرى يوم الاثنين 1992/03/14 على الساعة 10 مســـاءا.

باللغـــة الاجنبيـــــة :

I) METHODOLOGIE:

1) Dujardin (camille lacoste): bibliographie ethnologique de la grande kabylie.
Paris : ed monton et co 1962.

2) Duverger (Maurice): Méthodes des sciences sociales
Paris : P.U.F.

3) Mendras (Heuri) : - Elements de sociologie : Paris : ed arnaud 1975.

4) Grand dictionnaire encyclopédique - larousse T3
Paris : librairie larousse 1980.

II) - FOLKLORE, LITTERATURE POPULAIRE :

1) Basset (René) : Nouveaux contes berbères -
Paris: ed Leroux 1897.

2) Desparmet (jacques) : ethnographie traditionnelle de la metidja - le calendrier folklorique -
Alger ancienne : Maison bastide jourdane jules carbonel 1919.

3) Dujardin (camille lacoste): le conte kabyle-etude ethnologique -
Alger : ed bouchette 1992.

4) Dujardin (camille lacoste): Litterature orale et l'histoire - fonctions historiques d'un corpus de litterature orale algerienne - CRAPE - Alger : O.P.U 1982

5) Malinowski (bronislow): Mythe in primitive psychology 1926.

6) Mammeri (mouloud) : Machaho ! - contes berbères de kabylie
Paris : ed bordas 1980.

7) Millie (jan scelles) : contes arabes du maghreb
Paris : ed GP maisoneuve et lapase 1970.

8) Nacib (youssef): Chants religieux du djurdjura.
Paris : ed sindbad 1988.

9) Nacib (youssef) : contes du centre algerien - contes de kabylie - Paris ed publisud 1986.

10) Ouakli (sadi) : legendes sur le temps et les saisons
bulletin de l'enseignement des indigènes 1933.

11) Propp (vladimir) : Morphologie du conte
Paris : ed seuil 1970

12) Zoologie populaire (ce que les kabyles pensent des bètes)
F.D.B.1947 60 P.

III) CULTURE ET SOCIETE :

1) Arkoun (mohamed) : la pensée arabe - coll que sais - je ?
Paris : P.U.F 1975.

2) Bourdieu (pierre) : sociologie de l'ALgerie
Paris : ed P.U.F 1980 .

3) Hanoteau (louis , general) et letourneux (ARISTIDE) : la kabylie et les coutumes kabyles challamel
Paris : 1872 , 1873, 3 Vol ed augustin T 1 1893.

4) Joleand (leonce) : le rôle des singes dans les traditions populaires nord - africaines - journal de la societé des africanistes T I 1931 PP 117 - 150.

5) Kebaili (Mohamed ou ramdane) : la grande kabylie et ses problèmes . C.E.R.K mémoires et travaux T III 1959.

6) Khellil (Mohand) : La kabylie ou l'ancètre sacrifie
Paris : ed l'harmattan 1984.

7) Levi strauss (claude) : La pensée sauvage
Paris : librairie plon 1964.

8) Megherbi (Abdelghani) : culture et personalité algerienne (de Massinissa à nos jours)
ALger : ENAL - OPU 1986.

9) Mauss (Marcel) : sociologie et anthropologie
Paris : PUF 1968.

10) Ouitis (Aissa) : Les contradictions sociales et leur expression symbolique dans le setifois
Alger : SNED 1977.

11) Touraine (Alain) : Production de la societé
Paris : Coll le point ed seuil 1973.

IV) MAGIE ET RELIGION :

1) Albin (Michel) : Magie et litterature -
Paris : ed albin michel 1989.

2) Amrouche (Marguerite taos): Le grain Magique
Paris : ed maspero 1982.

3) Annequin (jacques) : recherches sur l'action magique et ses representations paris : centre de recherches d'histoire encienne 1973.

4) Atcho (albert) et la communauté de bregho: prophétisme et therapeutique - coll savoir herman paris : CNRS 1975 .

5) Cohn (norman) : démonolatrie et sorcellerie au moyen age : fontasmes et réalités.
Paris : ed payot 1982

6) Devulder (maurice) : rituel magique des femmes kabyles.

(tribu des ouadhias grande kabylie) revue africaine TCI 1957 PP 299.361.

7) Devulder (maurice) : Peintures murales et pratiques magiques dans la tribu des ouadhias , revue africaine TXCV 1951
P 63 - 102.

8) Malinowski (bronislow) : magic - science and religion
illinois - glencoc press 1948.

9) Matton (sylvan): la magie arabe traditionnelle bibliothèque hermetica - France - imprimerie floch amayenne 1976

10) Les gardiens (I essassen) : fichier de documentation berbère 1949 P.11.

ARTICLES DE PRESSE :

1) G (AMINE) " Un étrange message " Horizons, 23 septembre 1988 P.6.

2) Boumedienne (AMEL) : " Astrologie / Heuroscope et charlatanisme " , El watan, 9 Juin 1991 P.5.

3)"Pratiques magiques et sorcellerie - Ihachkoulen ou comment conjurer le sort ".
Liberté, 9 Fevrier 1993 P.14.